

جامعة الزقازيق
معهد الدراسات والبحوث الآسيوية
قسم دراسات وبحوث الحضارة

نشاط المسلمين التجاري في الصين وأثره على الحضارة الإسلامية في العصر الإسلامي (٩٦٠م - ١٣٦٨م)

دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الآسيوية

إعداد
يحيى محمد الشربيني القناوي

إشراف

أ.د / محمد عيسى الحريري
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
عميد كلية الآداب السابق
جامعة المنصورة

أ.د / كرم حلمي فرحات
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد
معهد الدراسات والبحوث الآسيوية
جامعة الزقازيق

}

رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ
الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ
أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي
ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبِّتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ }

إهداء

إلى .. أبى و أمى اللذين أحاطاني برعايتهما و
عطفهما و دعائهما فاللهم ارحمهما كما ربياني
صغيرا .

إلى .. زوجتي التي شدت من أذرى وتحملت
معي العبء الأكبر في كتابة هذا البحث .
إلى .. أساتذتي الأجلاء :

الأستاذ الدكتور : محمد عيسى الحريري .
الدكتور : كرم حلمي فرحات

إقرارا و اعترافا بفضلهما علىّ

فلخير أهل لا تزال قلوبهم تدعوا إليه.... طوبى لمن جرت الأمور
الصالحات على يديه

إلى .. المقاومين الذين يجاهدون لتحرير
بلادهم من دنس الاحتلال إلى .. أرواح
الشهداء الذين ضحوا بأنفسهم من أجل نصره
الإسلام .

أهدى هذا البحث

شكر و تقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:
جميل أن يحفظ الفضل لأهل الفضل ، ولذا صح عن النبي μ أنه قال: (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) .

الحمد لله الذي وفقني إلى إتمام هذا البحث بهذه الصورة المتواضعة ، وهذا البحث هو ثمرة جهد ساعدني فيه أساتذتي الذين أكنّ لهم كل الشكر والعرفان بالجميل لما بذلوه من جهد وما قدموه إليّ من نصائح كان لها أكبر الأثر في إتمام هذا العمل .

وأخص بالشكر العالم الجليل الأستاذ الدكتور / **محمد عيسى الحريري** . الأستاذ والأب الكبير الذي أعطاني من وقته وعلمه الغزير وسعة صدره الكثير ، وكان لنصائح سيادته أكبر الأثر في إتمام هذا العمل فأشكر سيادته شكراً جزيلاً وأدعو الله عز وجل أن يجازيه عنى خير الجزاء.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إليّ أستاذي الدكتور / **كرم حلمي فرحات** . الذي كان دائماً مرشداً وناصحاً لي ولم يترك فرصة إلا ومنحني المزيد من التوجيه والإرشاد وكان لسيادته معي مواقف كثيرة جداً لا أستطيع حصرها ومهما قلت أو فعلت فلن أوفيه حقه بارك الله فيه وسدد على الحق خطاه وجزاه عنى خير الجزاء .
كما أتقدم بالشكر والتقدير إليّ الأساتذة والعلماء الذين شرفتم بمناقشتهم لى وكان حضورهم وتوجيهاتهم وساماً على صدري.

الأستاذ الدكتور /

والأستاذ الدكتور /

الباحث

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
أ	المقدمة
١	التمهيد
	- أولاً: نبذة جغرافية عن الصين ومواردها الطبيعية
١	* الموقع
١	* المساحة
٣	* المناخ
٤	* التضاريس
٦	* السكان
١١	* اللغة
١٣	* الموارد الطبيعية
١٦	- ثانياً : دور التجار المسلمين في دخول الإسلام الصين
١٩	* التجار المسلمون يطرقون أبواب الصين
	الفصل الأول:- مظاهر النشاط التجاري في الصين
٢٥	* الأثر الفاعل للمسلمين في النشاط التجاري
٢٩	* موانئ ومراكز التجارة في الصين
٣٥	* السلع التجارية المتداولة في الصين
	الفصل الثاني:- نظم التعامل التجاري في الصين
٥٤	أولاً : طوائف التجار
٥٤	* التجار
٥٥	* الصناع
٥٦	ثانياً : الحرف التجارية
٥٩	ثالثاً : نظام التعامل "العملات - الحوالة - الصكوك"
٦٨	* السفاتج والصكوك
	الفصل الثالث :- أثر النشاط التجاري للمسلمين على المظاهر الدينية
٧٥	* الصين قبل وصول الإسلام إليها
٧٧	* النشاط التجاري وزيادة المعرفة الصينية بالعرب والمسلمين
٨٢	* انتشار الإسلام نتيجة علاقة التجار المسلمين بالتجار الصينيين
٨٧	* تأثر الصينيين بالأخلاق الإسلامية
٨٩	* تأثر الصينيين بالأحوال التعبدية الإسلامية
٩١	* التجار المسلمين وإرساء نظام الجماعة الإسلامية
٩٢	* خصائص الإسلام في عهد يوان
٩٣	* بناء المساجد وانتشارها في الصين
٩٧	* ظهور جيل من المسلمين الصينيين علي أيدي التجار المسلمين

	الفصل الرابع:- أثر النشاط التجاري للمسلمين علي المظاهر الثقافية
٩٩	* تأثير اللغة العربية في الصين وانتشارها
١٠٧	* انتشار مصطلحات وأسماء عربية نتيجة مزاوله العرب للأنشطة التجارية
١١٢	* استفادة الصين من تراث المسلمين العلمي
١١٢	* علمي الفلك و الرياضيات
١١٥	* علم الطب والصيدلة
١٢٠	* انتقال تراث المسلمين الطبى إلي الصين
١٢١	* استفادة الصين من تراث المسلمين في الهندسة والعمارة
	الفصل الخامس : أثر النشاط التجاري للمسلمين علي المظاهر الإدارية والاقتصادية والاجتماعية
١٢٣	* أثر النشاط التجاري علي المظاهر الإدارية
١٢٦	* أثر النشاط التجاري علي المظاهر الإقتصادية
١٣٢	* استفادة الصين من خبرات المسلمين الإدارية
١٣٤	* الفنون الصناعية
١٣٥	* أثر النشاط التجاري علي المظاهر الإجتماعية
١٣٦	* مكانة التجار في المجتمع الصيني
١٣٦	* كبار التجار
١٤٢	* صغار التجار
١٤٣	* طبقات المجتمع الصيني في العصر الإسلامي
١٤٥	* طبقة التجار
١٤٧	* تأثيرات التجار المسلمين في عادات وتقاليد المجتمع الصيني
١٤٨	* المكانة الإجتماعية للمسلمين في عهدي تانغ وسونغ
١٥٠	* المكانة الإجتماعية للمسلمين في عهد أسرة يوان
١٥١	* حقد ووشاية ومعاملة ظالمة
١٥٢	الخاتمة
١٥٤	التوصيات
١٥٧	الملاحق
١٦٦	المصادر والمراجع
١٧٨	الفهرس

- ١- التعريف بالموضوع
- ٢- سبب اختيار الموضوع
- ٣- أهميته
- ٤- أهدافه
- ٥- المنهج المستخدم في البحث
- ٦- الدراسات السابقة في هذا المجال
- ٧- أهم المصادر التي تم الاعتماد عليها
- ٨- خطة البحث

(١) المقدمة :

ما من حضارة إلا أخذت من سابقتها أو معاصرتها ، تأخذ وتعطي ، تتأثر وتؤثر . وحضارة الإسلام في هذا الشأن قامت بالدور المطلوب على خير وجه وأكمل مهمة ، ووسعت - وهي حضارة عالمية - شعوب الأرض كافة حتى مع اختلاف عقائدهم وأنماط حياتهم الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية . ومع دلالة هذه السمة على عالمية الإسلام فإنها لم تكن أحادية الجانب، إذ لم يكن نتاجها الفكري والمادي قاصراً على جوانب دون أخرى ، بل شمل كل احتياجات الإنسان الدنيوية والأخروية . وطبيعي وهي حضارة إنسانية تأثرت بغيرها أن تؤثر فيه ، وأن تتلائم مع احتياجات الشعوب وواقعهم وظروف حياتهم ، وأن تتسم بصلاحياتها للتطبيق والممارسة في كل البيئات والمجتمعات . وينطبق هذا على المجتمع الصيني الذي ملك حضارة إنسانية عريقة تأثرت بغيرها قبل أن تؤثر فيه ، وتأثرت بحضارة الإسلام أكثر مما أثرت فيها .

ومن أهم وسائل نقل المؤثرات الحضارية وتبادلها التجارة التي كانت ولا زالت أهم مظاهر العلاقات البشرية والمعبر الذي حمل النماذج الحضارية المختلفة لتتبادلها الشعوب وتتأثر بها ، وهي التي هيأت لمزيد من التفاعلات الحضارية بينهم ، وساعدت على نشوء مظاهر أخرى في العلاقات البشرية أبرزها ظاهرة استيطان واستقرار التجار وتزواجهم مع أهل البلاد التي يتعاملون معهم، وتأسيسهم أسراً هيأت فيما بعد لحدوث هجرات بشرية جماعية ، وهذا ينطبق على النشاط التجاري الذي أنشأه المسلمون مع الصينيين . ولم يظهر أثر التجارة بين الشعوب مثلما ظهر بين التجار المسلمين وشعوب الشرق الأقصى ومنهم الصينيون. فبعد أن كانت البداية تبادل حاجات تطورت إلى تبادل مصالح، ثم إلى تبادل ثقافات وأفكار تطورت إلى تبادل مؤثرات حضارية متكاملة.

وما حدث في الصين مع ما اشتهرت به من عزلة وانغلاق بسبب ما عُرف به الصينيون من توجس وعدم اندفاع إلى كل ما هو أجنبي بشراً كان أو فكراً إنما كان نتيجة الجهد الذي بذله المسلمون

- من تجار وغيرهم - وقدرتهم الفائقة على الاختلاط والانسجام مع الشعوب الأخرى، وبالتالي تمكنهم من نشر الإسلام وحضارته بينهم بكل يسر وسهولة .

لقد أحبهم أهل البلاد وأحبهم أباطرتها ورحبوا بهم ، ووجدوا لديهم سلوكا لم يألفوه ، وتعاملاً لم يعتادوا مثله ، ورأوا منهم أخلاقاً وعلاقة لم يتعودوا عليها ، فرغبوا في تقوية روابطهم بهؤلاء ، وأولوهم العناية والرعاية التي فضلتهم على غيرهم ، فكان أثر هذا محموداً في كثيرين اعتنقوا الإسلام لأولئك وقناعة بتأثير الإسلام فيهم . ثم أخذت مؤثرات الإسلام وحضارته تقف إلى المجتمع الصيني مع زيادة وفود المسلمين إليهم وانتشار الإسلام فيهم ، ومع تنوع الصلات بين الجانبين وخصوصاً بعد أن أصبح بينهما حدوداً مشتركة بعد توسع حركة الفتح الإسلامي وما صاحب ذلك من تطور في العلاقات السياسية والعسكرية بينهما وزيادة نشاط العلاقات التجارية تبعاً لذلك ، وأيضاً بعد التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي صاحبت الغزو المغولي ووقوع الصين مع عدد من الأقاليم الإسلامية تحت سيطرتهم .

وجميع تلك التطورات كان لها آثارها العميقة في زيادة تبادل المؤثرات الحضارية بين المسلمين والصينيين وتنوعها ، وكان واضحاً - من خلال ما أورده المصاد - أما الصينيين كانوا أكثر استفادة نتيجة ذلك التبادل الحضاري ، وأن ذلك ظهر بوضوح في كثير من شئون حياتهم وأحوال إمبراطوريتهم .

إن هذه الدراسة تؤكد أن نشاط المسلمين التجاري في الصين لا يمكن أن يمر دون تأثير ملاحظ في المجتمع الصيني وثقافته ، وهي في الوقت الذي تؤرخ فيه لتكون هذا التأثير وتستعرض ظروفه وتطوراته وتقدم رسداً لطبيعة المؤثرات الحضارية التي كان سببها التجار المسلمون .

وما تتبغى الإشارة إليه هو أن هذه الدراسة ليست فريدة في موضوعها وكونها أحد جوانب العلاقات الإسلامية الصينية ، فقد سبقها عدد من الدراسات والبحوث التي تناولت هذا الميدان ركزت في العلاقات الدبلوماسية والتجارية بخاصة ، وأشارت إلى بعض ما تبادلته الجانبان من تأثيرات حضارية .

ولعل الرصد الدقيق لهذه التأثيرات وجمع شتاتها في موضوع واحد غير مسبوق هو ما يميز هذه الدراسة من غيرها ، وما يميزها أيضاً أنها اعتمدت بشكل أساسي في توثيق مادتها العلمية على المصادر الصينية ، وكل ما أرجوه أن أكون - بما بذلته من جهد - قد أحطت بتفصيلات هذه المادة وجزيئاتها ، وأن أكون قد وفقت في عرضها بمنهجية علمية .

(٢) سبب اختيار الموضوع :

قد حدا بي إلى هذه الدراسة أن نشاط المسلمين التجاري في بلاد الصين والدرجة التي وصل إليها لا يمكن أن يمر دون أن يترك بصمات حضارية في مجالات متعددة في بلاد الصين فلا بد من بيانها واستيضاحها وهذه واحدة .

أما الثانية أن هذه الدراسة هي محاولة جمع لشتات التأثيرات الحضارية التي أحدثها التجار المسلمون في بلاد الصين في موضوع واحد هو ما يميز هذه الدراسة عن غيرها.

(٣) أهمية البحث:

يتضح أهمية البحث فيما يلي :

١- إنه محاولة لإلقاء الضوء على العلاقات والمعاملات بين البلاد الإسلامية والصين، ومدى الدور الحضاري الذي قام به التجار المسلمون من خلال معاملتهم المالية والتجارية، وتمسكهم بالآداب والروح الإسلامية.

٢- إيضاح الأثر الهام لتلك الأنشطة والعلاقات التجارية على المظاهر الحضارية في الفترة محل

الدراسة (٩٦٠-١٣٦٨م).

(٤) أهداف البحث:

يهدف الباحث من خلال هذا البحث إلى:

- ١- عرض لدور التجار في دخول الإسلام الصين .
- ٢- إيضاح مظاهر النشاط التجاري في الصين .
- ٣- إلقاء الضوء على أنواع المعاملات والحرف التجارية وطوائف التجار .
- ٤- إبراز أثر النشاط التجاري على المظاهر الدينية والثقافية في العصر الإسلامي .
- ٥- إظهار أثر النشاط التجاري على المظاهر الاقتصادية والاجتماعية .

(٥) منهج البحث:

استخدم الباحث في هذا البحث منهجين هما:-

١- المنهج الوصفي : لوصف النشاط التجاري ونظام التعامل وكذلك العادات والتقاليد الاجتماعية والاحتفالات الدينية والمظاهر الثقافية .

٢- المنهج التاريخي: لعرض الأحداث التاريخية، ترتيبها وتطورها.

ولتحقيق هذا المنهج التاريخي اتبع الباحث الخطوات التالية :-

أ - رصد المظاهر التاريخية من وثائق ومؤلفات ودراسات مطبوعة تناولت هذا الموضوع .

ب- تصنيف المادة العلمية ثم إجراء التحليل اللازم لكل الحقائق والوقائع التي وردت في المصادر وتصنيفها، ومقابلتها مع بعضها البعض من أجل الوصول إلى نتائج منطقية.

ج- تفسير الحقائق المتصلة بالموضوع وذلك بالرجوع إلى جذورها التاريخية ومقارنتها ومتابعتها.

د - استخلاص النتائج التي تم التوصل إليها.

(٦) الدراسات السابقة :

رسالة ماجستير بعنوان الأثر الحضاري للإسلام وتأثيره في الحياة الاجتماعية والدينية في

الصين خلال عهد أسرتي يوان ومنغ.

للباحث /أسامه عبد السلام .

وتناولت هذه الرسالة الحياة الاجتماعية في الصين وأثر الإسلام فيها من حيث:

- طبقات المجتمع المختلفة.
- القوميات المسلمة في الصين وأثر الإسلام في عاداتها وتقاليدها.
- النظام الأسري في المجتمع الصيني متضمنا مميزاته وعيوبه.
- عادات وتقاليد المجتمع الصيني وتأثير الإسلام في هذه العادات.

كما تناولت الحياة الدينية في الصين وأثر الإسلام فيها من حيث:

- الإسلام وديانات الصين والفوارق بينهما.
- الإسلام والمسلمون في عهد أسرة يوان ومنج موضحاً وضع ومكانة المسلمين في عهدهما.
- المسجد وأثره في الحياة الدينية في الصين ودور التعليم المسجدي في إعداد رجال الدين.
- أثر الحياة الدينية في الصين ويشمل انتشار المساجد، ودخول اللغة العربية والفارسية إلى الصين، وترجمة بعض أجزاء من القرآن الكريم.

(٧) أهم المصادر :

- ١- كتاب سلسلة التواريخ، للمؤلف أبو زيد السيرافي، طبعة باريس ١٨١١م، وهذا الكتاب قد كتبه في أوائل القرن الرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي) السيرافي من أفواه التجار والبحارة وقد أكد أنه جمع بعض المعارف وبوبها وضم فصولها إلي مذكرات التاجر سليمان والفائدة الكبرى من كتاب السيرافي أنه أول كاتب إسلامي كتب عن الصين: عن أهلها وعاداتها، وطرق تعاملهم في البيع والشراء، ودقة صناعتهم وفنونهم، ويدخل ما كتبه تحت ما يعرف حديثاً بالأنثوجرافيا، وهي الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمآثرات

الشعبية، وإن كان كل هذا لم يكن في ذهن السيرافي ولكنه كتب كل ما سمعه، فجاء كلامه شاملاً لكل هذا، ولكن بطريقة مختصرة جداً يمكن أن نعتبرها مجرد إشارات .

٢- كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمؤلف أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، طبعة المطبعة البهية المصرية، و المسعودي من كبار مؤرخي عصره عاش في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وكذلك كان رحالة أيضاً وكان موسوعي المعرفة ويغلب علي معظم كتاباته التأريخ وحقيقة أن المسعودي لم يترك في كتابه أيأ من المعارف سواء التاريخية أو الملاحية أو الاجتماعية إلا وذكرها فتكلم عن تاريخ معظم دول العالم المعروف آنذاك وجغرافية البلاد وذكر أخبار البحار والمد والجزر والكواكب، كما تكلم عن أعياد بعض الشعوب وعاداتها وأقوال العرب في الغيلان مما يدخل في باب المأثورات.

٣- كتاب التجارة الصينية والعربية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي، للمؤلف شوجو-كوا، طبعة بطرسبورج ١٩١١م تعليق فريدريك هيرث، روك هيل ويبدو أن مؤلفه عاش في نفس فترة كتابته وقد جمع شو - كوا مادته من أفواه التجار والربابنة الذين كان يلتقي بهم، فلم يغادر الصين، وقد قسم مادته إلي قسمين تحدث في القسم الأول عن بعض البلاد والمدن المختلفة في العالم المعروف حينذاك، باستثناء أوروبا، حيث تحدث عن جاوه وبغداد ومصر وغيرها من البلدان الآسيوية و الأفريقية ذاكراً للبلاد ومنتجاتها وعاداتها والمسافات بينها، أما القسم الثاني يتحدث عن أشهر المنتجات الطبيعية والنباتية ومناطق إنتاجها واستخداماتها.

٤- كتاب تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، للمؤلف محمد بن عبد الله اللواتي "ابن بطوطة" ٧٧٩هـ-١٣٧٧م، تهذيب أحمد العوامري، محمد أحمد جاد المولي، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٣٣م، يعتبر ابن بطوطة من أعظم الرحالة في العلم إن لم يكن أعظمهم علي الإطلاق وقد قضى ابن بطوطة أغلب عمره راحلاً، ويمكننا القول إن رحلة ابن بطوطة تشتمل علي عدة معارف فتشتمل علي التاريخ، و الاجتماع، والفلكلور، والأحياء، وذكر بعض الآثار. ويغلب

علي معالجته لهذه العلوم الطابع التسجيلي وإذا كانت الأنثروبولوجيا هي علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً فإن تحفة النظار بكل صدق تعتبر موسوعة أنثروبولوجية فضلاً عن كونها متحفاً حضارياً.

٥- كتاب العلاقات بين العرب والصين ، للمؤلف بدر الدين حي الصيني ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٥٠م والكاتب من أعظم الكتاب الصينيين المسلمين وله عدة كتب أثري بها المكتبة العربية والإسلامية عن الإسلام والمسلمين في الصين ، وكتابه العلاقات يتناول حالة الصين قبل ظهور الإسلام وعلاقة الصين ببلاد العرب قبل الإسلام وكذلك العلاقات السياسية التي نشأت بعد ظهور الإسلام مابين الدولة الإسلامية بمختلف عصورها والصين وكذلك تناول العلاقات العلمية والثقافية وكتابات مؤرخي المسلمين عن الصين ومعلومات وأقوال العرب عن الصين ثم العلاقات التجارية وتحدث أيضاً عن طرق التجارة ومسالكها والسلع والبضائع التجارية وموانئ ومدن التجارة وكذلك نظم التجارة ثم تحدث عن العلاقات الدينية عن ديانات الصين قبل الإسلام وفترة دخول الإسلام للصين وروايتها وكيفية انتشار الإسلام وأحوال المسلمين في الصين الاجتماعية والاقتصادية والدينية.

ثم تناول العلاقة الصناعية والفنية واختراعات الصين والصناعات والفنون التي أجادوها ، وعوامل التأثير والتأثير المتبادل بين الدول الإسلامية والصين ، ثم ختم بالنتائج لكل العلاقات بمختلف أنواعها.

٦- كتاب الثقافة العربية والإسلامية في الصين ، للمؤلف كرم حلمي فرحات ، طبعة دار الثقافة للنشر ، القاهرة ٢٠٠٥م ، المؤلف يتناول في كتابه الدور العربي والمصري في نشر الثقافة العربية وإسلامية في الصين وتناول من خلاله جغرافية الصين ثم تحدث عن العرب والمصريون الأوائل الذين ذهبوا إلي الصين ومكانتهم ومبررات وجودهم وأوجه التشابه بين الصين ومصر من خلال السمات الحضارية ، ثم تطرق للحديث عن دخول الثقافة الإسلامية إلي الصين و البعثات الثقافية

وأثرها في نشر الثقافة العربية والإسلامية في الصين وكذلك عن مكانة اللغة العربية في الصين وكذلك عن الأدوار التي قام بها كل من العلماء العرب والمصريين ، ودور العلماء الصينيين في تأليف وتدريس كتب الثقافة العربية و الإسلامية في الصين والترجمة من الصينية إلى العربية وكذلك مراكز نشر الثقافة العربية والإسلامية في الصين وإيضاح مدى أهميتها ودورها في نشر الثقافة الإسلامية.

(٨) خطة البحث :

يحتوي البحث على مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة .

- **أما التمهيد :** فقد تناولت فيه نبذة جغرافية عن الصين ومواردها الطبيعية ، وعن دور التجار المسلمين في دخول الإسلام إلى بلاد الصين .
- **أما الفصل الأول :** فقد جاء بعنوان مظاهر النشاط التجاري عند الصينيين ، وقد تحدثت فيه عن الأثر الفاعل للمسلمين في النشاط التجاري، وموانئ ومراكز التجارة في الصين ، والسلع التجارية المتداولة فيه .
- **أما الفصل الثاني :** فكان بعنوان نظم التعامل التجاري في الصين ، واشتمل على عرض لطوائف التجار ، والحرف التجارية ونظام التعامل التجاري .
- **وجاء الفصل الثالث :** بعنوان أثر النشاط التجاري للمسلمين على المظاهر الدينية والثقافية في الصين ، أما أثره على المظاهر الدينية فقد تضمن الحديث عن الصين قبل وصول الإسلام إليها ، وأثره في زيادة المعرفة الصينية بالمسلمين ، وانتشار الإسلام نتيجة علاقة التجار المسلمين بالصينيين، ومدى تأثير الصينيين بالأخلاق الإسلامية وتأثرهم بالأمور التعبدية الصحيحة، وإرساء نظام الجماعة الإسلامية وبناء المساجد وظهور جيل جديد من المسلمين.

- **أما الفصل الرابع:** بعنوان أثر النشاط التجاري على المظاهر الثقافية في الصين فقد تضمن الحديث عن تأثير اللغة العربية في الصين وانتشارها ، وانتشار مصطلحات وأسماء عربية في الصين واستفادة الصينيين من تراث المسلمين العلمي في علوم الفلك والرياضيات والطب الصيدلة والهندسة والعمارة ، وإرساء نظام الجماعة الإسلامية على يد التجار المسلمين ، وبناء المساجد التي هي بمثابة مدارس علمية ، وظهور جيل جديد من المسلمين على يد التجار المسلمين .
- **وجاء الفصل الخامس :** بعنوان أثر النشاط التجاري للمسلمين على المظاهر الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في الصين، وقد تضمن الحديث عن المظاهر الإدارية ومدى مشاركة المسلمين فيها، والمظاهر الاقتصادية ومدى تأثير المسلمين عليها ، والمظاهر الاجتماعية ومدى ما أحدثه المسلمون من تغيير في المجتمع الصيني .
- **ثم جاءت الخاتمة :** لترصد لنا أهم النتائج التي توصل إليها البحث من خلال ما تم عرضه من أفكار ومحاور .
- **ثم جاءت المصادر والمراجع المستخدمة في البحث .**

أولاً : نبذة جغرافية عن الصين ومواردها الطبيعية

- ١- الموقــــــــــــــــع
- ٢- المســــــــــــــــاحة
- ٣- المنــــــــــــــــاخ
- ٤- التضاريس
- ٥- السكــــــــــــــــان
- ٦- اللغــــــــــــــــة
- ٧- الموارد الطبيعية

ثانياً : دور التجار المسلمين في دخول الإسلام الصين

تمهيد أولاً : نبذة جغرافية عن الصين ومواردها الطبيعية

(١) الموقع :

تقع الصين في الجزء الشمالي من نصف الكرة الشرقي ، وتحتل القسم الشرقي من قارة آسيا وتطل على الساحل الغربي للمحيط الهادي ، يبلغ طول الصين حوالي ٥٥٠٠ كيلو متر من الشمال إلى الجنوب وعرضها حوالي ٥٢٠٠ كيلو متر من الغرب إلى الشرق ، ويختلف الوقت في المناطق الواقعة في أقصى الغرب عنه في المناطق الواقعة في أقصى الشرق ويزيد الفرق عن أربع ساعات بقليل ^(١)

(٢) المساحة :

تحتل الصين مساحة أرضية واسعة تبلغ ٩,٦ ملايين كيلو متر مربع وهي ثاني أكبر البلدان في العالم بعد كندا وتمتد حدودها شمالاً من الخط الأوسط لنهر "هيلونغ" بالقرب من "موخة" (خط عرض ٥٣ شمالاً) إلى حد "تسنغمو" البحري من جزر "تانشا" جنوباً (خط عرض ٤ شمالاً) ، ومن هضبة "البامير" غرباً (خط طول ٧٣ شمالاً) إلى ملتقى نهر "هيلونغ" ونهر "ووسولي" شرقاً (خط طول ١٣٥ شرقاً) تحدها من جهة الشرق جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية ، ومن جهة الشمال جمهورية منغوليا الشعبية ، ومن جهة الشمال الشرقي والشمال الغربي "روسيا" ، ومن جهة الغرب "أفغانستان" و"باكستان" و "الهند" و "نيبال" و "سيكيم" و "بهوتان" ومن جهة الجنوب "بورما" و "لاوس" و "فيتنام" ^(٢)

(١) شيوي قوانغ، جغرافية الصين، بكين، ترجمة محمد أبو جراد، طبعة دارالنشر باللغات الأجنبية، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، محمد خميس الزوكة، آسيا دراسة في الجغرافية الإقليمية ، الأسكندرية، الطبعة الثانية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠١م، ص ص ٢١٣-٢١٤ .

(٢) تشي ون، موجز أحوال الصين، بكين، الصين، ترجمة أحمد محمد خير ،مراجعة صفاء شيولي مينغ، طبعة دار النشر باللغات الأجنبية، ١٩٨٣م، ص ص ١-٢ .

تمتد حدود الصين البرية حوالي (٢٢٨٠٠ كم) هذا بالإضافة إلى المساحة البرية الشاسعة التي تطل بها الصين على السواحل البحرية الطويلة والتي تتبعها جزر كثيرة ، ويبلغ طول هذه السواحل حوالي

(٣٢٠٠ كم) ، وتتناثر في مناطقها العديد من الجزر أكبرها جزيرة "تايوان" التي أصبحت دولة حالياً ، ثم تليها جزيرة "هانيان" (١) .

تمتد الخطوط الساحلية أكثر من (١٨٠٠٠ كم) من مصب نهر "يالو" شمالاً إلى مصب نهر "بيلون" الواقع في الحدود بين الصين وفيتنام جنوباً ، كما تبرز نحو البحار بشكل الهلال ، وبها كثير من الموانئ الطبيعية التي لا تتجمد المياه فيها طول السنة ، مما قدم ظروفاً جغرافية طيبة لبناء الموانئ الممتازة وتنمية النقل البحري ، وسواحل السهول مستوية، أما السواحل الرملية منها مناسبة لتنمية السياحة ، بينما تفيد السواحل الطميية في إنتاج الملح بمياه البحر ، لأن أشعة الشمس فيها قوية ، الأمر الذي وفر الموارد الخام للتنمية الصناعية الكيماوية .

ينتشر في المناطق الساحلية الصينية أكثر من (٦٠٠٠ جزيرة) ، إجمالي مساحتها (٨٠ ألف كم مربع) أكبرها جزيرة "تايوان" مساحتها (٣٦٠٠٠ كم مربع) ، ثانيها جزيرة "هانيان" (٣٤٠٠٠ كم مربع) وهما ليستا غنيتان بالمنتجات المحلية فحسب بل جميلتان بمناظرهما ، أبعد هذه الجزر شرقاً جزيرتا "داويوي" و "تشويويوي" الواقعتان في شمال شرق جزيرة تايوان، تضم جزر البحر الجنوبي أكثر من (٢٠٠) جزيرة، وحيديبحرى ومخاضة وشط رملي ينتمي كلاً منها إلى جزر "دونغشا"، وجزر "شيشا" وجزر "تشانغشان"، وجزر "تشوشان"، وجزر "بنغهو" وغيرها من الجزر الهامة (٢)

(١) كتاب تعريف بجمهورية الصين، وزارة السياحة الصينية، الطبعة الثانية، بكين، الصين ١٩٩٩م، ص ١ - ٣ .

(٢) تشنغ بينغ ، جغرافية الصين ، ترجمة فريدة وانغ فو ، الصين ، طبعة دارالنشر الصينية عبر القارات ، ١٩٩٩م، ص ٩ ، ص ١٠ .

الصين من أكثر الدول التي تجتاز مناطق مناخية ، حيث تمتد من المنطقة المعتدلة الباردة من شمال مقاطعة "هيلونغجيانغ" شمالاً ، ثم تجتاز المنطقة المعتدلة، والمنطقة المعتدلة الدافئة، والمنطقة المدارية والمنطقة الحارة والمنطقة الاستوائية ، يعني ذلك أن كل المناطق المناخية موجودة في الصين ماعدا منطقة التندرا القريبة من المنطقة القطبية والمنطقة المتجمدة ، وتقع معظم أراضي الصين في المنطقة المعتدلة والمنطقة المعتدلة الدفيئة والمنطقة المدارية، ومناخها معتدل والفصول الأربعة واضحة ، فهي أرض مثالية لحياة البشرية وتطورها (١)

أما من حيث المطر فمتوسط نسبة المطر السنوي للصين (٦٢٩مم)، وإجمالي كمية المطر أكثر من (٦٠٠مليون متر مكعب سنوياً) ، ولكن بسبب تأثير الرياح الموسمية الصيفية يوجد عدم توازن في توزيع المياه ونقل الأمطار من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي تدريجياً ، فنسبة المطر في جنوب الصين وفي المناطق الساحلية في الجنوب الشرقي بخاصة كبيرة أكثر من (١٠٠٠مم) سنوياً وذلك بسبب تأثير الرياح الموسمية ، سجلت منطقة "هوشاولياو" في الركن الشمالي الشرقي بتايوان الرقم القياسي الوطني لكمية المطر (٨٤٠٤مم) سنوياً ، بينما يقع شمال غربى الصين في عمق القارتين الأوروبية والآسيوية وتأثره بالرياح الموسمية الصيفية قليل ، لذلك المطر فيه قليل ، حيث يقل عن (٢٠٠مم) سنوياً في معظم المناطق فيه ماعدا بعض الجبال الشاهقة ، فتنتهي هذه المناطق إلى الصحراء او شبه الصحراء ، أكثر منطقة صينية جفافاً هي "شينجيانغ" داخل حوض "تاريم" بمنطقة " شينجيانغ " ، كمية المطر فيها (١٠مم) سنوياً (٢)

(١) الصين الحقائق والأرقام،سلسلة كتب دار النجم الجديد، بكين،الصين ١٩٩٩م،ص٢-٣،تشنغ بينغ،مرجع سابق،ص١٢ .

(٢) تشنغ بينغ، مرجع سابق ،ص ص ١٢- ١٣ .

أما الرياح فتؤثر الرياح الموسمية على شرق آسيا في مناخ الصين كثيراً ، فتهب في الصيف الرياح الشمالية الشرقية ، فالجو حار وكثير الأمطار ودرجة الحرارة أعلى من الدول التي تقع مع الصين على نفس خط العرض .

وفي الشتاء تهب الرياح المائلة إلى الشمالية ، والجو بارد وجاف ، ودرجة الحرارة أدنى من الدول التي تقع معها على نفس خط العرض ، وذلك بسبب درجة الحرارة العالية في الصيف ويمكن لمناطق جنوب الصين أن تزرع الأرز والقطن ، ولأن المطر والحرارة يحصلان معاً ، فيمكنهما أن يسدا حاجة المحاصيل إلى الماء والحرارة .

(٤) التضاريس :

الصين فيها الجبال والهضاب والسهول والأحواض ، والمرتفعات منتشرة فيها ، تحتل الجبال والهضاب والمرتفعات ٦٥% من مساحة البلاد ، وتشكل كثيراً من السلاسل الجبلية الكبيرة الهيكل الأساسي لبر الصين الرئيسي .

هذه التضاريس تتحدر من الغرب إلى الشرق بشكل مدرج واضح ، يمكن تقسيم تضاريس الصين من المنخفض إلى العالي إلى ثلاثة درجات وهي :

الدرجة الأولى :

من جبال "شينغآن" الكبيرة شمالاً إلى شرق خط جبال "تايهانغ" ، وجبال "ووشان" وجبال "شيويفنغ" جنوباً ، فالتضاريس فيها مستوية ، معظمها من السهول والمرتفعات التي يقل ارتفاعها عن سطح البحر (٥٠٠ متر) تنتشر على هذه الدرجة السهول الثلاثة الكبيرة وهي سهول الشمال الشرقي وسهول الشمال وسهول مجارى نهر "اليانغتسى" الوسطى والسفلى ، ومرتفعات الجنوب الشرقي ، هي أكبر مرتفع في الصين .

الدرجة الثانية :

فهي المناطق الواقعة غرب خط جبال "شينغآن" الكبيرة وجبال "تايهانغ" معظمها من الهضاب والأحواض التي يزيد ارتفاعها على سطح البحر من (١٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ متر) ، وبها هضبة "منغوليا" الداخلية، وهضبة "اللو" ، وهضبة "يون-قوى" ، الهضاب الثلاث هذه هي من الهضاب الأربعة الكبيرة بالصين . أما الأحواض الأربعة الكبيرة فهي حوض "سيتشوان" ، حوض "تاريم" ، حوض "تشونقر" ، حوض "تشايدام" .

الدرجة الثالثة :

فهي هضبة "تشينغهاي" - التبت ، تتكون من مساحة واسعة من الهضاب المنحدرة بسلاسة ، وارتفاعها عن سطح البحر أكثر من أربعة آلاف متر ، وسلسلة من الجبال التي ارتفاعها عن سطح البحر خمسة آلاف إلى ستة آلاف متر ، فارتفاع قمة "جومولاتغما" الواقعة على الحدود بين الصين ونيبال ١٣، ٨٨٤٨ متر ، أعلى قمة في العالم، لذلك تسمى هضبة "تشينغهاي- التبت " "سقف العالم"^(١) . هذه التضاريس المنحدرة تفيد دخول التيارات الهوائية الباردة من المحيطات إلى أعماق بر الصين الرئيسي ، وتشكل الأمطار أنهاراً كبيراً تتدفق إلى الشرق ، الأمر الذي سهل المواصلات بين المناطق الداخلية والساحلية ، وجعل الأنهار تشكل فرق الانحدار عندما تتدفق من المناطق العالية إلى المنخفضة مع التضاريس، وأصبح هذا الفرق مورداً للطاقة المائية التي مكنت الصين من بناء محطات توليد الكهرباء على النهر الأصفر ، ونهر اليانغتسي^(٢)

(١) الصين، الحقائق والأرقام، ص ٥-٧، تشنغ بينغ، مرجع سابق، ص ١٤، ١٦، تشي ون، مرجع سابق، ص ٤-٥ .

(٢) تشينغ بينغ، مرجع سابق، ص ١٦ .

تعتبر الصين هي أكثر الدول سكاناً في العالم، ويبلغ عدد سكانها طبقاً لإحصاء سنة ٢٠٠٠م قرابة مليار ومائتي وخمس وستين مليون نسمة ، أي ٢٢% تقريباً من سكان العالم ، فالكثافة السكانية بها عالية ولكن التوزيع السكاني غير متوازن ، كما أنها تضم حوالي عشرين مقاطعة تختلف من حيث المساحة والكثافة السكانية. (١)

الصين دولة موحدة متعددة القوميات ، فيها ٥٦ قومية ، أكبرها قومية "هان" ويشكل عدد سكانها ٩٢% من سكان الصين بينما تشكل القوميات الخمس والخمسون الأخرى ٨% من سكان الصين ، لأن تعدادها قليل ، فتسمى عادة الأقليات القومية ، كل قومية عضو من أعضاء أسرة الأمة الصينية ، وسياسة الدولة في هذا الشأن هي المساواة بين كل القوميات وكفالة الدولة كل الحقوق والمصالح الشرعية لمختلف القوميات ، منع التعصب العرقي والاضطهاد القومي ضد أية قومية ، حظر الأعمال التي تهدد التضامن بين القوميات ، معارضة نزعة القومية الكبيرة ونزعات القوميات المحلية ، تتمتع كل قومية بحرية استخدام وتطوير لغتها المنطوقة والمكتوبة وبحرية الحفاظ على عاداتها وتقاليدها أو إصلاحها، ونظام الحكم الذاتي الإقليمي في مناطق الأقليات القومية الذي تطبقه حكومة الصين هو إقامة جهاز الحكم الذاتي في مناطق تجمع الأقليات القومية في ظل قيادة الدولة الموحدة ، ليمارس أبناء الأقليات القومية سلطة الحكم الذاتي ويدبروا شئونهم القومية المحلية (٢).

(١) رأفت الشيخ، المسلمون في العالم تاريخاً وجغرافياً ، ، القاهرة ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، ١٩٩٨، ص ١٦٠ ، والكتاب السنوي ١٩٩٣ - ٢٠٠٠ للجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء ، القاهرة، يونيو ٢٠٠١م، ص ٣١٤.

(٢) تشينغ بينغ، مرجع سابق، ص ٢٨، ص ٣٠ .

ومن بين هذه الأقليات القومية الـ ٥٦ يوجد عشر قوميات تعتنق الإسلام وهي:-

هوى ، الوبغور، القازاق ، القرغيز ، التاجيك ، التتار الأوزبيك ، رونغشيانغ ، سالار ، باوآن ^(١) كما يتركز المسلمون في أكثر من مقاطعة صينية من بين هذه المقاطعات "مقاطعة سينكيانج" وتعرف هذه المقاطعة بالتركستان الشرقية أو الصينية ، يسكنها حوالي ١٣ مليون نسمة ، نسبة المسلمون بينهم حوالي ٩٥% ، ويتكلمون اللغة العربية ثم الفارسية ثم التركية ثم الصينية ، وتتفق عادات وتقاليد هؤلاء المسلمين مع حضارة الأمة الإسلامية الموجودة في وسط آسيا في أفغانستان وكشمير وتركمانستان وطاجيكستان وأزبكستان. ^(٢)

مقاطعة كانسو : تعتبر هذه المقاطعة إمتداداً مباشراً لإقليم "سينكيانج الإسلامي" ^(٣) ويقرب عدد سكانها أربعة عشر مليون نسمة ، نسبة المسلمين فيهم ٧٥% ^(٤) فيشكلون السواد الأعظم من السكان، حتى استطاعت بعض مدن هذه المقاطعة أن تكون محط أنظار كثير من العلماء والمتقنين من جميع الصين ، وكذلك بلغ عدد المساجد في بعض مدنها المئات ^(٥) .

مقاطعة نينج هسيا : هذه المقاطعة قد فصلت عن "كانسو" وسكانها قرابة المليونين وقد بلغ عدد المسلمين فيها ٧٥% ويعملون في الرعي وتجارة الصوف والجلود ^(٦) .

مقاطعة شنسي : و يبلغ عدد المسلمين بها حوالي مليون نسمة ، ويتمركزون في مدينة "شنغان"، ومدينة "تشونغ"، وقد بنيت فيهما بعض المساجد ، فمدينة "شنغان" ومدينة "تشونغ" يوجد العديد من المساجد وكانت مركز للمسلمين وميدان للعلوم الإسلامية. ^(٧)

-
- (١) تشولينغ، القوميات المسلمة في الصين، ترجمة هوجيه هوادي تشينغ، بكين، دارالنشر باللغات الأجنبية، ١٩٨٨م، ص ١ .
 - (٢) طه عبد العليم رضوان، في جغرافية العالم الإسلامي، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الخامسة، ١٩٩١م ص ٢٢٥ .
 - (٣) محمود أبو العلا، في جغرافية العالم الإسلامي واقتصادياته، الكويت، مكتبة الفلا، الطبعة الخامسة، ١٩٩١م، ص ٧٧ .
 - (٤) طه عبد العليم رضوان، مرجع سابق، ص ٢٢٦ .
 - (٥) محمد شاكر، تركستان الصين الشرقية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م، ص ٦٢، محمد تواضع الصيني، الصين والإسلام، القاهرة ، دار الطباعة ونشر الإسلامية، ١٩٤٥م، ص ١١٤ .
 - (٦) محمد تواضع الصيني، مرجع سابق، ص ١٣٣ - ١٣٤ .
 - (٧) المصدر نفسه: ص ١٤٦ - ١٤٧ .

مقاطعة شانسي : يقدر عدد المسلمين بها بمئات الآلاف ويوزعون بين مدنها الكبرى ويوجد بها العديد المساجد (١) .

مقاطعة تشيهلي : يقدر عدد المسلمين بها حوالي المليونين، و يوجد بها عدد كبير من المساجد يصل إلى أربعين مسجداً .

مقاطعة شانتونج : يقدر عدد المسلمين بها حوالي مليون نسمة ، وهي مقاطعة ساحلية، انتشر فيها الإسلام عن طريق التجارة، وكثير منهم يشتغل بالدباغة وتجارة الجلود ، وبها مصنع للغزل والنسيج، وعدد من المدارس و المساجد (٢) .

مقاطعة منغوليا الداخلية : لم يقدر عدد المسلمين بها بسبب صعوبة الإحصاء .

مقاطعة منشوريا : ويقدر عدد المسلمين بها حوالي ٥٠٠ ألف مسلم ينتشرون فيها كما يوجد بها العديد من المساجد، وبها عدد من كبار العلماء .

مقاطعة سنشوان : يزيد عدد المسلمين فيها على ٢٥٠ ألف مسلم والمسلمون يتجمعون في الشمال الغربي من هذه المقاطعة بسبب القرب من المراكز الإسلامية، وبها عدد من الأئمة والعلماء المسلمين .

مقاطعة هوتان : وعدد المسلمين بها حوالي مليون مسلم ، وتوجد شعائر الإسلام في كل إقليم، كما تمتاز بأن فيها عدد من المساجد للرجال وعدد من المساجد للنساء، وأكثر المسلمين يشتغلون بالتجارة الصغيرة والمطاعم والحمامات المفتخرة، والدباغة وصنع البضائع من الجلود، كالأحذية وغيرها .

(١) محمد تواضع الصيني، مرجع سابق، ص ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٥ - ١٤٦ ، محمود قمر، الإسلام والمسلمون في جنوب شرق آسيا ، القاهرة، عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية، ٢٠٠٣م، ص ٣١ .

مقاطعة هوية : يوجد بها حوالي عشرة آلاف مسلم، وبعض المساجد .

مقاطعة آن هوى: يبلغ عدد المسلمين بها ما يقرب من ٥٠ ألف مسلم، يوجد بها بعض المساجد والمدارس (١)

مقاطعة كيانج سو: يبلغ عدد المسلمين بها ما يقرب من مليون مسلم، ويكثر المسلمون في مدينة

"شنغهاي" وبالمقاطعة عدد من المساجد، والعديد من المدارس والجمعيات الإسلامية .

مقاطعة تشكيانج: ويستوطن بها عدد من المسلمين يبلغ المليون مسلم، وبها العديد من المساجد،

وبعض المدارس .

مقاطعة كوى شوى: وبها حوالي عشرة آلاف مسلم وبها بعض المساجد .

مقاطعة كوانج سي: ويقدر عدد المسلمين بها حوالي ٢٠ ألف مسلم وبها بعض المساجد والمدارس

الإسلامية .

مقاطعة كوانج تونج: وبها حوالي خمسة وعشرين ألف مسلم، وقد استقرت بها بعض الجاليات

العربية، وانتشرت بها المساجد .

مقاطعة كيانج سي: بها حوالي عشرات الآلاف من المسلمين، وبها العديد من المدارس الدينية

وبعض المساجد (٢) .

مقاطعة تسينغهاي: ويبلغ عدد سكانها ما يقرب من مليوني نسمة، والمسلمون فيها نحو ثلثهم، إلا

أن السلطة فيها سواء كانت سياسية أو عسكرية أو اقتصادية في أيدي المسلمين .

مقاطعة نينغشيا الإسلامية: يحكمها الجنرال المسلم عماد الدين سنة ١٩٢٨ وبها كثير من المدارس

الإسلامية والمساجد المتعددة وعدد غير قليل من كبار العلماء .

(١) محمد تواضع الصيني، مرجع سابق، ص ١٤٤، ص ١٤٧، ص ١٤٨، ص ١٥٤، ص ١٦٩ - ١٧١ .

(٢) المصدر نفسه: ص ١٢١، ص ١٢٨، ص ١٢٩، ص ١٥٢، ص ١٥٧، ص ١٧٤، ص ١٧٥ .

مقاطعة فوكيين: ويوجد بها عدة آلاف من المسلمين (١) .

مقاطعة هوبوي : ويبلغ عدد المسلمين بها حوالي مليونين ، وبها عدد من المساجد ، ويوجد بكل مسجد مدرسة ، ويوجد بهذه المقاطعة آلاف من الأسر الإسلامية، وأكثر المسلمين يشتغلون بالمطاعم والجلود وتجارة العظام وكانت أكثر التجارات فيها للمسلمين .

مقاطعة شاي كيانغ : بها عشرات الآلاف من المسلمين ، كما يوجد بها بعض المساجد القديمة والأثرية التي لا يعرف تاريخ إنشائها (٢) .

مقاطعة يونان : وقد ظهر الإسلام بها على يد رجل يدعى السيد الأجلّ عمر شمس الدين، وقد بنى بها العديد من المساجد، ويبلغ عدد المسلمين مليونين، وبها كثير من المدارس والجمعيات وكثير من علماء الإسلام (٣) .

مقاطعة سويوان : وبها مئات الآلاف من المسلمين ، وبها العديد من المساجد و المدارس ، وأكثر المسلمين يشتغلون بالتجارة وبعضهم يشتغل بتربية الحيوانات ، مثل الجمال والخيول والأغنام.

مقاطعة شاهار : وبها مئات الآلاف من المسلمين ، والعديد من المساجد والمدارس الدينية وأكثرهم يشتغل بتربية الجمال والخيول الأغنام .

مقاطعة جيهور : وبها عشرات الآلاف من المسلمين والعديد من المساجد .

مقاطعة خونان : و يوجد بها أكثر من مائة ألف من المسلمين و العديد من المساجد و بعض المدارس .

(١) ابن بطوطة"محمد بن عبد الله اللواتي"، الرحلة، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار، القاهرة، تهذيب أحمد العوام ربك، محمد أحمد جاد المولى، المطبعة الاميريّة، ١٩٣٣م، ص ٦٣٠، ص ٦٣٥، محمود شاكر، مرجع سابق، ص ٨٥، ص ٨٩ .

(٢) محمد تواضع الصيني، مرجع سابق، ص ١٤٢ ، ص ١٤٣ ، ص ١٥٤ .

(٣) توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، القاهرة، ترجمة حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م، ص ٣٣١، محمد تواضع الصيني، مرجع سابق، ص ١٦٢ ، ص ١٦٥ ، رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص ١٦١ .

مقاطعة كانغ تونغ : وتعتبر أول مكان وصل إليه المسلمين في الشرق الأقصى عن طريق البحر ، بها أكثر من ثمان مائة أسرة إسلامية ، والعديد من المساجد .

مقاطعة فوكيان : وبها أكثر من ثلاثين ألف مسلم وبها عدد من المساجد القديمة التي بنيت في عهد أسرة تانغ أو في عهد أسرة سونج ، وبها الكثير من المدارس الدينية والمساجد وبها الكثير من التجار العرب ، والكثير من المسلمين الذين يملكون المناصب المهمة .

مقاطعة سي كانغ : بها عشرات الآلاف من المسلمين ، والعديد من المساجد، وبها الجمعية الفرعية لجمعية الدفاع الإسلامية، وبها العديد من المصانع ، كمصنع النسيج والصابون والجلود والأخشاب والملح وغيره (١) .

(٦) اللغة في الصين :

بلاد بلغت درجه عالية من الاتساع كالصين ، و تقوم فى أرجائها المترامية الأطراف جبال و هضاب و سلاسل و شعاب وفجاج ، من الطبيعى ألا تكون وسيلة التفاهم فيها لغة واحدة و هذا الأمر قد شغل الكثير من المؤلفين كالأصطخرى الكرخى الذى هو من رجال القرن الرابع الهجرى و الذى يقول "و لمملكة الصين السنة "لغات" مختلفة ، فأما أرض الصين و التبت فلهم لسان "لغة" مخالف لهذه الألسنة (٢) و يقول ياقوت الحموي عن الصينيين :- يتكلمون باللغة العربية القديمة لا يعرفون غيرها و يكتبون بالحميرية و لا يعرفون قلمنا" (٣). بينما المصادر الحديثة الصينية تقول أن اللغة القومية الشائعة في الصين هي لغة قومية "الهان" التي يستخدمها أكبر عدد من الصينيين

(١) محمد تواضع الصيني، مرجع سابق، ص ١٤٧، ص ص ١٥٧- ١٥٩، ص ١٧٦ .

(٢) محمد محمود زيتون، الصين والعرب عبر التاريخ ، القاهرة ، طبعة دارالمعارف، ١٩٦٤م، ص ص ٩٤- ٩٥ .

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان ، بيروت، دار صادر، ١٣٧٦ هـ، ص ٤٤٤/ ٣ .

و لكن العديد من الأقليات القومية ال ٥٥ لها لغتها الخاصة (١) . فلقد تكلم الصينيون لغات متعددة مثل الفارسية و التركية و العربية و الصينية و ذلك حسب المقاطعة التي يعيشون فيها ، إلا أن اللغة

الصينية أصبحت هي اللغة الرسمية للدولة و معظم الكتب الدينية ، قيل إنها تكتب بالعتين العربية و الفارسية. (٢)

و قد قيل عن اللغة الصينية إنها من أقدم لغات العالم الحية و قد ابتدأت لغة الكتابة التدوين من عهد الإمبراطور "قوهى" و بقيت على حالها لم تتغير و لم تتبدل و بالرغم من أنها قديمة و نشأت الكتب قبل ثلاثة آلاف سنة فإنها تقرأ و تفهم ، و هي رسوم و رموز ، و يكتبها الصينيون بقلم يشبه الفرجون ، و هي تكتب عادة من الأعلى إلى الأسفل ، و قد تكتب من اليسار إلى اليمين كاللغة الإفرنجية و بخاصة الكتب الحديثة التي يحاول أصحابها تقليد الفرنجة (٣) .

لقد هبت الصين اليوم تعمل على النهوض بلغتها و تسعى لتخليصها من شوائب العهود الماضية المختلفة ، و يدفعها إلى ذلك ما يدفع كل أمة من أن لغة الأمة هي جزء من كيانها و ركن هام من مقدمات حياتها ، و اللغات مفاخر الأمم ، لأن الأمم كلما اشتدت قوتها و عظم سلطانها و ازداد عرفانها و ارتقت علومها اتسعت لغتها فاللغة عنوان وحدة الأمة (٤) .

(١) الصين الحقائق والبلدان، مرجع سابق، ص ٦ .

(٢) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص ٥ .

(٣) محمد تواضع الصيني مرجع سابق، ص ٤٦ .

(٤) حسن محمد جوهر ، عبد الحميد بيومي، الصين ، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٨م، ص ٩٨ .

(٧) الموارد الطبيعية في الصين :

تعتبر الموارد الطبيعية جزءاً هاماً من البيئة الطبيعية ، تشمل موارد الأرض والمياه والمناخ والأحياء والمعادن ، فالصين غنية بالموارد الطبيعية إنها بلاد واسعة ومترامية الأطراف تشتمل على المناطق

الباردة والمعتدلة والحارة ، بها خليط من ألوان المناخ الطبيعي مما أكسبها موارد طبيعية غنية من الحيوانات والنباتات البرية .

فالصين غنية بمراد الأرض ، وأنواع هذه الأرض كثيرة ، فيها (٩٥١ ألف كم^٢) من الحقول الزراعية ، فالزراعة فيها متطورة ، تنتج القمح والذرة والأرز ، وأنواعاً من المحاصيل الاقتصادية أما مساحات الغابات فتبلغ (١,٢٤٦٥ كم^٢) تنتشر في جبال "شينغآن" الكبيرة ، وجبال "شينغآن" الصغيرة وجبال "تشانغهاي" بالشمال الشرقي ، فهي أكبر منطقة غابات طبيعية بالصين ، غالبية الأشجار فيها ، الصنوبر الأحمر ، واللاكس ، وأنواع من الأشجار ذات الأوراق العريضة . كما تنتشر تلك الغابات بمنطقة جبال "هنغدوان" الواقعة على الحدود بين "سينشوان" و "يوننان" والتبت ، وهي ثاني أكبر منطقة غابات بالصين ، وتنتب فيها أشجار "الأبيسة" و "التوب" بصورة رئيسية . كما تنتشر الغابات بجزيرة "هايانان" ومنطقة "شيشوا نغناننا بيوننان" ، ويوجد بها غابات مطرية استوائية .

كما توجد بالصين أربعة ملايين كم^٢ من المروج ، تحتل ٤١,٦% من مساحة أرض الصين ، معظمها في هضبة منغوليا الداخلية وهضبة "اللوس" وجنوب وشمال "يتانتشان" بشينجيانغ ، و هضبة "تشينغهاي - التبت" ، هي قاعدة تربية المواشي التي تقدم المواشي واللحوم والجلود والفرو أما من ناحية موارد المياه ، فإجمالي المطر بالصين ستة آلاف مليار متر مكعب سنوياً وإجمالي مياه الأنهار (٢٧٠٠ مليار متر مكعب) وإجمالي موارد المياه (٢٨٠٠ مليار متر مكعب) تحتل المركز

السادس بعد البرازيل ، وروسيا وكندا، والولايات المتحدة، واندونيسيا ، والاحتياطي المقدر لطاقة مياه الأنهار (٦٧٦ مليون كيلو وات)، تحتل المركز الأول في العالم ، ولكن توزيع موارد المياه ليس متوازناً ، فهي كثيرة في الجنوب والشرق وقليلة في الشمال والغرب (١) .

ومن موارد الصين أيضاً أنه يوجد حوالي (١٥٠ صنفاً من الطيور) تشكل ١٣,٤% من مجموع الطيور في العالم، وبها أكثر من (٤٠٠ صنف من ٢٠ صنفاً) من الزواحف والبرمائيات وتشتمل الحيوانات البرية التي تتفرد بها الصين على: البندا العملاق والسعدان الذهبي والمهاة والآيل ذي الشفة البيضاء ، والطاووس ذي الأذن ، والدلفين النهري الصيني، والتمساح الصيني والضب.^(٢)

كما توجد بالصين موارد غنية نسبياً من النباتات فيها ٣٢,٨ ألف نوع من النباتات العالية الدرجة - أشجار الميتا سيكوانا وقونغتونغ ، من هذه النباتات أكثر من "٢٠٠٠ صنف" نباتي للتغذية ، وبها أكثر من "٢٨٠٠ صنف" من الأشجار ، وبالإضافة إلى ذلك يوجد عدد لا يحصى من أصناف الأعشاب الطبية ومواد الأدوية الثمينة .

كما تزرع بالصين أيضاً النباتات الاقتصادية التقليدية مثل القطن وفول الصويا والشلجم والشمندر وقصب السكر ، وشجر التونغ والشاي ، إلى جانب النباتات الاقتصادية للمنطقة الحارة مثل شجر المطاط والبن ونخيل الزيت ، ودازيليريون وشجر الكاكاو والفلفل الأسود^(٣) .

(١) تشينغ بينغ، مرجع سابق، ص ص ١٨ - ٢١ .

(٢) تشي ون، مرجع سابق، ص ١٤ .

(٣) تشينغ بينغ، مرجع سابق، ص ٢١ ، تشي ون، مرجع سابق، ص ص ١٤ - ١٥ .

تمتلك الصين ثروة معدنية هائلة ، ولها موارد فحم متوفرة بمختلف الأنواع ، وموارد بترولية غنية قليلة المواد الكبريتية ، وموارد حديدية موزعة على نطاق واسع ، ومعادن عديدة بما فيها النحاس والألمونيوم والتونجستن والأنتيمون ، والمولبيديوم والقصدير والمنجنيز والرصاص والزنك والزيئق والتي يبلغ احتياطها مرتبة عالية في العالم .

يوجد بالصين كميات كبيرة من الصخور الزيتية والفسفور والمواد الكبريتية والماغنسيوم والملح والجبس ، وينتشر الفحم في جميع مقاطعات الصين ويمكن القول بأن كل المعادن الرئيسية المعروفة في العالم قد تم العثور عليها في الصين، وفضلاً عن ذلك تم استكشاف المعادن الجديدة ومعظمها ينتمي إلى فصيلة البلاتين وغيره من المعادن النادرة (١) .

أما من حيث اكتشاف المعادن فقد تم اكتشاف ٥٠ نوع من المعادن في العالم ، كلها موجودة في الصين، حيث أكتشف احتياطي ١٣٥ نوع، ويحتل ٢٠ نوع منها المراكز الأولية في العالم ، فيحتل الولفرام والتتانيوم والأنتيموم والفاناديوم والتربة النادرة المركز الأول في العالم، ويحتل النيكل والرصاص والحديد والمنجنيز والبلاتين المركز الرابع ، الصين تحتل المركز الثالث في ٤٥ نوعاً من المعادن الرئيسية في العالم (٢) .

يوجد بالصين مساحة واسعة من المناطق البحرية ، مساحة البحار والشواطئ الضحلة نحو ١٣٣ ألف كم^٢ ، من الممكن ممارسة التربية البحرية، منها ٢٠,٨ ألف كم^٢ من الشواطئ الضحلة صالحة لتربية الموارد البحرية ، وتنتج حقول الملح ١٧ مليون طن سنوياً من الملح ، تشكل ثلث إنتاج الملح العالمي وفي بحار الصين أكثر من ٢٦٠٠ نوع من الأسماك ،

(١) تشي ون ،مرجع سابق، ص ١٥ .

(٢) تشينغ بينغ، مرجع سابق، ص ٢١ .

منها أكثر من ٥٠ نوعاً من الأسماك الاقتصادية، حقق نشاط صيد السمك من البحار والتربية البحرية حجماً لا بأس به .

كما يوجد في المناطق البحرية البترول والغاز الطبيعي والحديد والنحاس والصخر الفسفوري والفلوكوثيت وغيرها من أكثر من ٢٠ نوع من المعادن ، ثم بدأ استخراج البترول في حقول

"بوهاي" البحرية وحقول خليج "بيفو". (١)

ثانياً : دور التجار المسلمين في دخول الإسلام الصين

كانت التجارة بلا شك من أهم الأشياء التي حملت العرب الأولين على السفر والترحال وتبادل المنافع مع غيرها ، فقد كان للعرب قوافلهم التي التي تجتاز الممالك والأقطار ، صاعدة هابطة بين السهول والبطاح ، كما كانت سفنهم الشراعية تمخر عباب الخلجان والبحار يستقلها أهل التجارة والرحالة من الجغرافيين ، والمؤرخين ، والفلاسفة والسفراء (٢) .

وقد كانت العلاقات التجارية بين العرب والصين قديمة ، فقد كانت مراكب الصين تصل إلى بلاد فارس وإلى عدن ، وكان التجار السوريون يتاجرون ببضائع بلاد الشام من حلى وزجاج وغيرهما ، ينقلونهما إلى خليج العرب والبحر الأحمر ، ويعودون بطرائف الصين وحريرها ، وساعدهم كتمانهم الشديد لأسرار معاملاتهم وأسفارهم الأصلية ، فاحتكروا هذه التجارة في البحر المتوسط وأثروا بها ثراء كبيراً .

وقد كانت التجارة مع الصين موضوع نزاع شديد بين الفرس والروم (القوتان المسيطرتان على المنطقة في ذلك الوقت) ، وقد احتكرت إيران مدة طويلة تجارة الحرير براً وبحراً .

(١) تشينغ بينغ ، مرجع سابق، ص ٢٢-٢٣ .

(٢) محمد حور، آثار ومآثر العرب في الصين ، مقال نشر في مجلة الصين اليوم ، عدد فبراير ٢٠٠٠ ص ٤٩ . وكانت هذه البضاعة من ضروريات الرومانيين في الملابس والكسوة في زمن الإمبراطور "جستيان" واضطر الرومان إلى كشف الطريق البحري إليها عبر البحر الأحمر ، ثم الوصول إلى سواحل الهند ، وذلك منذ القرن الثاني بعد الميلاد (١) .

ولم يقم الرومان بهذه الخطوة إلا بعد أن ذاقوا مرارة الظلم من الإيرانيين الذين كانوا يتوسطون في تجارة الصين مع الرومان وكانت إيران هي المملكة التي اتصلت الصين بواسطتها مع ممالك كثيرة، منها أحد الدول العربية القوية العظيمة في ذلك الوقت - وهي دولة الحيرة - والتي نشأت بينها وبين الصين علاقة تجارية بواسطة بلاد إيران، فكانت سفن الصين والهند ترد إلى ملوك الحيرة عند موانئ

عمان ، وقد ظلت هذه العلاقات على وضعها حتى زمن النعمان بن المنذر الذي حكم مملكة الحيرة بالقوة والحكمة مدة ثمان وعشرين سنة (٥٨٥ - ٦١٣ م) وهو الذي أرسل في عهده وفداً إلى بلاد فارس ، حيث تقابل مع وفد الصين هناك وسألهم عن أحوال الصين فسمعوا منهم وصف بلاد الصين وطبيعتها (٢) .

ويقول المسعودي : "إن العلاقة التجارية كانت قائمة مباشرة بين الصين ودولة الحيرة " ، وقال أيضاً "إن الفرات يصب في البحر الحبشي في الموضع المعروف بالمحف ، وكانت تتقدم هناك سفن الصين والهند وترد إلى ملوك الحيرة " (٣) .

وقد كانت طرق القوافل أيسر وأوفر من طرق الملاحة، فكانت متاجر الصين تأتي عبرالمدن الشهيرة مثل سمرقند، وبغداد ، ودمشق، وحبلى وسائر المدن على البحر المتوسط ومنها إلى أوروبا.

(١) أسامة عبد السلام ، الحياة الاجتماعية والدينية وأثر الإسلام فيها رسالة ماجستير من جامعة الزقازيق ، معهد الدراسات والبحوث الآسيوية ، ص١٧ .

(٢) بدر الدين حي الصيني،العلاقات بين العرب والصين،القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ ، ص٢٠ .

(٣) هوامش نفخ الطيب ،المسعودي ، ج١ ص ١٢١ .

وتتصل كذلك من طريق القوافل لدى مرورها بفارس وكشمير وموانئ الخليج وأشهرها (سيراف) ومنها كانت تنقل المراكب إلى عدن ، حيث تلتقي السلع الوافدة من الصين والهند بحراً ، آخذة طريقها إلى السويس والإسكندرية وموانئ الشام ، وكانت عدن من أهم الأسواق التجارية التي طالما تبادلت فيها منتجات الهند والصين مع منتجات الحبشة ، ومصر ، والنوبة ، فضلاً عن العاج والذهب.كل ذلك كان يستبدل به هناك الحرير والخزف ، وغيرها من واردات الصين،ولذلك كان التجار - ومعظمهم من العرب - يجلبون إلى الصين المنسوجات الكشميرية والعطور ومنتجات بلادهم أيضاً من منسوجات صوفية ، ومرجان وخيول ، مع نفائس أوربا كالأجواخ القرمزية الزاهية الألوان التي اشتهرت بها البندقية (١) .

ومهما يكن من شيء فإن العرب قد عرفوا الصين إما عن طريق البحر مباشرة وهو ما كان يسمى بطريق (البخور ، أو العطور) ، وإما عن طريق البر عبر بلاد العجم ، وهو ما كان يسمى بطريق (الحرير) حيث كان يمتد من "شيان" الصينية إلى "العراق" ، وكان العرب أسبق معرفة بالصين فقد عرف العرب الصين من كلمة (شين) الفارسية ، ويرى البعض أنها اسم الأسرة الأولى التي وحدت الصين وهي أسرة (تشن) (٢٢١-٢٠٧ ق.م) وهما أقرب الألفاظ إلى كلمة الصين الحالية .

صارت "التبت" على مر الأجيال داخلة في نطاق الصين ، ولا يغفل العرب المؤرخون والجغرافيون ذكرها كلما ذكروا الصين ، لأنها جزء لا يتجزأ منها . وقد تحولت التبت من البداوة إلى الحضارة ، فقد نشر الحميريون بها ما جاءوا به من أقصى الجنوب من جزيرتهم ، وتعلم أهل التبت منهم القراءة والكتابة .

(١) محمد محمود زيتون ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

وهذا إن دل فإنما يدل على فضل العرب على أهل هذه المنطقة وقدم العلاقة بين العرب والصين يتضح مما سبق أن بلاد الصين لم تكن مجهولة عند العرب قبل الإسلام وإنما كانت تربط بينهما علاقات تجارية وثقافية وحضارية ، وقد ازدهرت هذه العلاقات وتوثقت بعد أن ظهر الإسلام في جزيرة العرب وعم نوره سائر أرجاء المعمورة .

التجار المسلمون يطرقون أبواب الصين :

لقد اضطلعت "التجارة الإسلامية" بدور هام ورئيسي في نشر الدعوة الإسلامية في الصين بصفة عامة ، والتجارة البحرية بصفة خاصة لأنها كانت الأكثر قوة وتأثيراً في نشر الإسلام في الولايات والأقاليم الصينية ، حيث كان التجار العرب والفرس ينطلقون من الخليج العربي ويصلون إلى

الموانئ الصينية ، فقد استقروا فيها وتزوجوا من صينيات وأصبح لهم باع طويل في الشؤون التجارية والمالية والاجتماعية في موانئ الصين الرئيسية ولا سيما في المناطق الواقعة على السواحل الصينية الجنوبية الشرقية المزدهرة بالتجارة الخارجية ، وكان ميناء "كانتون" مركزاً لتصدير البضائع الصينية إلى بلاد العرب واستيراد السلع العربية ، كما كان التجار العرب والفرس الأكثر مالاً والأكثر عدداً أيضاً ، وحملوا معهم إلى تلك البلاد البعيدة المنتجات العربية، ناهيك عن الدعوة إلى الإسلام و الأفكار الإسلامية و تحمسوا لنشرها بين الصينيين .^(١)

و لقد ظل الكثير من المؤرخين يختلفون في تحديد الوقت الذي دخل فيه الإسلام بلاد الصين ، و لكن في خضم هذا الاختلاف لا بد وأن تظهر رواية على أخرى ويسطع دليلها وتثير حجتها في بيان الوقت الذي دخل فيه الإسلام بلاد الصين .

(١) هادي العلوي، المستطرف الصيني، سوريا، دار المدى للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م-٢٠٠٠م، ص ٢٩٥ .

كان دخول الإسلام إلى الصين في السنة الثانية لحكم الإمبراطور "يونغ هوي" فيما يقابل عام ٦٥١م، وهذه الرواية مبينة دون غيرها في التدوينات التاريخية الصينية للأستاذ "تشن يوان" أحد المؤرخين المرموقين في العهد القريب.

تشير هذه الرواية إلى أن العرب في عام (٦٥١م) أوفدت مبعوثاً لها إلى الصين وهو مبعوث الخليفة عثمان بن عفان τ وأحد قواده لمرافقة السفير الصيني في عودته إلى بلاده ، حيث أرسله إمبراطور الصين لحل مشكلة "فيروز بن يزدجرد" ملك الفرس مع العرب ، وليتبين قوة العرب المسلمين التي تواجه الفرس ، وعندما وصل مبعوث الخليفة إلى الصين أكرمه إمبراطور الصين ، حيث أطلعه على أحوال بلاد الإسلام وأحكام الإسلام الأساسية . ومن هنا كان مبعوث الخليفة عثمان بن عفان τ مؤشراً أولاً لدخول الإسلام إلى الصين في مهمة رسمية لإظهار الإسلام لم يتوقف

دخول الإسلام إلى الصين عن طريق بعض المهام الرسمية، بل دخل من باب العلاقات التجارية، سواء من خلال الطريق البري أو عبر الطريق البحري، أما من حيث الطريق البري فقد كان عبر آسيا الوسطى من العراق إلى شمال غرب الصين، بفضل التجار العرب من المسلمين، الذين وفدوا بقوافلهم لتبادل التجارة، والحصول على منتجات الصين من الحرير والشاي وغيرها (١).

أما من حيث الطريق البحري فقد كان عبر المحيط الهندي وبحر الصين إلى الجنوب من تلك البلاد بقصد التجارة وتبادل السلع ، وتشهد على ذلك الآثار والمخلفات الإسلامية القديمة ، التي لاتزال قائمة إلى اليوم في "كانتون" منها لوحة حجرية نقوش عليها كتابة باللغة العربية ، وفي أسفلها ترجمتها المدونة في اللوحة المذكورة أن الدين الإسلامي قد أرسى قواعده في هذا المكان،

(١) إبراهيم فنج جين يوان، الإسلام في الصين ، بكين ،ترجمة محمود يوسف لى هواين ، دار النشر باللغات الأجنبية ، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص ٧ - ١٣ .

منذ (٨٠٠ سنة) ومعنى ذلك أن الإسلام دخل لأول مرة في جنوب الصين حوالي منتصف القرن العاشر الميلادي . فأكثر الظن أن الإسلام دخل إلى الصين عن طريق التجار العرب الذين ساروا في الطريق البحري الذي كانت تتبعه السفن التجارية (١) .

أما أقدم اتصال سياسي بين الصين والعرب كان بالطريق البري ، وذلك بسبب الاتصال الذي تم بين إمبراطور الصين وبين "فيروز بن يزدجر" وقد نتج عنه مساعدة إمبراطور الصين "فيروز بن يزدجر" محتجاً ببعيد الشقة ، غير أنه أرسل رسول إلى عاصمة الخلافة "المدينة المنورة" للدفاع عن قضية "فيروز بن يزدجر" وليتبين قوة الجماعة الإسلامية (٢) .

كما دخل الإسلام الصين من باب الفتح الإسلامي ، وذلك في عهد الوليد بن عبد الملك ففي عام (٩٦ هـ) فتح قتيبة بن مسلم "كاشغر" وهي على حدود الصين وقد دارت بينه وبين ملك الصين

المراسلات ، حيث قال ملك الصين لرسول قتيبة بن مسلم : انصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له ينصرف فإني عرفت حرصه وقلّة أصحابه ، وإلا بعثت إليكم من يهلككم ويهلكه ، فقال رسول قتيبة: كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله عندكم وآخرها في منابت الزيتون، وإن لنا أجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه، فقال الملك فماذا يرضيكم ؟ قال رسول قتيبة إن القائد حلف أن لا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ويأخذ الجزية منكم، فقال: فإننا نخرجه من قسمه فنبعث إليه بتراب من تراب أضنا فيطؤه ، ونبعث ببعض أبنائنا فيختمهم ، ونبعث إليه بجزية يرضاها ، ثم بعث ملك الصين إلى قتيبة بالهدايا والجزية و بعث بأواني من ذهب فيها من تراب الصين وأربعة غلمان من أبناء الملوك، فقبل قتيبة بن مسلم الجزية والهدايا ووطئ التراب ،

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، هاريمان ، الطبعة الفرنسية، بدون تاريخ، مادة الصين ٨٦٦/١ وما بعدها .
(٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ، بيروت ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان، بدون تاريخ، ٤ / ٢٦٤ ، ٥ / ٧٣ .

وختم الغلمان ثم عاد إلى "خراسان" ^(١) ومما ساعد على دخول الإسلام وانتشاره في بلاد الصين كثرة البعثات التي أرسلتها الدولة الإسلامية ، فعلى سبيل المثال أرسل الخليفة العباس أبو جعفر المنصور ما يقرب من أربعة آلاف مقاتل إلى الصين تحت قيادة "آن لوشان" وقد أسهمت هذه القوات بقسط كبير في نصره إمبراطور الصين واستعادة الأمور الصينية إلى طبيعتها وتوطيد العرش لإمبراطور الصين ، وأجاز لهم الإمبراطور الإقامة في بلاد الصين مع جواز التزوج من بنات الأهالي ومصاهرة الأعيان من الصينيين ، وإعطائهم ما يحتاجون إليه فأقاموا على شروط وهي استقلالهم في إدارتهم الخصوصية وعبادتهم وإشهارها ، فأجاز لهم مطلبهم ، لكن فرقهم على المدن العظيمة في مملكته وصار في كل مدينة مستقلة بالمسلمين على حسب كثرتهم وقتلهم مستقلين في أحكامهم الخصوصية مشهرين لشعائر الدين ، ولهم قضاة وأئمة بحيث لا يتدخل فيها الحكم الصيني إلا في عموم السياسة ^(٢) .

و قد ثبت في سجلات أسرة "تانغ" أن دولة الصين كانت تمنح الأسرة الإسلامية المقيمة في ولاية

"سيانغو" خمسمائة أوقية من الفضة كل سنة ، وذلك مكافأة لهم على نجدتهم لإمبراطور الصين. (٣)

هاجرت أعداد كبيرة من العرب و الفرس المسلمين إلى الصين بفضل الاتصالات الاقتصادية التجارية

و السياسية بين العرب و الصين واستوطنوا هناك و نشروا الدين الإسلامي و جعلوا من بينهم قضاة

ورؤساء، حتى وصل الود بينهم شأناً عظيماً . و نظراً لعناية الإمبراطور الصيني بالتجار المسلمين من

العرب و الفرس، فقد ازداد عدد الذين استوطنوا من العرب الصين من هؤلاء التجار سنة بعد سنة .

(١) أبو جعفر الطبري، مرجع سابق، ٦ / ٥٠١ - ٥٠٣ .

(٢) محمد ببيرم التونسي، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار ، القاهرة ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٢ ، ١ / ٢٣ .

(٣) عباس محمود العقاد، الإسلام في القرن العشرين، لبنان ، دار الكتاب العربي ، الجزء الرابع ، ص ٥٢ .

و كان من بينهم عدد ممن هاجروا إلى الصين بزوجاتهم و أولادهم، و منهم عدد ممن تزوجوا بفتيات

صينيات (١) .

لقد توثقت الروابط بين المسلمين والصينيين عن طريق المصاهرة سواء بين الأفراد أو الأمراء و

الملوك، ففي القرن الرابع الهجري أوفد الأمير المسلم نصر بن أحمد الساماني من قبله رسولا إلى ملك

الصين يخطب ابنته لابنه الأمير نوح، فقبل أبو هاو جهزها وأرسلها إلى خراسان وتزوج منها نوح فإن

هذا يعد من الأمور الميسرة لدخول بلاد الإسلام بلاد الصين و نشره و ظهور الثقافة الإسلامية هناك.

لقد أخذ الإسلام ينتشر في الصين أكثر و أكثر خلال عصر أسرة "سونغ" خاصة المدن الواقعة على

خطوط المواصلات البحرية و البرية ، و انتشرت المساجد في الأماكن المأهولة بالجاليات الإسلامية ،

سواء في العاصمة الصينية أو في المدن الساحلية . (٢)

أما عن ازدهار الإسلام في بلاد الصين ، فقد حدث خلال عهد أسرة "يوان" (١٢٧١-١٣٦٨) ميلادية

، لا سيما بين القادة المسلمين من جيش المغول ، وقد تبني حكام هذه الأسرة سياسة التسامح مع

الأديان الأخرى المختلفة ، وسمحوا بنشر الإسلام ، وذلك نظراً لكثرة المسلمين القادمين إلى الصين وتنوع عناصرهم الاجتماعية ، وقد ضموا تجار عسكريين وحرفيين وعلماء وسياسيين وأعيان . وبعد أن انتظم هؤلاء المسلمون في القنوات المغولية أسهموا في خوض غمار الحرب من أجل الاستيلاء على الصين كلها ، وانتهى بهم الأمر إلى أن توزعوا هنا وهناك لحماية الأمن العام ، أو لاستصلاح الأراضي البور في نظام عسكري .

(١) إبراهيم فنغ جين يون، مرجع سابق، ص ١٤ .

(٢) ياقوت الحموي، مرجع سابق، المجلد الثالث مادة (الصين) .

وقد زار الرحالة ابن بطوطة عدة مدن ساحلية في الصين في منتصف القرن الثامن الهجري وتحدث عن حسن لقاء المسلمين له فيها ، وأن للمسلمين مدينة ينفردون بسكانها ولهم فيها المساجد لإقامة الصلاة والشعائر الدينية وإقامة الجمعيات وسواها وهم معظمون ومحترمون (١) .

كما ظهر أيضاً خلال حكم أسرة "يوان" لبلاد الصين لمدة ٩٠ عاماً أن اصطحبوا فريقاً من الموظفين الأجانب خصوصاً من المسلمين الذين سكنوا آسيا الوسطى وكان المسلمون على خلق رفيع وأدب جم ، والإسلام ينتشر ويزدهر في بلاد الصين لدرجة أنه يشترط في امتحان الخانبيين (الصينيين الأصليين) بالشرط الأول معرفة اللغة المغولية والشرط الثاني معرفة دين الإسلام ، ومما يدل على مشاركة المسلمين في الحكم أنه كان على ثماني مقاطعات من اثنتي عشرة مقاطعة في المملكة حكام مسلمون ماعداً رئيس الوزراء ، أمثال حسن وأحمد وتولا سا والقائد الكبير شمس الدين عمر وغيرهم من الوزراء والقواد المسلمين (٢) .

(١) ابن بطوطة، مرجع سابق، ص ٥٦٨ .

(٢) محمد تواضع الصيني، مرجع سابق، ص ١٠ ، ص ١١ .

الفصل الأول

مظاهر النشاط التجاري في الصين

- الأثر الفاعل للمسلمين في التجارة الصينية

- موانئ ومراكز التجارة في الصين

- السلع التجارية المتداولة في الصين

الأثر الفاعل للمسلمين في النشاط التجاري :

لقد دل التراث الإنساني لشعوب الشرق ، وخصوصاً في أرض الصين، على الأثر الفاعل للعرب في التجارة الدولية ، كما دلت الآثار الحضارية التي احتفظ بها الصينيون في تراثهم أو تفاعلت مع حضاراتهم على ذلك الأثر للعرب ، وأنهم كانوا واسطة العلاقات التجارية بين الشرق والغرب. وقد أكدت معظم المصادر التاريخية والصينية منها ، على وجه الخصوص ^(١) أن العرب عرفوا بلاد الصين وترددوا عليها منذ فترة مبكرة ، وأن العلاقات التجارية قد توطدت حتى أصبح العرب الشركاء الرئيسيين للصينيين في الميدان التجاري ، وأن التجارة العربية هي واسطة التجارة الصينية إلى غرب آسيا وأوروبا وأفريقيا ، وأصبحت معها مراكز التجارة العربية هي السوق الرئيسية للتجار الصينيين خارج الصين ^(٢) .

وتكشف الحوليات الصينية القديمة عن رغبة الإمبراطورية الصينية سنة ١٣٩ ق.م في تنمية علاقاتها، وبخاصة التجارية مع ممالك آسيا الغربية، ومنها شبه الجزيرة العربية. وأشارت تلك الحوليات إلى وجود أماكن استيطانية للعرب سنة ٣٠٠ م في ميناء "خانفو" (كانتون) (جوانج تشو) الحالية أهم مدن ولاية (كونج تونج) الجنوبية وأهم مراكز التجارة الدولية في الصين ^(٣) أما في القرن السادس الميلادي فكانت المبادلات التجارية بين العرب والصينيين مزدهرة ونشطة بشكل يلفت الانتباه ويدعوا إلى القول بأن العرب كانوا أهم الشركاء التجاريين للصين والتجارة الصينية .

وقد زادت أهمية هذه العلاقات بعد ظهور الإسلام ، وزادت نشاطاً و تنوعاً بسيادة المسلمين البحرية على المحيط الهندي ، وسيادتهم على التجارة الدولية آنذاك .

(١) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب و الصين ، مرجع سابق ، ص ٨ ، ٢٠ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٨ - ٩ .

(٣) Broon Hall , Islam in china (aneglected problem) London ,1910,p 8. (٣)

كما زادها تطوراً العديد من المستجدات التي صاحبت توسع الدولة الإسلامية ودخول الإسلام أقاليم عديدة من قارة آسيا ، وكان أبرزها بدء علاقات دبلوماسية بين الجانبين ، ووجود حدود مشتركة بينهما ^(١) ، وهما عاملان لم يكونا موجودين قبل الإسلام ، ونتج عنهما وجود ظروف مناسبة ودوافع محرّكة لانتقال المؤثرات الحضارية بينهما .

تذكر الحوليات الصينية أن أول اتصال رسمي بين المسلمين والصينيين حدث في وقت مبكر من القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) وبالتحديد في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ط ، إذ وصل سفير صيني إلى المدينة عاصمة الخلافة الإسلامية ، وأوفد معه الخليفة عثمان مبعوثاً أو وفداً وصل عن طريق البحر إلى ميناء كانتون الصيني في الثاني من المحرم سنة ٣١ هـ (الخامس والعشرين من أغسطس سنة ٦٥١ م) ^(٢) . وقد نتج عن هذه الوفادة موافقة الإمبراطور الصيني (جاو - زونج ، gao-zhong) (٦٥٠-٦٨٤ م / ٣٠-٦٥ هـ) على إعطاء الحرية للمسلمين الموجودين على أرض الصين ، كما وافق على إقامة مسجد لهم في خانفو (كانتون) يمارسون فيه شعائر دينهم وتضيف المصادر الصينية أن المسلمين أقاموا لهم بيوتاً جميلة تختلف في طراز عمارتها عن العمارة الصينية ، كما عينوا لهم رئيساً (إماماً أو قاضياً) يطيعون أوامره ^(٣) وكان الإمبراطور الصيني قد عرف من الوفد الإسلامي طبيعة الدولة الإسلامية الناشئة والتطورات التي صاحبت حركة الفتح والدعوة إلى الإسلام. ^(٤)

(١) الطبري، مرجع سابق، ج ٦ / ص ٥٠٠ ، ص ٥٠٤ ، بدر الدين ، العلاقات بين العرب و الصين ، مرجع سابق ص ٢٧ ، ٣٠ .

(٢) عبد الرحمن ناجونج ، مختصر تاريخ العرب في العصور الوسطى، بكين ، دار النشر باللغات الأجنبية ، ١٩٧٨ م ، ص ١٣٠ .

(٣) إبراهيم فنج جين يون ، مرجع سابق، ص ٧ ، ٨ .

(٤) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب و الصين ، مرجع سابق، ص ١٥٩ .

ثم تواصلت بعد ذلك السفارات بين الجانبين ، وما قيل عن وصول تسع وثلاثين سفارة إسلامية إلى أرض الصين في الفترة (٦٥١-٨٠٠ م / ٣١-١٨٤ هـ) أمر لا يستبعد ، وخصوصاً أن المصادر الصينية ذكرت ذلك ^(١) ، بعكس المصادر الإسلامية التي قليلاً ما رصد مؤلفوها شيئاً عن هذه السفارات . وما ينبغي الإشارة إليه هو أنه ليس بالضرورة أن تكون هذه السفارات رسمية ، وأيضاً ليس بالضرورة أن يكون مصدرها الخلافة الإسلامية ، فمن الممكن أن يكون بعضها من أحد أمراء المسلمين في بلاد ما وراء النهر أو غيرها من أقاليم المشرق الإسلامي، أو أن يكون أحد التجار المسلمين أو مجموعة منهم قد رغبوا في مقابلة الإمبراطور الصيني لعرض متاجرهم عليه ، وقد جرت العادة بمثل هذه الدعاية التجارية قديماً ، أو أنهم كانوا في مهمة تجارية يأملون من خلالها الحصول على امتيازات تجارية أو تسهيلات أو نحو ذلك. ^(٢) تواصلت العلاقات بين الجانبين واستمر تفاعلها وتعددت مجالاتها لتشمل نزاعاً حريباً طارئاً ، أو تعاوناً عسكرياً ناجحاً ^(٣) ، أو مزيداً من الدعم للمبادلات التجارية التي أوجدت مصالح مشتركة بينهما حرص المجتمع على استمرارها والعمل على تطويرها ، ويظهر بوضوح سيطرة الأهداف الاقتصادية على العلاقات بين المسلمين والصينيين زمن الخلافة العباسية التي شهدت نشاطاً دبلوماسياً وتبادلاً واسعاً في المجالات الاقتصادية المختلفة وصل إلى حد وجود بعثات تجارية وصناعية في عاصمتي الجانبين ^(٤) .

وبلغت هذه الصلات قمة نشاطها وتوسعها وعمق تأثيرها بعد التطورات التي أدت إلى اتحاد أقاليم الصين مع الأقاليم الشرقية للعالم الإسلامي تحت السيطرة المغولية بعد نجاح المغول في تأسيس ،

(١) بدر الدين الصيني، مرجع سابق، ص ١٨١ ، إبراهيم فنح جين يون، مرجع سابق، ص ١٣ .

(٢) دنانج هو، المعاملات بين الصين والعرب، مسقط، ندوة الدراسات العمانية، نوفمبر ١٩٨٠م، ص ١٢، ١٣.

(٣) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين، مرجع سابق، ص ٣٦ ، ٤٢ ، مونج كيونج كون، الإسلام في الصين خلال القرنين الأول و الثاني الهجريين، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، قسم التاريخ و الحضارة، ١٤٠٩ هـ، ص ٤٤ ، ١٥١ .

(٤) بدر الدين الصيني ، العلاقات بين العرب و الصين ، مرجع سابق، ص ١٣٢ ، ١٣٥ ، مونج كيونج، مرجع سابق، ص ١٨٢ ، ١٨٦ .

إمبراطوريتهم من تلك الأقاليم (١٢١٤-١٢٩٤م / ٦١١-٦٩٣ هـ) . وقد نتج عن تلك التطورات كثافة التواصل بين أقاليم وولايات الإمبراطورية المغولية ، أي بين الصين والأقاليم الإسلامية الخاضعة لسيطرة المغول ، وكان نتائج ذلك التواصل وتلك العلاقة انتقال جموع ضخمة من المسلمين إلى أرض الصين ، كما توافدت بتشجيع من أباطرة المغول أعداد كبيرة من العلماء والتجار والحرفيين والجنود المسلمين إلى ولايات الصين فاستقروا بها واندمجوا مع أهلها ، وقد اعتمد عليهم أباطرة المغول بصفة أساسية في حكم البلاد وإدارة شؤونها ، فشغل المسلمون مناصب مهمة في الإمبراطورية ، فكان منهم حكام لولاياتها ووزراء في بلاطها ، وقادة لجيوشها ومفتشون في إدارتها ومؤسساتها الحكومية (١) .

كذلك برع المسلمون في ميادين الاقتصاد والفكر ، واشتهروا بنشاطهم التجاري ونبوغهم العلمي ، وكانت لهم جهودهم ومشاركتهم التي استوعبتها الحضارة الصينية وحفظها التراث الصيني (٢) وفي أواخر عهد أسرة يوان المغولية نجحت القومية الصينية في إضعاف سيطرة الحكام المغول على الأقاليم الصينية ، ومهدت لإنهاء حكمهم وتأسيس إمبراطورية صينية خالصة تحت حكم أسرة منج . والملاحظ أنه كان للمسلمين مشاركة فاعلة في هذه التطورات إلى جانب الصينيين ، مما كان له تأثير إيجابي في نفوس الحكام الجدد الذين نظروا بعين الرضا والتقدير للجهود التي بذلها المسلمون وزعمائهم في دعم الصينيين وثورتهم وأيضاً للحفاظ على المصالح التجارية لإمبراطوريتهم ، وهو ما دعاهم أيضاً إلى توسيع علاقاتهم وتقويتها مع أقاليم أخرى من العالم الإسلامي ، وخصوصاً مع مسلمي أرخبيل الملايو ومسلمي الهند والأمراء العرب في الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية وسلطين مصر وأمراء الساحل الشرقي لإفريقيا ، وقد بلغت تلك الصلات قمة نشاطها في السنوات العشر التي حكم فيها الإمبراطور (جوان - يونج ، gwan - uong) (١٤٢٦ - ١٤٣٥ م / ٨٢٩ - ٨٤٠ هـ) (٣) .

(١) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب و الصين ، مرجع، سابق ، ص ١٨٦ ، ١٨٩ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٠ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٣٠ ، ٢٤١ .

موانئ ومراكز التجارة في الصين :

كان ازدهار موانئ المحيط الهندي و بحر الصين راجعاً بصفة أساسية إلى ثراء تلك المنطقة من العالم باحتياجات الغرب لكثير من سلع آسيا وأفريقيا والتي اشتد الطلب عليها في هذه الفترة وكان الطريق الرئيسي الذي تمر عبره السلع إلى أوروبا هو المحيط الهندي، فالخليج العربي أو البحر الأحمر، وبالإضافة لهذا النشاط العالمي كانت هناك حركة نشطة في المبادلات التجارية بين دول وإمارات المحيط المختلفة .

فغير هذه الموانئ شحنت نسبة كبيرة من التجارة العالمية في هذه الفترة وهو الأمر الذي تؤكدته كثرة السفن في المحيط بل ضخامتها وحمولتها التي جاوزت ثلاثة أضعاف مثلتها الأوروبية، ودربه ربابنتها وملاحها على قيادتها في هذا المحيط الهادر الذي كان يبدو بلا نهاية في ذلك الوقت بالمقارنة بمنطقة الملاحة البحرية الثانية والمتمثلة في البحر المتوسط . إن الصورة التي ترسمها المصادر المعاصرة لتبدو عامرة بالحياة والحركة التي لا تهدأ . فالسفن تأتي دوماً وعمليات التفريغ والشحن مستمرة، فضلاً عن جلب السلع من الداخل وعلى الرغم من أن الملاحة خاصة بين أقصى موانئ المحيط في الشرق وأقصاها في الغرب والساحل العربي كانت تتم في فترات معينة من السنة حسب دورة الرياح الموسمية إلا أن الحركة التجارية بين تلك الموانئ استمرت طوال العام، حيث تبادلت الموانئ القريبة من بعضها التجارة فيما بينها . إن كثرة تلك الموانئ في ذلك العصر وانتشارها على طول الطريق الساحلي للمحيط والجزر المنتشرة فيه لأمر يؤيد الرأي القائل بعظم حجم التجارة المتداولة، بل كثرة الأيدي العاملة في هذا المجال من تجار وبحارة ووكلاء تجاريين ووسطاء، وخير شاهد على عظمة تلك الموانئ هو حديث من رآها رأي العين وعاشها على الواقع . لذلك سيكون اعتمادنا الأكبر على كتب الرحالة الذين جابوا المنطقة خصوصاً ماركوبولو وابن بطوطة والمسعودي وباربوسا^(١) . تميزت الصين بوفرة المنتجات الطبيعية ، لذلك كان الطبيعي أن تنتشر الموانئ على سواحلها ، عارضة منتجاتها و جالبة ما تحتاجه الصين،

(١) شوقي عبد القوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، الكويت، سلسلة عالم المعرفة،

من منتجات المناطق الأخرى و أول ما يقابل المسافر إلى الصين من الغرب جزيرة هاينان (لا تزال تحتفظ بهذا الاسم) ، و كان لهذه الجزيرة خمسة موانئ على الساحل الشمالي و أهمها "شونج شانج" ، و "تشنج ماى" ، و "وولنج" و فى تلك الموانئ مأمور الضرائب و رجال الجمارك ، ووجد فيها كثير من الأجانب ، كان المسلمون أهم عناصرها وقد أثروا في عادات الأهالي ، حيث كان يوجد فى شرق مدينة "وان آن" التي تقع في جنوب غرب الجزيرة معبد للقبطان توكنج . وكان المارون على المعبد يقدمون إليه القرابين ويدعونه ليساعدهم في رحلتهم ، وكان تقديم لحم الخنزير ممنوعا كما هو ممنوع في الإسلام^(١) .

ومن أهم موانئ الصين "ميناء الزيتون" ، كتسمية ابن بطوطة ويطلق عليه ماركوبولو "زائى تون" والاسم الأصلي له "Tche-Tung" "جوان شوالان". وقد أكد كل من ماركوبولو وابن بطوطة على عظمة ميناء الزيتون ، ولكن ماركوبولو بالغ في حجم كمية الفلفل الموجود مقارناً بينها وبين الإسكندرية . وهذا بعيد عن الواقع كان من المعروف أن الصين ليست المنتج الوحيد للفلفل في المحيط الهندي ، بل يشاركها في ذلك أغلب الجزر الآسيوية والهند كما أن تلك الدول المنتجة للفلفل لا تستورد الفلفل من دول أخرى . فلديها اكتفاء ذاتي إذا تبقى دول استيراد الفلفل وهي دول الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية ومصر . وكل هذه الدول جميعها تستهلك قدرًا ضئيلاً لأن المستهلك الرئيسي للفلفل في أوروبا، ولما كانت النسبة الكبرى تصدر عن طريق الإسكندرية التي يصلها فلفل الصين ، وكذلك فلفل جميع دول المحيط الهندي المنتجة له . وبما أن السلعة الموجودة بميناء الزيتون بالصين ستصدر بحراً ولا براً فإنها لابد من أن تذهب كلها أو أغلبها إلى الإسكندرية بالإضافة إلى المنتج المصدر من باقي مناطق المحيط الهندي إذا ليس من المعقول أن يتضاءل حجم الفلفل في الإسكندرية ليكون بنسبة ١% من حجمه في ميناء الزيتون. أما لماذا ذهب ماركوبولو هذا المذهب فإنه ربما صادف وجوده في الإسكندرية ميعاداً غير مواعيد تصدير الفلفل فلم ير كميات كبيرة منه،

(١) بدر الدين الصيني، العلاقات بين الصين والعرب، مرجع سابق، ص ١٣١.

وبالمثل كان وجوده في الزيتون في موعد تصديره فرأى كميات كبيرة . ثم إن اتخاذ الإسكندرية كمدينة للمقارنة لدليل على شهرة وعظمة الإسكندرية في مجال التصدير في ذلك الحين. (١)

وقد شاهد ابن بطوطة بهذا الميناء نحو مائة سفينة من سفن الجنك الضخمة عدا كثرة من السفن الصغيرة التي لا تحصى . مما ينبئ عن حركة تجارية هائلة بهذا الميناء ويؤكد هذا قول ماركو بولو: "إن مقادير الفلفل المصدرة هناك بالغة الضخامة بحيث إن ما يحمل إلى الإسكندرية لتزويد الأصقاع الغربية من العالم يعد قدراً تافهاً، بل لعله لايزيد عن ١%"، ويستمر ماركو بولو في إعجابه ، فيذكر أنه لا يستطيع إعطاء فكرة عن احتشاد التجار وتراكم البضائع بالميناء . ولم تكن شهرة الميناء راجعة إلى تصدير السلع فحسب ، بل كانت راجعة أيضاً إلى اشتهاره بصناعة ثياب الكمخا والفناجين والصحون المصنوعة من البورسلين (٢) ويبدو أنه كان بالمدينة تجمع كبير للمسلمين ، حيث كان هناك قاض لهم وشيخ للإسلام ، ومن اسمهما يتضح أن أحدهما على الأقل لم يكن من أهل الصين فالأول هو تاج الدين الأردولي ، والثاني هو كمال الدين عبد الله الأصفهاني (٣) كذلك يعتبر ميناء "خانفو" (٤) (Khanfn) من أعظم موانئ الصين . فهو مرفأ السفن ومجتمع تجارات أهل العرب وأهل الصين . ويذكر سليمان التاجر أن بخانفو رجلاً مسلماً يوليه صاحب الصين الحكم بين المسلمين الذين يقصدون إلى تلك الناحية ، وإذا جاء العيد صلى بالمسلمين (٥) .

(١) ماركو بولو ، الرحلة، ترجمها للإنجليزية وليم مارش وللعربية عبد العزيز جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م ، ص ٢٦٥ .

(٢) ابن بطوطة، مرجع سابق، ص ٤١٧ .، بدر الدين الصيني، العلاقات بين الصين والعرب، مرجع سابق، ص ١٣٠ .

(٣) ابن بطوطة ، مرجع سابق، ص ٤١٧ .

(٤) يسميها ابن بطوطة الخنساء وهي اليوم ميناء كانتون . الرحلة ص ٤١٧ ، بدر الدين الصيني، العلاقات بين

الصين والعرب ، مرجع سابق، ص ١٢٩ .

(٥) المصدر نفسه، ص ص ١٣ ، ١٤ .

ومن الجلي أن المسلمين وصلوا إلى خانفو في زمن مبكر ، واستقروا بها ، حيث يذكر " شو-جو-كوا " أنهم أصبحوا من الكثرة في عام ١٤١ هـ / ٧٥٨ م . بحيث أنهم استطاعوا نهب المدينة وإحراقها لسبب لم يبلغنا وفروا بجرماً بما غنموا . وهذه المدينة من أكبر المدن التي رآها ابن بطوطة على وجه الأرض، مقسمة إلى ست مدن ، وكان بها قاض مسلم وشيخ الإسلام وأولاد أحد كبار التجار وهو مصري^(١) . ومن الموانئ الشهيرة أيضاً في الصين "ميناء لوقين"^(٢) ويصنع فيه الحرير الصيني والمنسوجات متعددة الألوان والأواني الخزفية^(٣) ويذكر ابن بطوطة مدينة كبرى من أكبر مدن الصين وأحسنها أسواقاً ، ومن أعظم أسواقها سوق الفخار حيث يحمل منها إلى سائر بلاد الصين ، واسمها عند ابن بطوطة صين كلان^(٤) ، وهي مدينة "صين الصين" عند مؤرخين آخرين حيث يذكر بدر الدين الصيني نقلاً عن فران Ferand اسم هذه المدينة فيقول : فأما صينية الصين التي وردت في كتب العرب فهي اسم غير صيني وضع لمدينة في الصين ويظهر أنها محرفة عن كلمة فارسية وهي "مهاجين" كما جاء في تحقيق الأعراب لصادق الأصفهاني ، و "مهما" في السنسكريتية، وفي الفارسية القديمة معناه كبير . "قمهاجين" معناه الصين الكبرى صين كلان هي صين الصين أو صينية الصين في الإدريسي فكلمة "كلان" معناها كبرى . وبناء على ما جاء في المعرب لإبن سعيد أن صين الصين هي عاصمة بلاد "مترى" أي ولاية فوكين الحاضرة .^(٥)

(١) ابن بطوطة ، مرجع سابق، ص ص ٤٢١ ، ٤٢٢ .

(٢) لوقين هي تونكين الحالية. بدر الدين الصيني، العلاقات بين الصين والعرب، ص ١٢٩ .

(٣) بدر الدين الصيني، العلاقات بين الصين والعرب ، ص ١٢٩، سيدة الكاشف، علاقة الصين بديار الإسلام ، جامعة القاهرة، مجلة كلية الآثار ، العدد الأول، ١٩٧٥، ص ٥٧ .

(٤) ابن بطوطة، مرجع سابق، ص ٤١٨ .

(٥) شوقي عبد القوى عثمان ، مرجع سابق ، ص ٢٠ ، ص ٢٠١ .

وإلى جانب تلك الموانئ الشهيرة ، وجد كثير من الموانئ الأقل شهرة والتي تناثرت على طول السواحل الصينية . على أنه تبرز حقيقة هامة في المحيط الهندي ، وهي أن مدن الساحل ازدادت أهميتها عن مدن الداخل . كل هذا لأن الحركة الملاحية في الفترة التي تلت ظهور الإسلام كانت أسهل وأوفر من الحركة عبر البر ، وذلك للتطور الملاحي وخصوصاً المرشحات البحرية نتيجة تراكم الخبرات الملاحية، وهو ما يفسر لنا ذلك التحول التجاري بعد التقدم الملاحي (عبر آسيا الوسطى إلى أوربا) إلى مياه المحيط الهندي، بل إن المدن النهرية فاقت المدن البرية في أهميتها الاقتصادية. وبتزايد التبادل التجاري ووضوح أهميته الاقتصادية تزايدت أهمية المدن أو الموانئ البحرية التي كانت عبارة عن مراكز تجارية ضخمة تتجمع فيها منتجات الداخل، بالإضافة إلى منتجات المناطق التي تقد منها السفن التجارية. وكان طبيعياً أن توجد فيها أسواق ضخمة للبيع والشراء، يجتمع فيها أجناس شتى من جميع البقاع، ولذلك كان هناك أناس مهمتهم الترجمة من لغة لأخرى ، كانت الموانئ الثلاث التي فتحت للتجارة الخارجية في إبان عهد أسرة سونج الشمالية هي كانتون ومنجشووها ولكن كانتون كانت أكثرها ازدهاراً^(١) .

أما بالنسبة "لكوانشو" التي كان التجار الأجانب يسمونها ميناء زيتون ، وهو اسم معروف حتى الآن ومشتق من اسم أشجار الزيتون التي تزخر بها شوارع الميناء والتي زرعت تحت إشراف ليوكونج - كسياد حاكم المدينة (٩٤٤-٩٦٢ ميلادية) فكانت تقع عند مصب نهر "جن جنانج" ولذلك فإنها كانت بحكم هذا الموقع ميناء طبيعياً ممتازاً . وبعد ذلك تطورت تدريجياً إلى ميناء مزدهر كانت ترسو فيه سفن تجارية . ومن هنا أنشئ مكتب ملاحظة الملاحة التجارية رسمياً في هذا الميناء عام ١٠٨٧ ميلادية وقد قامت حكومة سونج الشمالية بإنشاء هذا المكتب^(٢) . كان معظم التجار الأجانب في عهد أسرة سونج يتجمعون في كل مرة من كانتون وكوانشو وكان كلهم معهم،

(١) دانج هو ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .

(٢) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

التجار العرب وكان هؤلاء التجار العرب أغنى من التجار الأجانب على الإطلاق . وقد جاءت في كتابات المؤلفين في عهد أسرة سونج أن "تجار داشي" كانوا أغنى التجار الوافدين من البلاد الأجنبية وأكثرهم إقتناء "للكنوز" وهذا يتعلق بعدد كبير من تجار التوابل . وبعد انتشار الحروب في آسيا الصغرى ، وخاصة منذ عهد أسرة سونج وتحطم الاقتصاد الاجتماعي هناك وازداد عدد المتجهين شرقاً . بل إنهم استقروا في الصين ، كانت هناك مناطق خاصة يقيم فيها التجار الأجانب في كل من كانتون وكوانشو ، وكان يطلق على هذه المناطق اسم فاندفانج "أحياء الأجانب" وكان يديرها ضابط يدعى فان جانج (رئيس حي الأجانب) وكان يجرى اتصالات بالتجار الأجانب الوافدين إلى الصين، وكان الرئيس شخصياً يتم اختياره من بين الأجانب على أن يكون متمتعاً بخلق كريم وسمعة طيبة . ويتم تعيينه من قبل حكومة سونج^(١) .

أما بالنسبة لظروف الحي المخصص للأجانب في كانتون ، فقد روي ابن بطوطة الرحالة العربي المغربي بعد رحلته للصين عند نهاية حكم أسرة يوان (١٣٤٧م) أنه "كانت ثمة قطعة أرض في المدينة كان يعيش فيها المسلمون . وكان هناك جامع كبير وجوامع صغيرة وأسواق كما كان فيها قاض وشيخ وكان المسلمون موجودين في مدن صينية كثيرة ، وكان للمسلمين في كل منطقة شيخ يرعى مصالحهم وقاض يتولى القضايا الشرعية" كان هذا التنظيم أكثر حزمًا مما شاهده سليمان في القرن التاسع الميلادي وأن القاضي كان أيضا هو الذي يؤم الصلاة . لقد أقام بعض التجار المسلمين في عهد أسرة سونج في الصين عشرات السنين كما أقام بعض التجار منهم أجيالاً عديدة وقد تزوجوا نساء صينيات وأنجبوا منهن أطفالاً ، ولذلك أنشئت مدارس خاصة لتربية أولادهم^(٢) .

وكانت تلك المدارس تسمى "فان كسوى" (مدارس الأجانب) وكان بعض الأجانب يجلسون للامتحانات الصينية ويجرى اختبارهم لبعض المناصب^(٣) .

(١) دانج هو ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

(٢) ابن بطوطة ، مرجع سابق، ص ٤٢١ .

(٣) دانج هو ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

السلع التجارية المتداولة في الصين :

لم يكن نطاق التبادل التجاري على صفحة مياه المحيط الهندي وموانيه قاصراً على التجارة ما بين مناطق الشرق والغرب فحسب ، بل انتقلت تجارته إلى مختلف بلدان العلم ، كما أن تجارات العالم المعروف حينذاك خصوصاً أوربا ومصر صبت فيه أيضاً ، وهو ما يعني أن النشاط التجاري في المحيط الهندي اكتسب صبغة عالمية ، ولم ينحصر في النطاق المحلي وحده . ويجدر بنا هنا أن نؤكد على أنه كان مسموحاً للسلع العالمية بالتداول فيه دون وجود تجار العالم الخارجي . وكانت تجارة المحيط الهندي أو سلعه هي الأكثر أثراً في مجال التجارة العالمية حينذاك . ولم تكن تلك التجارات تتداول طوال العام ، بل تحكمت الرياح الموسمية في مواعيد الاتجار وكانت السفن هي الوسيلة لنقل السلع^(١) .

في أغسطس من عام ١٩٧٤ عُثر في قاع خليج تسي تون أو تشيوانتشو الآن على سفينة خشبية بحالة جيدة ، يرجع تاريخها إلى ما بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر، وبدا واضحاً لأول وهلة أنها سفينة تجارية، إذ كانت من النوع الكبير أو الضخم بمعايير القرن الثاني عشر إذ بلغ طولها ٢٤ متراً وعرضها ٩ أمتار وربعاً وعُثر في مقصورتها على بقايا خشب الصندل المعطر وعقاقير طبية ولبان وفلفل ودرع وسلحفاة وبخور وعنبر، كما عثر في الجزء المظموور من السفينة على لوحة خشبية مكتوب عليها اسم "على" ربما كان اسم صاحب السفينة أو أحد التجار العرب الكبار^(٢)، وبعض محتويات السفينة من منتجات بلاد العرب ، الأعشاب الطبية واللبان ، الذي اشتهرت به مناطق عمان في ذلك الزمان ،

(١) شوقي عبد القوي عثمان، مرجع سابق، ص ٢٠٥ .

(٢) تشيوانتشو ، مرفأ الحضارات، مجلة بناء الصين، عدد مايو، ١٩٧٩، ص ١٥ .

وبعضها - مثل الصندل الأحمر - واضح أن تم نقله من أماكن أخرى- سواحل أفريقيا مثلاً - لحساب التجار الصينيين ، غير ما كان ينقل عادة من سواحل فارس والهند (١) .

ومنذ سنوات عديدة أيضاً عُثر في أطلال مدينة الفسطاط جنوب القاهرة ، على الألوف من أواني القيشاني الصيني وثبت من الفحوص أنها من منتجات محافظة يوييا وبمقاطعة تشجيانغ في أسرة سونغ ، ونقلت إلى مصر على يد التجار العرب عبر الشام (٢) .

وتبين أيضاً أن الخزف الصيني وصل إلى مصر على عهد أحمد بن طولون . حاكم مصر في منتصف القرن التاسع الميلادي ، ثم قام المصريون بتقليده في عهد الدولة الفاطمية (٩٦٩ - ١١٧٠م) وبلغ هذا التقليد ذروته في عصر المماليك (١٢٥٠ - ١٥١٧م). (٣)

وبالمقابل نقل العرب إلى الصين علوم الطب والرياضيات والفلك فنجحت الصين في زراعة الأعشاب الطبية الواردة من بلاد العرب. حتى عرفت اللغة الصينية بعض أسماء العقاقير الطبية المتداولة عند العرب والأحجار الكريمة مثل روشيانج (اللبان العربي) ودواء مويواو من "المر العربي" وخلوصبا "الحلبة" ويابلو من جذور الداتورة (من النباتات الطبية) حتى (التربة) فإنها تنطق بالصينية (توبا) ومن الأحجار الكريمة ياقو (الياقوت) وزمولا (الزمرد) (٤)، ولتبيان مدى حركة النشاط التجاري ينبغي أن نعرض السلع التي دخلت في نطاق التبادل التجاري والدوافع التي كانت وراء ازدياد أو قلة الطلب على سلعة ما ، ومناطق إنتاج السلعة ، وبطبيعة الحال لن نستطيع ذكر كل سلعة على حدة ، لأن السلع التي دخلت في مجال التبادل التجاري تبلغ المئات ولذلك سندمج كل مجموعة متشابهة إلى حد ما من السلع في مجموعة واحدة،

(١) فهمي هويدي ، الإسلام في الصين ، ص ٥٦.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٦.

(٣) المصدر نفسه ص ٥٧.

(٤) عبد الرحمن ناجونج ، مرجع سابق ، ص ١٣٣.

وأهمها التوابل، والبخور، والعمور والجواهر، والأحجار الكريمة والمعادن - المنتجات الغابية (حيوانية ونباتية)، الخيول، منتجات صناعية (منسوجات، بورسليين وفخار) الرقيق، وكان من بين البضائع التي ينقلها التجار العرب إلى الصين اللبان والعنبر وكافور برنيو وماء الورد والمر ودم الأخوين وزيت الميعة والحلتيت والسلوع واللؤلؤ والعقيق وقرن الكركدن والعاج والأواني الزجاجية .. الخ، وهي منقسمة إلى ثلاثة أبواب: باب البخور والعقاقير، وباب العاج وقرن الكركدن، وباب المجوهرات، وأهمها البخور والعقاقير التي كانت تلقي إقبالاً عظيماً في مختلف أنحاء الصين. ولما شاع بين أفراد الأسرة الحاكمة والنبلاء أن يدخنوا غرفهم أصبحوا يستهلكون مقادير هائلة من البخور وكانوا يتخذون من العنبر شموعاً في القصور. وإلى جانب ذلك كانت الأدوية والأطعمة ومستحضرات التجميل تتضمن البخور أيضاً. وكانت ظفار في أرض عمان وجنوب الجزيرة من أهم مواطن البخور الذي تشتريه الصين. وكان تجار العرب المتنفذين في مواطن البخور يسوقون معظم تجاراتهم من البخور إلى الصين وكان البخور الأكثر استهلاكاً في عهد أسرة سونغ هو اللبان العربي. وقد أفادت إحصاءات التجارة الخارجية في العام العاشر من فترة شي ينغ (١٠٧٧م) في عهد الإمبراطور تشونغ أن مقدار اللبان الذي تجمع في كانتون وحدها قد بلغ ثلاثمائة وأربعين ألف جين كان اللبان باعتباره من المبيعات المحصورة محتكراً من الحكومة وكان البخور والملح والزجاج تدر على البلاد أموالاً طائلة^(١). كذلك كان الفلفل في الصين يقدم مراراً كمكافأة مقابل الخدمات المقدمة للدولة في عهد أول إمبراطور لأسرة المنج (Ming) وقد سجلت هذه الممارسة لأول مرة في عام ١٣٧٩م. وخلال العامين (١٣٩١ - ١٣٩٢م) حيث تقاضى ١٣٨٠٠ ضابط وجندي مثبتين بالخدمة البحرية و ١٢٠٠٠ جندي عملوا ببناء السفن مكافأتهم بهذه الوسيلة.

(١) قوة ينغ دة، مرجع سابق، عدد يناير ٢٠٠٣، ص ٥٠.

وفي عام ١٤٠٣م أعطيت مكافأة من الفلفل لموظف لصنعه الخاتم الإمبراطوري . كما ورد ذكره في إحصاء لثروة أحد رؤساء الوزارة في الصين أعدم لتعامله مع دولة أجنبية^(١) مما يدل على عظم قيمة الفلفل وارتباطه بالثراء والترف لدى الصينيين. والزنجبيل من التوابل التي اشتد الطلب عليها أيضاً في الأسواق العالمية ويشبه الفلفل في طبيعته، وإن لم يستخدم في تنبيل الأطعمة واستعمل بكثرة كمشروب كما دخل في صناعة العقاقير حيث يجلو البرد والرطوبة من الحلق ويشفي برد المعدة والكبد وأجوده ما كان طرياً خالياً من السوس والعفونة ، ومناطق إنتاجه هي مناطق إنتاج الفلفل نفسها^(٢) .

وكان القرنفل أيضاً من التوابل المطلوبة في الأسواق ومناطق إنتاجها الهند والشرق الأقصى وإن كان يكثر في إندونيسيا وهو عبارة عن البراعم المقفلة لأزهار شجرة القرنفل وبعد جمعها تعرض للشمس لتجف .. واستخدم لتطيبب النكهة ومعالجة الغثيان . ويذكر (شو - جو - كو) أن كبار موظفي البلاد يضعون القرنفل في أفواههم عند عرضهم لبعض الأمور في حضرة الإمبراطور^(٣) كما كان الطلب شديداً على الدار صيني (القرفة)، وتنتبت ببلاد الصين والملايو والحبشة - وتشبه شجرة القرفة شجرة الصفصاف ، إلا أنها تفوقها ارتفاعاً، ولحاء الشجرة هو الذي يستعمل في صناعة العقاقير الطبية ويفيد في حالات الحمى والدوسنتاريا بالإضافة إلى استعماله في تنبيل اللحوم والمشروبات . أما وجود أصناف الصندل فتؤخذ من الأشجار المعمرة حيث يكون اللحاء رقيقاً والرائحة مخزونة بأكملها فيه .

(١) Tien yu - kang , cheng Hos , Voyages and the Distribution of pepper in China in Y . O . R . A . S . No 2, 1981 . p 188 .

(٢) ابن الوردي (سراج الدين)، فريدة العجايب وطفرة الغرائب، مصر، ج٢، ١٣٧٦ هـ، ص ٢٢٠ .

(٣) Friedrich Mirth , Die Insel Hainan Nach chao yu - kua . p 209 .

وقد كثر استعماله في الشرق خصوصاً في البلاد التي تحرق فيها جثث الموتى ، حيث تحرق بالخشب المعطر أثناء الاحتفال الديني وتعطر بها الأجسام ضمن ما يوضع فيها من عطور وروائح^(١) .

كذلك يعتبر المسك من العطور طيبة الرائحة ويختلف عن الصندل في أنه إنتاج حيواني ويؤخذ من قط الزباد وهو نوع من الطباء يعيش في التبت والصين، ويوجد المسك في غدة ببطن طباء المسك، فإذا ما حكها في أي شيء انفجرت وأفرغت ما بها، فيخرج الناس لجمعها، وأفضل أنواع المسك وأذكاهما رائحة يأتي من التبت ، يليه السندی ثم الصيني وأفضله ما يأتي من خانفو (٢).

أما العنبر فهو عطر بحري شهير يستخرج من المحيط . وقد اختلفت الأقوال في مصدره فمنهم من قال إنه من البحر، وآخر زعم أنه ظل يقع على بعض الأشجار في البحر ثم يترشح من خلالها وينعقد هناك ، وآخرون قالوا إنه روث حيواني مائي (٣) وقال المسعودي والسيرافي عنه : إن الأمواج تقذفه على الشاطئ ، ويركب أهل الشجر نجباً تعرف بالنجب المهرية تتركب في الليالي القمرية ويسيرون بها على سواحلهم، فإذا رأت النجب العنبر بركت فوقه فيتناوله الراكب (٤) . ولكن ماركوبولو يصف طريقه الحصول على العنبر عند كلامه عن جزيرة سقطري بقوله : "يعثر السكان على سواحلهم على كثير من العنبر الذي يفرغ من أحشاء الحيتان " ،

(١) السيد محمد يوسف ، علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور إلى القرن الرابع الهجري، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة ، المجلد ١٥، الجزء الأول، مايو ١٩٥٣م، ص ٢٨ .

(٢) اليعقوبي (أحمد بن واضح) ، البلدان ، ليدن ١٨٩١ ، ص ٣٩٥ - ٣٩٦ ، ويذكر اليعقوبي أنه عندما يحمل العنبر من الصين إلى الأيالة أحد موانئ الخليج الإسلامي ترتفع رائحته فلا يمكن للتجار أن يخفوه من العشارين (رجال الجمرك) وتدل هذه الرواية على محاولات التهرب من تسديد الرسوم محاولات قديمة .

(٣) القزويني " زكريا بن محمد بن محمود" ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، بيروت ، تحقيق فاروق سعد، ١٩٧٣ ص ٢٨١ .

(٤) المسعودي " أبو الحسن علي بن الحسين " ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، جزآن، طبع سنة ١٢٨٣هـ، طبع سنة ١٣٤٦هـ المطبعة البهية المصرية . ج ١، ص ٧١ . أبو زيد حسن السيرافي ، سلسلة التواريخ، باريس، ١٨١١م، ص ١٣٨ - ١٣٩ .

ونظراً لأن سلعته تجارية يشد الإقبال عليه فإنهم يجعلون حرفتهم الإمساك بهذه الأسماك ويتوصلون إلى ذلك بحرية شائكة يرشقونها في جسم الحوت رشقاً قوياً ثابتاً ، بحيث لا يمكن نزعها ويثبت في هذه الحريونة الطويلة حبل طويل في آخره شمندورة بقصد معرفة المكان الذي توجد فيه السمكة متى ماتت،

وعندئذ يسحبونها إلى الشاطئ ويشرعون في استخراج العنبر من بطنها، بينما يحصلون من رأسها على عدة براميل من الزيت العنبري^(١) وأشهر مناطق إنتاج العنبر الساحلان الأفريقي والعربي، ومن فوائد العنبر على حد قول القزويني : تقوية الدماغ والحواس والقلب تقوية عجيبة ، وينفع المشايخ حداً بلطف تسخينه والشربة من دائق وما فوقه مضر^(٢) وبجانب ما سبق هناك كثير من السلع العطرية الأخرى كالكاפור والعود الهندي ، عود الند وغيرها . ولم تقتصر ثروات منطقة المحيط الهندي وتجارته على التوابل والعطور ولكن كانت هناك أيضاً سلع رائجة جداً في ذلك الوقت مثل اللؤلؤ والجواهر . واشتهرت مناطق إنتاج اللؤلؤ على طول شواطئ المحيط الهندي ، وإن تميزت مناطق بعينها على طول سواحل المحيط كساحل بربره (الصومال) وسقطري، عدن الشحر ، وقطر ، والخليج الواقع بين سيلان والهند وملاكه وسواحل الصين وأعلاه قيمة ما يستخرج من الساحل العربي . وللؤلؤ صفات كثيرة لذلك قسم إلى أصناف منها : المدحرج الذي يسمى القار^(٣) وأكبره القطري نسبة إلى موضع استخراجه عند قطر والعدسة وهي الممتلئة،^(٤)

(١) ماركو بولو، مرجع سابق، ص ٣٢٧ .

(٢) القزويني ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، مرجع سابق، ص ٢٨١ .

(٣) القار هو أثنى أنواع اللؤلؤ ، وتدعي اللؤلؤة المدحرجة بالجوهرة القارة وهي المستديرة لا تضريس فيها ولا طول ولا تفلطح ولا اعوجاج وتكون نقية اللون، ابن ماسويه (يحيى) ، كتاب الجواهر وصفاتها، مصر ، تحقيق عماد عبد السلام ، ١٩٧٧ ص ٢٦ .

(٤) المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

وهناك من الجواهر ما ندر وجوده في معظم الأماكن وكثر في مكان معين كالياقوت الذي اشتهرت به سيلان فقط وكثر بها "يوجد الياقوت في جميع مواضعها" وعلى حسب رواية ابن بطوطة فإن الأرض جميعها ملك للملك ، فمن يريد البحث عن الياقوت يشتري قطعة أرض ويبحث فيها عن الياقوت الذي

يكون في أحجار بيضاء مشعبة، وهذه الأحجار يتكون داخلها الياقوت . وتعطي هذه الأحجار لطائفة

من الصناعات تسمى الحكاكين فيحكونها حتى تنفلق عن أحجار الياقوت (١) .

وينقسم الياقوت إلى درجات : الأحمر والأصفر والأسمانجوني (فمنه الأزرق ، واللأزوردي، والنيلي ، و

الأبيض) وكل درجة من تلك تنقسم إلى أقسام . وللياقوت خواص طبية حيث يمنع نزيف الدم إذا

وضع على المكان المصاب بالإضافة إلى استخدامه كحلي (٢) .

بالإضافة إلى اللؤلؤ والياقوت وجد الزمرد والتوباز والعقيق والفيروز بمناطق المحيط الهندي .

خصوصاً الهند وسيلان والشرق الأقصى، وكل تلك الأحجار الكريمة كانت تستخدم في التزين ، كما

كانت تستعمل أيضاً في بعض الوصفات الطبية والسحرية. (٣)

ويمكننا أن نضيف إلى الجواهر معدناً نفيساً ، كثر تداوله بين مختلف الطبقات رغم ارتفاع قيمته ، بل

إن هذا المعدن النفيس كان عمله رئيسية سادت في المحيط الهندي بل في العالم أجمع ، وكانت تقيم

به السلع ألا وهو الذهب (٤) .

(١) ابن بطوطة ، مرجع سابق، ص ٣٦٩ .

(٢) التيفاشي "أحمد بن يوسف"، أزهار الأفكار في جواهر الأحجار، القاهرة، تحقيق محمد يوسف حسن، محمد بسيوني خفاجي، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ص ٧٠ ، ٧٣ .

(٣) شاعت كتابة فضائل الأماكن والأشياء وسماتها وخصائصها ومميزاتها حسب الاعتقاد السائد حينذاك في تلك العصور ، وكانت الأحجار الكريمة والجواهر من أكثر الأشياء التي نالت خطوة فألفت عنها المؤلفات الكثيرة .

(٤) تفسر مكانة الذهب قول القزويني : أشرف نعم الله على عبادة ، إذ بها قوام أمور الدنيا ونظام أحوال الخلق فإن حاجات الناس كثيرة وكلها تتقضي بالنقود فإن النقود يباع بها كل شيء لرواجها بخلاف سائر الأموال فإنها لا يرغب منها كل أحد برغبته في النقود فإنهما كالقاضيان يقضيان حاجة كل من لقيهما ولذلك قال الله تعالى :

{ وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } التوبة: من الآية ٣٤ . لأن

المقصود منها تداولهما بين الناس لقضاء حوائجهم فمن كنزهما فقد أبطل الحكمة التي خلقها الله تعالى كمن حبس قاض البلد ومنعه أن يقضي حوائج الناس . القزويني ، عجائب المخلوقات، مرجع سابق، ص ٢٤٤ .

والذهب هو أكثر المعادن احتفاظاً بمكانته على مر العصور ، فضلاً عن استعماله في العروش

للتيجان و الحلبي فقد كانت له أهميته القصوى في التبادل التجاري ، وكانت مناطق إنتاجه الرئيسية في

أفريقيا في مصر وغرب ووسط أفريقيا وفي سفالة (موزنبيق)، كما ذكر المسعودي أنه يوجد في جزائر المحيط الهندي ^(١) . كذلك يذكر القزويني أن الذهب يوجد بكثرة في بلاد الواق الواق، ^(٢) ويخبرنا ماركوبولو بأن مقدار الذهب الذي يجمع من جاوه ^(٣) . يفوق كل تقدير وتصور . وكان تجار الصين يستوردون منه مقداراً ضخماً ^(٤) . وكانت الفضة من المعادن النفيسة التي استعملت كحلي وفي ضرب بعض العملات كالدرهم . وقد كانت جزر المحيط الهندي الشرقية مناطق إنتاج رئيسية للفضة . وكان أهل سومطرة يستعملون قطعاً من الفضة في معاملاتهم التجارية .

كما تعاملوا في جاوه بقطع من الفضة المخلوطة بمعادن أخرى كالنحاس الأبيض والقصدير مختومة على أساس أن كل ٦ قطع فضة تساوي تايلاً ^(٥) ذهباً . ويتعامل أهل بورنيو بقطع من الفضة إلى جانب قطع من الذهب ^(٦) وهكذا كان الذهب والفضة معدنين رئيسيين تقيم بهما السلع في تلك الفترة ، بالإضافة إلى طريقة المقايضة التي كانت شائعة أيضاً في جميع أنحاء العالم .

(١) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مرجع سابق، ج ١ ، ص ٩٤ .

(٢) يبدو أنها جزيرة بورنيو لأنه يذكر أنها ببحر الصين حتى أن أهلها يتخذون سلاسل كلابهم وأطواق قرودهم من الذهب كما إنها اشتهرت بإنتاج الذهب، القزويني ،آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت ، دار صادر، ١٩٦٩م، ص ٢٣ .

(٣) المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

(٤) ماركوبولو ،مرجع سابق،ص ٢٨٠

(٥)المصدر نفسه، ص ٢٧٩ .

(٦) التايل وحدة وزن صينية تعادل ثلث أوقية أو وحدة نقد أجنبية تبلغ مثل الوزن من الفضة الخالصة،شوقي عبد القوى ،مرجع سابق،ص ٢٨٨ .

وفي حقيقة الأمر أن طريقة التعامل النقدي الآن ، وكذلك القوة الاقتصادية للدولة لم تتغير كثيراً فالعملة النقدية الآن تقدر قيمتها وقوتها في سوق المال بمدى ما تملكه الدولة صاحبة العملة من غطاء ذهبي يوازي قيمتها . وكلما زادت قيمة الغطاء قويت قيمة العملة ، ليس هذا فقط بل أهم من هذا

قيمة النشاط الإنتاجي للدولة (الصناعي - الزراعي - الإستخراجي) كما أن المقايضة استمرت وإن كان يطلق عليهما الآن (التبادل التجاري) وهو ما يتم باتفاقيات التبادل التجاري بين دولة وأخرى ، وكان الحديد ينتج في جميع دول المحيط عدا الساحل العربي ، ولكن اختلفت جودته من منطقة لأخرى وكان أجوده هو الحديد المنتج من شرق أفريقيا . وكانت الهند تعتبر من أكثر المناطق تقدماً في صناعة الحديد ، إذ توصلت إلى صناعة الفولاذ المصهور الذي اشتهر باسم الهندواني أو الهندي الذي صنعت منه السيوف الهندية الشهيرة في الأدب العربي بالمهند لمئاتها وحدة شفرتها ومرونتها^(١) .

أما المنتجات الخشبية فكانت تمثل طلباً ملحاً بالنسبة للخليج العربي وشبه الجزيرة العربية ، حيث إن هذه المناطق فقيرة في الغطاء الغابي ، والخشب لهم يمثل سلعة هامة وضرورية وليست ترفيه فممنه كانت تصنع السفن التي مثلت عصب النشاط الاقتصادي كما استعمل في بناء المنازل . وكانت الهند فصاعداً اتجاه الشرق الأقصى أهم مناطق إنتاج الخشب خشب الساج النارجيل خاصة وهي الأخشاب الرئيسية اللازمة لصناعة السفن لذلك كان الخشب يصدر إلى الساحل العربي والبحر الأحمر لاستخدامه في صناعة السفن والبناء ، كما كانت تذهب طائفة من الصناع إلى مناطق إنتاج

(١) موريس لومبارد، الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، دمشق ، ترجمة عبد الرحمن حميدة، ١٩٧٩م ، ص ٢٣٤ .

الأخشاب خصوصاً في جزيرة المالديف لصناعة السفن هناك^(١) ويبرز لنا الخشب باعتباره سلعة هامة وحيوية لدول غرب المحيط حقيقة مؤكدة مؤداها أنه على الرغم من أنه كان سلعة هامة وحيوية ، تمثل عصب الاقتصاد والركيزة التجارية للساحل العربي ، فلم تعتمد الدول المنتجة له في الشرق إلى حجب ، لتتحكم هي في تجارة المحيط خصوصاً أنها منتجة لأغلب سلع النشاط التجاري، وكما كان الخشب من السلع الأساسية المهمة كان العاج من السلع الترفيهية . وعمّ إنتاجه جميع دول المحيط الهندي

عدا شبه الجزيرة العربية والصين وبعض جزر المحيط - كمدغشقر . إلا أن هذا الانتشار الواسع للعاج لم يمنع من نشوء تجارة مهمة ونشطة بين شرق وغرب المحيط ، حيث كان ينقل من أفريقيا إلى الهند والصين ، وراجت سلعة أخرى مهمة ألا وهي تجارة الخيل ، وكانت تستورد من الساحلين العربي والفرسي إلى الهند ، وكما يذكر البعض فإنه كان يصدر سنوياً حوالي عشرة آلاف رأس من الخيل . ويبدو أن أرباحها كانت طائلة ، حيث يذكر بعض الباحثين أن سعر الحصان الواحد بلغ ٢٢٠ ديناراً ذهبياً^(١) .

وكان للمنسوجات نصيب وافر في تجارة المحيط الهندي ، وطبقت المقولة الشائعة "ما خف حمله وغلا ثمنه" على تلك السلعة . فكان النصيب الأكبر في هذه التجارة للحريز لأن المنسوجات القطنية كانت تصنع في كافة الدول ، أما الحريز فقد غلا ثمنه وكانت الصين هي المنتج الرئيسي للحريز الجيد الذي لا يعادله حريزاً آخر . وكانت أصناف الحريز كثيرة فقد ورد في الجينزا اثنا عشر صنفاً من الحريز ، تختلف حسب الجودة وطرائق الصناعة ودرجات التجهيز وكانت الأقمشة،

(١) شوقي عبد القوى عثمان، مرجع سابق، ص ٢٣٢ .

(٢) Heyd W . History du commerce du levant ou moyen age – leipzig1932 P.135-136 ،

Suleman nadvi : muslim colonies in India before the muslim conquest in Islamic culture 1934, P454.

الحريزية تتميز حسب البلد المنتج^(١) . وكما برع الصينيون في نسج الحريز برعوا أيضاً في صناعة البورسلين وصار البورسلين الصيني أعلى وأجمل من مثيله في أي دولة . وكان يمثل هو والحريز سلع التصدير الرئيسية للصين . لذلك نجد أن البورسلين الصيني هو المكتشف الرئيسي في الحفريات الأثرية في أفريقيا وشبه الجزيرة العربية ، فضلاً عن القطع الوفيرة التي لم ينشر عنها شيء بعد ، وهذه الكثرة توحى لنا بأنه في القرن الخامس عشر الميلادي صارت الأواني الصينية في متناول

الجميع حتى الفقراء ، حيث كان معظم الناس يستخدمون سلاطين يغرفون بها الطعام بدلاً من تناوله في إناء الطبخ ، وكان ذلك قاصراً على الطبقات العليا من قبل^(٢) .

ولم تكن الآنية الصينية تستخدم استخداماً عائلياً فقط، بل شكلت طرزاً شعبيةً للزخرفة حول محاريب المساجد ، وفي زخرفة المقابر على الساحل الشرقي لأفريقيا، وجدير بالذكر أن كانتون كانت الميناء الرئيسي لتصدير تلك السلعة إلى باقي أجزاء المحيط الهندي ، فضلاً عن أكبر أسواقها كانت سوق بورسليين^(٣) ، وبالإضافة إلى السلع السابقة كانت هناك تجارة الرقيق في أرجاء المحيط الهندي وإن لم تكن بالصورة وبالحجم اللذين شهدهما المحيط الأطلسي . فقد كانت تجارة الرقيق في الهندي قطرة في إناء بالنسبة لتجارة الرقيق في الأطلسي ،

(١) SD . goitein , Mediterranean society , , vol , I ,California,1967, P . 221 .

(٢) -Martin A. kien ,ed, perspectives on the African Past,Canada,1972 , p . 104 , G . Mathew- Chinese porcelain inEast Africa and on theCoast of South Arabia,Vol,2,1956, p . 51.

(٣) Arthur Lane and R.B. , Pottery and Glass Fragments Littoral with Historical Notes,1948 , p . 15, G . S . P . Freeman-GrenvilleThe Medieval History of coast of Tanganyika,Berlin,1962 ,p . 284 .

ويذكر أحد الباحثين أن ما يسيء إلى العرب أنهم نقلوا شحنات لا تحصى من الرقيق^(١) إلى أقاليم المحيط الهندي وحتى الصين من الساحل لشرقي لأفريقيا ، حيث ازدهرت هذه التجارة حتى نهاية القرن التاسع عشر . ويواصل الباحث كلامه ذاكراً أن تجارة العبيد كالقرصنة طبعاً ، وأجدت في المحيط الهندي منذ زمن سحيق ولكن العرب هم الذين أعطوها شكلها النهائي ، حيث أصبحوا متخصصين بها

(٢) .

و نتفق مع الباحث في أن تجارة العبيد كالقرصنة ، أما مسؤولية العرب عن ازدهار تلك التجارة فأمر بعيد عن الواقع . كذلك فإن مسؤوليتهم تنتفي بعد ظهور المستعمرين الأوروبيين بداية بالبرتغاليين في أوائل القرن السادس عشر و انتهاءً بالإنجليز و الفرنسيين و الهولنديين و سيطرتهم على تقاليد الأمور بالمحيط الهندي .

و يتناول آخر الموضوع نفسه فيكتب " إذا ما اعتمدنا على الوثائق فإن أعداد العبيد كانت قليلة للغاية " (٣) و يؤكد آخر هذا الرأي -

(١) كان للإسلام موقف من الرق ، حيث لا يبيح الإسلام أن يُسترق مسلم . أما من يبيح استرقاقهم فهم أسرى حرب شرعية لإعلان كلمة الله تعالى، على أن يكون الأعداء هم الذين بدأوا بالاعتداء ، أي أن أسرى أي حرب بغرض السلب والنهب والعدوان لا يجوز استرقاقهم بأي حال سواء كانوا مسلمين أو غيرهم . كما أباح الإسلام للأسير الكافر أن تفك رقبته إذا افتدى نفسه . أو يطلق الخليفة سراحهم لوجه الله . وفي هذا قوله { فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فِيمَا مَنَّا مِّنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا } محمد: من الآية ٤ . شوقي عبد القوى عثمان، مرجع سابق، ص ٢٣٦ .

(٢) Auguste Toussaint , the Indean ocean U.S.A 1961. p58.

(٣) Davidson , P , the African post p . 83.

بأن وثائق الجينزا التي ترجع إلى القرون من العاشر إلى الميلادي إلى الثالث عشر الميلادي لا توجد فيها إشارة واحدة عن تجارة الرقيق (١) .

و جاءت إشارات متفرقة قليلة في بعض المصادر عن الرقيق ، فيذكر " جو-شو-كوا" أنه إذا حدث ثقب في السفينة كان القبطان يأمر عبيده المناكيد أو الأبالسة بترميم الثقب من الخارج لمهارتهم في السباحة. ويعلق المترجم على ذلك بأن " بينج - تشو - كورتان" يقول عن هؤلاء "العبيد الأبالسة" إن سرقة القوم في كانتون كانوا يحتفظون بالكثير من العبيد الأبالسة، وهم أغراب ذو قوة ، رقيقو المزاج، سود

البشرة، حمر الشفاه وشعورهم مجعدة مشوبة بصفرة ومنهم نساء أيضاً ، وهم مواطنون ينتمون لجزر تقع فيما وراء بحر الصين ، وليس من المستبعد أن يكون هؤلاء العبيد زنجياً أفارقة.

ففي هذه المناطق كان عرب هذه الفترة يزاولون نشاطاً كبيراً مشبوهاً . ويرد الكاتب على نفسه بأنه بشكل عام فإن هؤلاء العبيد كانوا أقرب شبيهاً بالماليزيين ، أو أقزام شبه جزيرة الملايو والجزر المجاورة لها جنوباً . ولقد استمرت عادة اقتناء العبيد السود في الصين إلى ما بعد النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي . بل ربما إلى فترة من الزمن أكثر حداثة فمن بين الهدايا المجلوبة إلى بلاط الحاكم في الصين على يد بعثة قادمة من ملقا عبيد شبان وبعدها بعام حضرت بعثة قادمة من بورنيو عبداً شاباً أسود اللون. (٢)

ومن الواضح أنه لا يوجد رأي ثابت عن تلك التجارة البشرية في الصين ، وإن كنا لا نستطيع أن ننفي وجود هذه التجارة إلا أنها كانت ضئيلة الشأن، لأنها لو كانت رائجة لما اهتمت الوثائق الصينية بذكر حدث حضور عبد واحد ، دلالة على أنه حدث مهم ، وأيضاً على ندرة وجود العبيد الأجانب على الأقل . كما أن الاهتمام بوصف لون البشرة بالسواد والشعر المجعد يدل أيضاً على قلتهم . بالإضافة إلى أن هذا لا يعني بحال من الأحوال أن هؤلاء العبيد من الأفارقة .

(١) شوقي عبد القوى عثمان، مرجع سابق، ص ص ٢٣٥-٢٣٦ .

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٢٣٨-٢٤٠ .

بل كما ذهب البعض ربما يكونون من الجزر القريبة من الصين وهذا أرجح الآراء . وبخصوص ابن بطوطة الذي كان يعني بكل شيء فلم يأتي في حديثه ذكر للعبيد ، بل إنما قاله يضعنا في حيرة ، إن وضع الأحباش بجوار الهنود بجوار الصينيين في سقائف ، على حد قوله يجعلنا نتساءل هل كان الأحباش والهنود مأجورين أم مرتزقة أم عبيد ؟ سكت ابن بطوطة عن هذا . وهل من وصفهم الأحباش هم أحباش فعلاً ؟ أم نعتهم بذلك للون بشرتهم ؟ وجددير بالذكر هنا أن ماركوبولو لم يذكر شيئاً عن العبيد في الصين ، علماً بأنه مكث بها فترة طويلة ولم يترك شيئاً إلا وصفه .

فهل يمكننا القول بعد ذلك ، أنها كانت تجارة هامشية وليس لها تأثير في الاقتصاد الصيني الذي اعتمد كلياً على الحرير والبورسلين ، وإن ظهور العبيد في الصين كان مظهراً من مظاهر الترف والثراء فلم يشاركوا في الحياة الاقتصادية ، سواء في الأعمال التجارية أو الزراعية أو الصناعية. ويمكن القول أن هذا التنوع السلعي بالإضافة إلى التعدد السلعي في الموانئ أوجد نظاماً مختلفة في التعامل تختلف من ميناء لآخر . كما أوجد نظاماً تجارية وطرائق للتعامل بين التجار . كذلك أوجد طوائف للتجار وكان منها طوائف تختص بالتجارة في أصناف معينة.

عندما نعرض للتبادل التجاري في منطقة المحيط الهندي فإنه لا يمكن قصر العرض على تلك المنطقة فقط وعزلها عما يحيط بها من مناطق شاركت وساهمت في ذلك النشاط وإلا كان العرض مبتسراً . لذلك لابد من الإشارة إلى المناطق التي جلبت منها سلع دخلت في الحركة التجارية بالمحيط والمناطق التي صدرت إليها سلع المحيط وعلى هذا يمكننا القول (وهذا أيضاً ليس بصورة محددة ولكن بصورة تقريبية) إنه كانت هناك خمس مناطق تبادلت منتجاتها فيما بينها أو عن طريق وسطاء تجاريين

- الأولى : جنوب شرق آسيا والهند وأهم صادراتها التوابل - العطور - الخشب - جوز النارجيل - الحرير - الأحجار الكريمة - البورسلين - الفخار - السيوف .
- الثانية : الساحل العربي وخليجه وأهم صادراتها الخيول - اللؤلؤ - العنبر - التمر - البخور .
- الثالثة : الساحل الأفريقي وأهم صادراتها الذهب - العاج - الحديد - ريش النعام - الرقيق .
- الرابعة : مصر وأهم صادراتها الكتان - المنسوجات - السكر - المسابح - العقود - الزمرد .
- الخامسة : أوروبا وأهم صادراتها ملح النشادر ^(١) - الزرنيخ - الحديد - الأسلحة - الجوخ - الشمع - الفراء - البنديق - العنب . ويبدو أن بعض هذه المواد كان يستهلك في أسواق مصر والشام . وتتضمن وثائق الجينزا معلومات وفيرة وخصبة حول المواد والبضائع التي تم تبادلها بين أقطار المحيط الهندي والبحر المتوسط وهذه قائمة بتلك البضائع ^(٢) :

٣٦	صنفاً	١- التوابل والبهارات والأصباغ والحشائش الطبية
٦		٢- الحديد والصلب
١٢		٣- أواني نحاسية وبرونزية
٨		٤- الحرير الهندي ومنسوجات أخرى تصنع أساساً من القطن
٤		٥- الزمرد والياقوت والخرز والصدف
٢		٦- الأحذية ومصنوعات جلدية أخرى
٣		٧- البورسلين الصيني والأواني الحجرية اليمينية والعاج الأفريقي
٥		٨- الفواكه الاستوائية كجوز الهند
١		٩- ألواح خشب timber ^(٣)
٧٧		

ويلاحظ أن أنواع المجموعة الأولى وهي الخاصة بالتوابل تفوق باقي أنواع البضائع الأخرى ، وذلك ليس في العدد فقط ولكن في القيمة أيضاً ويعود ذلك إلى شدة الطلب عليها في أسواق أوروبا. كما تشير تلك الوثائق أيضاً ، كما سيتضح فيما بعد ، إلى أن أوروبا كانت تورد للهند خام النحاس

(١) من المرجح أن ملح النشادر كان يستخدم في تجفيف وصبغ الجلود المدبوغة،

Hilmar C . Kuueyer . the Ware of Exchange in the Genoese Affrican Traffic of the Twelfth Century in Jaurnol of Medieval Studies , Vol . Xii 1937 p. 87 .

(٢) شوقي عبد القوى عثمان، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

(٣) S.D . goitein , studies in Islamic History and Institution leiden 1986 p.p 339-340.

الأحمر كذلك كانت الأواني القديمة والمكسورة ترسل من اليمن إلى الهند لإعادة تصنيعها ، وبدل هذا على امتياز الهند وتفوقها في صناعة المعادن ، وليست فقط في صناعة الصلب التي اشتهرت بها الهند والمتمثلة أساساً في السيوف الهندية . كما تفوقت دول المحيط عموماً على دول المتوسط في صناعة المنسوجات والصناعات الجلدية . وشهرة الحرير الصيني والمنسوجات الهندية غنية عن التعريف ، وبإعادة النظر إلى تلك القائمة نجد أنها لم تتضمن جميع أنواع السلع المتبادلة بين دول المحيط مثل الخيوط والسيوف الهندية ، النارجيل ، واللؤلؤ وغيرها لأنها اقتصر على السلع التي تمر

عبر البحر المتوسط ، كما أن الألواح الخشبية لم تكن تصدر بطبيعة الحال لدول البحر المتوسط الأوربية لغناها الطبيعي بالأخشاب، وغالب الأمر أنها كانت تستهلك في مصر ودول البحر الأحمر الآسيوية^(١).

وتضمنت تلك الوثائق أيضاً قائمة بالبضائع المرسله من موانئ البحر الأحمر وعدن إلى الشرق وبيانها كالتالي :

٣٦	صنفاً	١- النسيج والملابس
٢٣		٢- أوان وحلى فضية ونحاسية وزجاجية وغيرها
٧		٣- أدوات منزلية مثل السجاد وموائد وأدوات الطهي
١٩		٤- كيماويات ، مواد طبية ، صابون ، ورق كتب
٧		٥- معادن ومواد لازمة لصناعة النحاس
١		٦- مرجان مادة رئيسية عظيمة الأهمية
١٠ ١٠٣		٧- مواد غذائية مثل : الجبن والسكر وزيت الزيتون

(١) شوقي عبد القوى عثمان، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

ويذكر الباحث أن المواد المصنعة والمواد الاستهلاكية في القائمة السابقة والمصدرة إلى الشرق في المحيط الهندي متنوعة وقيمتها السعريية منخفضة إلى حد ما .

وكان التجار الوافدين والمقيمون ببلدان الشرق هم الذين يستخدمون تلك السلع وليس المواطنين المحليين^(١) ومن الطبيعي أن لا نسلم برأي الباحث كأمر مسلم به للآتي :

أولاً : لم يذكر لنا هل هذه القائمة وجدت في خطاب من وثائق الجينزا أم هي نتيجة إحصائية لمتوسطات ما ورد في بعض الخطابات .

ثانياً : انتشر النسيج المصري في كافة أرجاء أفريقيا وآسيا ومن يتتبع خطى ابن بطوطة وناصر خسرو وكتب المؤرخين يدرك هذا . فقد اشتهرت صناعة المنسوجات في مصر ونالت مكانة عالية ، مما جعل الجميع يسعون في طلبها .

ويتنافى هذا مع قول الباحث إن كان لاستعمال التجار المقيمين، أو بمعنى آخر لاستعمال الجاليات في تلك البلاد (٢) .

ثالثاً : لماذا يستورد التجار المقيمون معادن ومواد لازمة لصناعة النحاس وهو ما ذكر في البند الخامس .

رابعاً : فيما يخص البند السادس وهو المرجان لم أستطع إدراك لماذا كانت دول المحيط الهندي تستورده علماً بأنها غنية به .

خامساً : القائمتان المذكورتان سابقاً لا يمكن الأخذ بهما على أن ما بهما هو صادرات وواردات المحيط الفعلية ، ولكنها مع ذلك تعطينا مؤشرات ودلالات على نوعية السلع وأصنافها . وكما سبق القول كانت مصر هي الموزع الرئيسي لسلع تلك المناطق الخمس خصوصاً القاهرة والإسكندرية فكان التجار يخرجون من مصر حاملين منتجاتها والمنتجات الأوربية،

(١) S.D . goitein , studies in Islamic History and institution, Leiden, 1967, p.p 341.

(٢) انظر موريس لومبارد ، : الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي في خلال القرون الأربعة الأولى ، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، دمشق ١٩٧٩ م .

التي تحتاجها دول المحيط الهندي وبيادلونها وبيتاعون ما تحتاج إليه الأسواق المصرية والأوروبية عن مختلف موانئ المحيط . وكان لكثير من تجار المحيط الهندي خانات ووكالات تجارية بمدن مصر خصوصاً القاهرة ، ولكن ذلك لا يعني أن السلع التجارية كانت تنتقل بين كل من العالمين الآسيوي والأفريقي وبين العالم الأوربي فقط . بل كان هناك نشاط تجاري واسع بين دول وإمارات المحيط . وتحديثنا شواهد التاريخ من عملات وآثار وغيرها عن نبض تلك الفترة ، وإن كان حجم المكتشف من الآثار والعملات لا يدل دلالة قاطعة على كم التبادل السلعي والتجاري بين دول المنطقة إن هذه

الإشارات تدلنا على قدم تلك الصلات التجارية بين دول تبعد عن بعضها آلاف الأميال في محيط ملئ بالمخاطر الطبيعية ، كما تدل أيضاً على وجود طرائق متعارف عليها لتقييم ثمن السلعة، رغم عدم وجود نظام نقدي موحد على أساسه تقدير قيمة السلعة ، هذا في الوقت الذي سمى البعض فيه أوربا بالغرب الهمجي . (١)

(١) شوقي عبد القوى عثمان، مرجع سابق، ص ٢١٠ .

الفصل الثاني

نظم التعامل التجاري في الصين

- طوائف التجار .
 - الحرف التجارية .
 - نظام التعامل " العملات - الحوالة - الصكوك
- ."

أولاً طوائف التجار :

التجار : هم طائفة من الناس كانوا يعملون بالبيع والشراء بهدف الزيادة فيما يأخذون على ما يعطون . والتجارة على هذا النحو محاولة التكسب بتمية المال وذلك بشراء السلع بأسعار رخيصة وبيعها بالغلاء وكان جماعات التجار نظراً لكثرة ما يربحون من أموال يشكلون طبقة هامة من طبقات المجتمع، والاشتغال بالتجارة يستلزم احتكاكاً مباشراً بالسوق ومعرفة بمعاملة أمثالهم مع علم وافر بأحوال الأسواق وما يروج فيها من سلع وجرأة كافية بسبب تعريض الأموال لمغامرات الأسواق ومعرفة بالحساب . والتجار نوعان : نوع يعمل في الضروري من السلع ، وهؤلاء يتعاملون مع الأهالي والعامّة ونوع يتاجر في الكمالي وأدوات الزينة والتحف والمجوهرات وهؤلاء يتعاملون مع أولى السلطان والأعيان. والتجار ثلاث فئات : فئة خازنة تعتمد في تجارتها على خزن أنواع معينة من السلع وقت الرخص واعتدال الأسعار وعرضها في الأوقات التي يكثر الطلب عليها بأسعار عالية وكان على هذه الفئة معرفة أسعار السوق والمطلوب وغير المطلوب من السلع وذلك باستطلاع أخبار الطرق من الرحالة والظروف المحيطة ببلدهم . ثم فئة راکضة مهمتها السعي والانتقال لجلب التجارة من بلاد بعيدة إلى بلادهم ويشترط فيهم السرعة وحسن التصرف والتبصر. ثم فئة مجهزة وهم التجار المقيمون أو المستقرون في بلادهم ولهم وكلاء في بلاد أخرى لهم خبرة بالتجارة^(١) ومن أمثلة السلع التي يستوردها التجار المسلمون إلى الأسواق جلود النمر، والياقوت الأحمر، والصندل الأبيض والأبنوس، وجوز الهند من بلاد السند والفرند أي (السيف) والحريير والغضائر أي (الخزف) والكاغد والمواد والسروج واللبود من بلاد الصين والخيول والنعام والنجائب (النياق) والأدم من بلاد العرب والبزاه واللمط والدرج من بلاد البربر والبرود والعقيق والكندر والورس من بلاد اليمن والثياب الرقاق والقرطيس ودهن البلسان و الزبرجد من مصر والعبيد والمغافر (الخوذات) والدرع من بلاد الخزر، والمسك والسمور والسنجاب والفنك من خوارزم والطنافس من مرو والعناب والتدرج (نوع من الحمضيات) والثياب من جرجان واللؤلؤ من البحرين وعمان والستور والموصلي من الموصل والصوف من أرمينية وأذربيجان .^(٢)

(١) السيد عبد العزيز سالم، محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٠، ص ١٦١.

(٢) الجاحظ "أبو عثمان عمرو بن بحر" ، بيروت، التبصير بالتجارة، تحقيق الأستاذ حسن حسني عبدالوهاب، ١٩٦٦، ص ٢٣، ٤٢ .

من أهم مراكز التجارة الإسلامية البصرة وفرضتها الأبله وعدن وقوص والفسطاط والإسكندرية وطرابلس ودمشق وبعليك وفاس والمريه ومرو وسمرقند . وكانت الحكومات الإسلامية تشرف على التجار

وتراقبهم خشية التلاعب بالأسعار والتدليس في المعاملات التجارية ولذلك أنشئت لهم نقابة مسئولة عن التجار سمي رئيسها بشيخ التجار . وكان من مهام المحتسب مراقبة الأسواق ومنع الغش والتدليس .

أما الصناع : فهم طائفة يشتغلون في كثير من الصناعات اليدوية وغيرها وكان معظم المشتغلين بالصناعات من أهل الذمة . فقد ذكر أبو يوسف أن أكثر الخياطين والصيافة والصاغة والإسكافيين والخرازين من اليهود والنصارى، وكان طبيعياً أن تقوى الروابط بين أصحاب صناعة واحدة كانت لا تجيز هذا الامتياز أي الالتحاق بالنقابات لليهود بينما أجازته الدولة الإسلامية تستهدف تبادل المعونة والدفاع وقد ساعد ذلك على تجميع أصحاب كل صناعة أو حرفة في سوق واحدة متبعين في ذلك مآثور قولهم أن الصناعة نسب . وبلغ التماسك والترابط بين أصحاب الحرفة الواحدة إلى حد العصبية . ولقد ظهرت في العصر العباسي تنظيمات حرفية فكانت لكل حرفة رئيس يسمى شيخ الصنف ^(١) أو شيخ الصناعة أو الرئيس، يليه الأستاذ أو المعلم وهو المتقدم في الصناعة، ثم الصانع أو المتعلم الذي تعلم الصناعة وأمكنه فتح حانوت يمارس فيه صنعته مستقلاً ويليهِ الصبي أو المبتدئ ^(٢) وكان شيخ الصناعة يعرف في المغرب باسم عريف العرفاء، وقد أدت هذه التنظيمات إلى نشأة النقابات التي كانت عن مصالح الصناع والحرفيين . وكان الرومان يعرفون هذا النظام النقابي في المدن وكان يعرف عندهم باسم Allegia ووجه الاختلاف يقتصر على أن حكومة بيزنطة لأهل الذمة، وبفضل عناية الدولة الإسلامية بالصناع وتشجيعها لأرباب الحرف أصبح لبعض الصناعات الإسلامية شهرة عالمية خاصة ما يتعلق بصناعة المنسوجات ، فقد اشتهرت دار الطراز في المدن المصرية بأنواع مختلفة من النسيج كالدبيقي التي اقتصت به دبيق، والتتيسى بتتيس، والإسكندراني بالإسكندرية، والموصلي بالموصل، والعتابي بمحلة العتابيين ببغداد، والتستري والجرجاني والأصفهاني والسوسي (بتستر وجرجانية وأصفهان وسوسة) .

ومن أصحاب الحرف : الحبوبيين ، الدقاقين ، الخبازين ، الفرانين ، الجزارين ، القصابين ، والشوائين ، والرواسين ، القلائين ، الهراثسيين ، النقانقيين ، والحلوانيين ، والصيادلة ، العطارين ، والسمانين (بائع السمن) ، والبزازين (بائع الثياب) ، والدلالين ، والبذوريين ، والطباقيين (بائع الأطباق).

(١) اليعقوبي ،مرجع سابق ،ص ٢٤٨ . التنوخي، الفرج بعد الشدة، القاهرة، الجزء الثاني ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٢٣٢ .

(٢) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، القاهرة ، ج ١ ، ١٩٢٨م ، ص ٢٢٥ .
والأباريين (بائع الإبر) ، والخياطين ، والحاكة ، والقطانيين ، والكتانيين ، والصباعين ، والأساكفة ، والصيافة ، والصاغة ، والنحاسين ، والصفارين ، والحدادين ، والبياطرة ، ونحاسي العبيد ،

والفصادين ، والحمامين ، والأطباء ، والجنازيين ، والوراقين ، والحطابين ، والحصارين ، والفخارين ، والزياتين ، والعصارين ، والسقائين ، والنجارين ، والنشارين وغيرهم (١) .

ثانياً الحرف التجارية :

وكان هؤلاء يؤلفون فئة نشطة في المجتمع الإسلامي ، وينتمون إلى أجناس وطوائف دينية متعددة فقد كان يغلب عليهم أهالي البلاد المفتوحة من مسلمين وذميين من يهود ونصارى بل كثيراً ما نجد بعض الحرف قد غلب عليها غير المسلمين ، كصناعة الحفر على المعادن الدقيقة مثل الفضة المنزلة بالميناء التي كانت حكرًا على الصابئة دون غيرهم ، ربما لأن العرب كانوا في بداية أمرهم ، كما يقول ابن خلدون : "أبعد الناس عن الصنائع لأنهم أعرق في البدو" (٢) . لذا تأثر النسيج الاجتماعي لأرباب الحرف بأصباغ غير عربية نتيجة لاختلاط العناصر الجنسية المتنوعة ببعضها البعض داخل المجتمع الإسلامي حيث ، تجلت الآثار الفارسية على صناعة الثلج ، والتأثيرات اليونانية على صناعة القبانات والإسطرلابات وآلات الحرب من مجانيق وعرادات ودبابات وآلات لفظ ، كما وجدت التأثيرات الصينية في عمل الصباغين والدباغين والخراطين ، على حين وضحت التأثيرات الهندسية على صناعة السيوف . وكان أرباب الحرف والصناعات ينقسمون فيما بينهم إلى تخصصات حرفية متنوعة ، تعج بها أسواق المدن الإسلامية ، حيث نشاهد بينهم صانعي القوارير الزجاجية ، والأواني الفخارية والخزفية . وصانعي المعادن من طرازين وحدادين (٣) .

(١) السيد عبدالعزيز سالم، محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٢م، ص ١٦٣.

(٢) ابن خلدون "عبدالرحمن"، المقدمة ، القاهرة ١٣٢٢هـ، ص ٤٠٤ .

(٣) الجاحظ، البخلاء، ليدن ، تحقيق فلوتين ، ص ١٤٣ .

وصياقلة أي الذين يشحذون السيوف ويجلوها ، وصفارين أي الذين يصقلون النحاس الأصفر (١) . بالإضافة إلى الطباقين أي صانعي الصواني ، والصاغة والحاكة ، والخياطين والقطنين الذين يندفون

القطن ، والصباعين ، وصانعي البرادع والأساكفة ، والخراطين وغيرهم ممن عرفوا أيضاً فيما بينهم التخصص الدقيق الذي نجده بين أصحاب الحرفة الواحدة . فقد أسهمت دراسة الكتابات والنقوش الأثرية على التحف والآثار الإسلامية في التعرف على العديد من التخصصات التي كانت تضمها الحرفة الواحدة . فقد أمكن عن طريق دراسة المشغولات المعدنية التي وصلتنا ان نتعرف على التخصصات الدقيقة التي كانت تضمها هذه الحرفة من ضراب، ونقاس ، وصفار ، ونحاس ، وموازيني ، ومكفت ، ومطعم ، وحداد ثقيل، وحداد خفيف ، وكان أصحاب الحرف والصناعات يعيشون داخل المجتمع الإسلامي في تكتلات مهنية ، فلكل صناعة أو حرفة طائفة ، ترعى مصالحها برئاسة شيخ الصناعة الذي يتم انتخابه عادة بين أفراد الطائفة لينظم أمور الحرفة ، ويفض مشاكلها ولتوسط بينهم وبين أهل الدولة فيما يعن لم من مشكلات. (٢)

يليه الأساتذة أو المعلمون فالصناع فالصبيان في تدرج مهني . ولم يكن يسمح عادة إلى أي شخص بمشاركة أهل الحرفة صناعتهم ، لذا كانوا لا يطلعون أحد على أسرار حرفتهم ما لم يكن من أبنائهم ، أو أتى ليحل محل أحدهم ، وفي هذه الحالة كان يقبل بشروط خاصة (٣) .

وكانت الحرف والصناعات تخضع أيضاً لإشراف الدولة من خلال المحتسب الذي كان يعين لكل طائفة من الصناع عريف ، مشهود له بالثقة والأمانة، ويشترط فيه أن يكون على دراية ومعرفة تامة بأمور الحرفة التي يشرف عليها ، مهمته إطلاع المحتسب على أخبار أهل صنعته وبذله على مواطن الغش والتدليس الذي يلجأ إليه أحياناً أصحاب الحرفة (٤) .

(١) الجاحظ، الحيوان، بيروت، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، ج ٤، ١٩٩٢، ص ٣١١، ص ٣١٦.

(٢) برنارد لويس ،النقابات الإسلامية ، الرسالة ، العدد ٣٥٧ ، ص ٧٨٧ .

(٣) سهير القلماوي ،ألف ليلة وليلة ،القاهرة ١٩٤٣م، ص ٢٣٢ .

(٤) نهاية الرتبة ،عبد الرحمن الشذري ، ص ١٢ .

وجرت العادة أيضاً أن تُقام لأرباب الحرف والصناعات تجمعات كبيرة داخل المدن الإسلامية ، وأسواق متخصصة ، يقصدها الناس على اختلاف طبقاتهم لشراء حاجاتهم والطريف أن هذه التجمعات

والأسواق قد جذبت أنظار بعض رحالة العصور الوسطى، فقد روى الرحالة الفارسي ناصر خسرو الذي زار مصر في منتصف القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي أنه شاهد في مدينة الفسطاط رباطاً ضخماً ، يجلس في الدور الأسفل منه الخياطون ، وفي الأعلى الرفاعون ، وأنه أحصى في هذه المدينة مائتي بناء تؤدي نفس الغرض، كما تحدث أيضاً عن سوق القناديل الواقع بالقرب من جامع عمرو ابن العاص ، وذكر أنه كان يحوي طوائف الصناعات المهرة في صناعات أنواع البلور الراقي، والتحف العاجية من أنياب الفيل ، والإسكافية الذين يصنعون النعال الراقية من جلد البقر المستورد من الحبشة ، ومع ذلك يجب أن ننوه هنا أن الصناعات وأرباب الحرف كانوا يقومون في كثير من الأحيان على سد حاجيات الحياة الاجتماعية بما تحت أيديهم من مواد محلية يمكن تصنيعها (١).

هذا وقد عاش معظم هؤلاء الحرفيين والصناعات معيشة متوسطة داخل المدن الإسلامية إذ لم يكونوا بالأغنياء الموسرين ولا بالفقراء المعدمين ، وربما دفعهم ضيق ذات اليد أحياناً إلى المساهمة بدور فعال في الحركات الثورية التي كانت تندلع في المجتمع ضد الحكام بهدف تحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية (٢) .

(١) السيد عبد العزيز سالم، محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٨٠ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٨١ .

ثالثاً : نظام التعامل " العملات - الحوالة - الصكوك "

نظام المعاملات الإسلامية أو (السكة)، والسكة على حد قول ابن خلدون الختم على الدينار والدرهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد تنقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ، ويضرب بها على الدينار والدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عيها مستقيمة^(١) بعد تقدير الدرهم والدينار بوزن معين يصطلح عليه. ولفظ السكة كان اسماً للطابع وهي الحديدية المتخذة لذلك ثم تحول المعنى إلى أثر هذه الحديدية على العملة أي النقوش المسجلة على الدينار والدرهم ثم تحول المعنى إلى الوظيفة ، استخدم العرب الفاتحون العملات السائدة في البلاد المفتوحة دون تغيير فطلت العملات البيزنطية الرومية والعملات الساسانية والعملات الحميرية القديمة في اليمن متداولة، فبقيت صورة الصليب منقوشة على الدينار والفلوس البيزنطية وصورة معبد النار (آتش جاه) ممثلة على الدرهم الفارسية التي كانت تصنع من الفضة لافتقار فارس إلى الذهب، والدينار كلمة لاتينية مشتقة من دينار يوس Dinarius وتعني قطعة من الذهب تساوي عشر أسات ، والأس درهم من دراهم الرسوم^(٢). وقد ثبت أن رسول الله ﷺ أقر السكة على ما كانت عليه وتعامل النبي بهذه السكة لأن الدولة العربية كانت ما تزال ناشئة ولم يكن من اليسير على العرب في هذه المرحلة الجديدة أن يسكوا عملات جديدة لأنفسهم في وقت شغلوا فيه بتوحيد جزيرة العرب ونشر الإسلام في ربوعها

ويعلل ابن خلدون ذلك بسذاجة العرب وبدأوتهم^(٣) . والواقع أن الإسلام لم يعمد إلى سك عملات إسلامية الطابع لأن العرب كانوا يتعاملون تجارياً مع البيزنطيين والفرس واليمنيين والأحباش وكان من الطبيعي أن يستخدموا عملات هذه الشعوب في معاملاتهم معهم، ولذلك فقد استمر التعامل في زمن الرسول ﷺ بالدينار والدرهم بدليل أن الرسول ﷺ زوج علي بن أبي طالب من ابنته فاطمة بمهر قدره ٤٨٠ درهماً كسروية .

(١) ابن خلدون، مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٣٨.

(٢) السيد عبد العزيز سالم، محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٨٠ .

(٣) ابن خلدون، مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٣٩ .

وكان والدينار البيزنطي الهرقلي يحمل صورة الإمبراطور على الوجه وصورة كل من ولديه قسطنطين وهرقليوناس، أما الظهر فكان يتوسطه مدرج من أربع درجات يقوم عليه صليب ويتوسط حرفين I)

(على اليمين و (B) على اليسار ، عمر بن الخطاب τ ضرب هذه العملات الإسلامية ذات الطابع البيزنطي أو الفارسي لأن هذه العملات الجديدة كانت تساعد على توفير كميات النقد اللازمة لإجراء العمليات التجارية ومرونة هذه العمليات، ثم ظهرت بعد ذلك عبارات الشهادة واسم الرسول ρ واسم الخليفة ومكان الضرب بالعربية وأخذت الكتابة العربية تميل إلى شغل مكان أكبر بمرور الزمن على الفلوس البيزنطية فظهرت بالبسمة والشهادة (١) .

ويؤثر عن معاوية بن أبي سفيان أنه ضرب دنانير إسلامية عليها صورته متقلداً سيفه على نسق الدنانير البيزنطية وعلى الرغم من أنه لم تصل إلينا أي دنانير من عهد معاوية إلا أنه وصلتنا الفلوس النحاسية المصورة ضربت في إيليا بفلسطين وعليها صورة معاوية أقرب ما يكون إلى صورة الأباطرة المنقوشة على الفلوس البيزنطية (٢) . كذلك ضرب عبد الله بن الزبير دراهم مدورة ونقش على الوجه "محمد رسول الله" وعلى الظهر "أمر الله بالوفاء والعدل" ، كما ضرب أخوه مصعب بالعراق دراهم مماثلة . ألغى الحجاج بن يوسف التعامل بها بعد القضاء على حركة ابن الزبير ، ولم تعرف عند المسلمين عملة إسلامية خالصة إلا في عصر الخليفة الأموي عبد الملك ابن مروان ، الذي رأى في ضرب عملات عربية وإسلامية ضرورة لازمة لتدعيم البناء الاقتصادي والسياسي والقومي للدولة العربية.

فكان إصلاحه النقدي المشهور في سنة ٧٧ هـ وهو تاريخ إصدار أول دينار إسلامي خال من أي أثر بيزنطي ، وكان يحمل في حافته على الوجه عبارة " لا إله إلا الله وحده لا شريك له " أما الظهر فقد سجل في حافته عبارة "بسم الله ضرب هذا الدينار سنة سبع وسبعين هـ" وفي المركز "الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد " (٣) .

(١) السيد عبد العزيز سالم ،محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية،مرجع سابق ، ص ٨١ .

(٢) انظر: عبد الرحمن فهمي، النقود العربية ماضيها وحاضرها، القاهرة، ١٩٦٤م، فجر السكة العربية، القاهرة، مطبوعات متحف الفن الإسلامي، ١٩٦٥ م .

(٣) عبد الرحمن فهمي، فجر السكة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٩١ .

وكان عبد الملك في إصداره لهذا الدينار الإسلامي الخالص مدفوعاً بعوامل سياسية واقتصادية وقومية ترمي إلى صبغ الدولة العربية بصبغة إسلامية في ظل سياسة عربية تقتضي تخليص الدولة من أي أثر للسيطرة الأجنبية.

والى جانب الدينار البيزنطي والدرهم الفارسي عرفت الدولة الإسلامية عملات صغيرة تسمى كسور وهي أجزاء من الدينار والدرهم مثل القطع والدانق والمتقال ، ثم ظهرت في القرن الرابع الهجري عملة من النحاس أو النحاس المخلوط بالفضة أطلق عليه اسم فلوس ، وذلك عندما حدثت أزمة في العملات الفضية الذهبية وعرفت هذه الفلوس باسم القراطيس لأنها كانت ملفوفة على شكل القرطاس وكانت العملات الإسلامية توزن بصنجات زجاجية مصبوبة حتى لا تتعرض للزيادة والنقصان وحتى تضبط أوزانها ولكن العملات الإسلامية لم تعد توزن منذ أن ظهرت الفلوس النحاسية^(١) .

ونتح عن تعدد العملات الإسلامية وتنوعها في الأقاليم الإسلامية وغير الإسلامية قيام طائفة من الصيارفة معظمهم من اليهود، كما نتج عنه أيضاً قيام نظام المصارف في الدولة الإسلامية وظهور تعبيرات مالية تدل على ذلك مثل صك ورقعة و حوالة . ويذكر ناصر خسرو الرحالة الفارسي أنه كان من الممكن أن يكتب تاجر من أسوان صكاً لتاجر آخر في عيذاب فيستطيع هذا التاجر الأخير أن يحصل بمقتضاه المال المطلوب^(٢) . إذاً لم تكن المعاملات في أنحاء الدولة الإسلامية موحدة ، ففي البلاد الإسلامية التي كانت خاضعة للدولة الرومانية الشرقية ، ثم استولى عليها العرب كالشام ومصر ، شاع استخدام الدنانير الذهبية أما في بلاد فارس فعملتها الجارية الدراهم الفضية . وكذلك الحال في العراق ، وقد أخذت العملة الذهبية منذ بداية القرن الرابع الهجري تنتشر في شرق الدولة الإسلامية فدخلت بغداد وصار حساب الحكومة بالدنانير ،

(١) انظر : المقريزي " تقي الدين أحمد بن علي" ، شهود العقود في ذكر النقود القديمة والإسلامية، النجف، تحقيق الطبائبي ، ١٣٥٦هـ.

(٢) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الحضارة الإسلامية، مرجع سابق ، ص ٨٥ .
ومع ذلك ظلت البلاد الإسلامية الشرقية تتعامل بالدراهم الفضية فيقول الأصبخري "إن نقود أهل بوحارا الدرهم ولا يتعاملون بالدينار فيما بينهم"^(١) .

وكان لكل ميناء نظام خاص به في تعامله مع التجار والسفن الواردة إليه وكانت هذه النظم تتأثر سلباً وإيجاباً بمدى تشجيع الحكام للتجارة والتجار واقتناعهم بقائدتها . وكانت هناك رسوم وإن لم تكن ثابتة أو موحدة في جميع الموانئ، بل كانت تختلف قيمتها من فترة لأخرى في الميناء الواحد حسب رأي صاحب السلطان كما كانت تختلف من ميناء لآخر، ولكن كانت السمة الغالبة في كل هذا هو التعامل الحسن من صاحب الميناء وأهله لضيوفهم، حيث كانوا يعتبرونهم كذلك في بعض الموانئ بل كانوا يبادلونهم الهدايا مرحبين بهم ومستقبلهم في عرض البحر ، وكل هذا طبعاً ليس لإدراكهم لأهمية التجارة لهم ولاقتصادهم فقط بل كذلك لسماحة في طباع أهل المحيط وهدوء في سلوكهم ، وهذا راجع أيضاً إلى الأصالة الحضارية لتلك المناطق التي شهدت أقدم حضارات العالم فضلاً عن انتشار الدين الإسلامي فيها، وكذلك الديانات الأخرى التي تحض على السلوك الكريم.

وقد وجد في الموانئ الكبرى نظام خاص في التعامل مع التجار ولتفتيش السفن وغير ذلك من أمور الإدارة التي كان يقوم بها موظفون معنيون . كما وجدت نظم للتعامل بين التجار لتنظيم عمليات البيع والشراء واستيفاء الحقوق . كذلك وجدت شركات تجارية، كل فرد منها موكل بعمل في العملية التجارية، شهدت موانئ المحيط وجود جاليات أجنبية مقيمة ، مهمتها شراء السلع وتخزينها انتظاراً للموسم التجاري^(٢) .

(١) محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق في عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري، دار الفكر العربي، الطبعة الرابعة، ص ١٠٧.

(٢) شوقي عبد القوى عثمان، مرجع سابق، ص ٢٤٥.

وحيث إن التجارة خصوصاً بين موانئ الأطراف، أي بين شرق المحيط وغربه، كانت ترتبط بمواعيد الرياح الموسمية . فكان الكم الأكبر من حركة البيع والشراء أو التبادل التجاري يتم في تلك المواعيد وقد قامت الموانئ بدور السوق أو المراكز التجارية ، وإلى جانب كونها موانئ تصدير واستيراد . بالإضافة إلى ما سبق نشأت في بعض الموانئ مثل كانتون في الصين صناعات تصديرية، أي مخصصة للأسواق الخارجية كصناعات الحرير ، والبور سلين، والمسابع الصدفية .

كذلك اهتمت الحكومة الصينية بالتجارة ، حيث وضعت يدها على التجارة في القرن العاشر الميلادي فعمدت إلى تنشيط الأعمال التجارية بإرسال الوفود إلى الخارج ، تحمل معها الخطابات المختومة بخاتم الإمبراطور ومقادير عظيمة من الذهب والفضة لشراء البضائع وللدعاية بين التجار الأجانب بسواحل بحر الجنوب وترغيبهم في زيارة الصين (١) .

ويوضح هذا أن الصين كانت من أسبق دول العالم في الوصول إلى أسلوب البعثات التجارية (٢) . إدراكاً لأهميتها للاقتصاد الصيني . وكانت التجارة الخارجية في الصين تتم عن طريق الخزنة العامة (الخزنة الرسمية) حيث احتكرت الدولة استيراد كل أنواع البخور والبضائع الأخرى عالية القيمة . ثم سرى هذا الاحتكار فيما بعد على اللؤلؤ وعظم ظهر السلحفاة وقرن وحيد القرن والعاج والصلب وجلد السلحفاة والمرجان والعقيق الأحمر واللبان (٣) . وكان على تجار أعالي البحار أن يحصلوا على تراخيص رسمية من قبل المفتشين في شي كيانج(Che Kiang) وشى- بو - سو (Shih - Po - Seu) وإلا صودرت بضائعهم مع وضع عقوبات لمن يتاجرون سراً مع أجنبى ولو في أضيق الحدود ، كأن تختم وجوههم وينفون إلى بعض الجزر ولكن مع مرور الوقت واتضح عدم صلاحية قوانين الاحتكار ابتدأت تلك القوانين في التقلص . ويمدنا شو - جو - كوا ببعض

التفاصيل الشيقة بالنسبة للقواعد المرعية من قبل السفن القادمة من موانئ أجنبية والداخلة إلى ميناء كانتون فمن سياهو اي في كوانج تشو إلى جزيرة جورشو مسافة ٧٠٠لى.. وفي جزيرة جو يوجد،

(١) N. Hirth, chao ju-kua , Anew source of Medieval Geography , London, 1896 p.67.

(٢) من المعروف أن مصرأ أرسلت بعثات إلى ساحل الشام منذ عهد الدولة القديمة لجلب خشب الأرز وغيره من منتجات الساحل وهناك أيضاً الرحلة الشهيرة أو البعثة التجارية التي أرسلتها حتشبسوت في عصر الدولة الحديثة إلى بلاد بونتشوقي عبد القوى عثمان، مرجع سابق، ص ٢٥٩.

(٣) Loc,cit, 67.

مراقب للسفن وكان يدعى المراقب رقم ١ ، وإلى الشمال قليلاً يوجد المراقب رقم ٢ وبعده بقليل رقم ٣ ، وعندما تبلغ السفن جزيرة جو فإنها تقف وقفة قصيرة للوداع . وفي طريق عودتها يقوم حراس الميناء بالجزيرة بتزويدها بالسامشو (سكر صيني يقطر من الأرز) كما يزودونها بحامية للحراسة تحرسها حتى كوانج - تشو ، وعندما تلقي السفن مراسيها في منطقة التفتيش الخاصة بالبضائع الأجنبية ، وهي سرادق في كانتون، فإن مكتب التفتيش يرسل جنوداً لمراقبة سطح السفينة ويقوم الوسيط العام ومفتش الجمارك بفحص الحمولات وتقدير الرسوم الضريبية (وهي التي تسمى برسوم التخليص أو رسوم الإفراغ) وكانت تؤخذ بواقع عشرة في المائة من اللؤلؤ والكافور وسائر الأشياء ذات الجودة العالية، وهي تؤخذ عيناً لا نقداً. أما درقات السلاحف والأخشاب العطرية فيؤخذ عنها نسبة ثلاثين في المائة كذلك سن الفيل التي تزن ثلاثين كاتياً^(١) أو أكثر والصبغ العطري^(٢) . الضرائب المسماة عندهم "اقتطاع النصب" أي أن يفرضوا عليها الضريبة العينية وكانت نسبة هذه الضريبة تختلف من فترة إلى فترة وكانوا عادة يقطعون نصيباً واحداً من كل عشرة أنصبه ، وكانوا في أقصى حد يقطعون أربعة أنصبه من كل عشرة أنصبه . ففي فترة شا وتشنغ و يوان فو من عهد تشه تشونغ (١٠٩٤ - ١١٠٠) كانوا يقطعون عشراً من المواد الناعمة مثل اللؤلؤ وكافور برنيو ، وثلاثة أعشار من الأنواع الخشنة مثل درع اللجأة السهفية والبقم . وفوق ذلك كله ، كان من المفروض على أصحاب البضائع أن "يعرضوا العينات" أي أن يختاروا من اللآلئ والبخور وغيرها من المواد ما هو ثمين ليقدّمه إلى الموظفين العاملين في المرسى . وكان من بين البضائع الواردة ما يدعى "المحصور" مثل الودع وقرن الكركدن والعاج والحديد المطاوع والمرجان والعقيق واللبنان ، إذا كانت الحكومة الصينية تشتريها برمتها وتعتبر ذلك مبيعات محصورة لحسابها فقط ،

(١) الكاتي (Catty) رطل انجليزي وثلاث رطل . شوقي عبد القوى عثمان، مرجع سابق، ص ٢٥٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٠.

بينما كانت تشتري من البضائع الأخرى كميات محددة ،أما بقية البضائع التي سميت بالمبيعات المفتوحة فكان يحق لأصحابها أن يبيعوها بيعاً حراً دون أن يدفعوا أي ضريبة أخرى في المناطق الإدارية التي يقيمون فيها (كانت نسبة المبيعات المفتوحة من البضائع تختلف باختلاف المناسبات) وإذا رغبوا في أن يبيعوها في مناطق أخرى لزمهم أن يتقدموا إلى إدارة شئون السفن الأجنبية والتجارة الخارجية بتقارير يصرحون فيها بأسمائها وكمياتها ويطلبون إذناً للإقامة المؤقتة أو السفر^(١) .

وبالإضافة إلى تلك الرسوم التي تسمى رسوم الإفراغ كان لابد من أن تباع في سوق محكمة طالما أنها أشياء مرخص بها . أما عن التجار الذين لديهم أسنان عاجية كبيرة الحجم نسبياً ويرغبون في بيعها في مكان آخر فكان عليهم أن يقطعونها إلى أجزاء زنة الواحد ثلاث كاتيات أو أقل ، حتى يتهربوا من السوق الرسمية نظراً لسعر السوق الرسمية. بل إن ثمة أصناف من البضائع كانت تبخس قيمتها بشدة إلى الحد الذي يثير سخط التجار أو يوقع بهم الخسارة . ولا يستطيع أي فرد أن ينقل البضاعة أو جزء منها قبل أن تؤدي السفينة رسم التفريغ حتى لو كان بمقدار الهاو (Ahau)^(٢) أما الشخص الذي يلجأ إلى ذلك فإن بضاعته تصادر ، فضلاً عن معاقبته عقوبة تتناسب وخطورة إثمه^(٣) ويبدو أن هذه الرسوم لم تكن ثابتة فكانت تتزايد وتتناقص حسبما تراه الحكومة ، فقد بلغت أحياناً ٤٠% وأحياناً أخرى ١٠% وللمحافظة على سعر البضائع فلا تباع سلعة بأعلى من قيمتها أو أقل حتى لا يضار البائع أو المشتري^(٤) .

(١) قوة يونغ ده،مرجع سابق، عدد يناير ٢٠٠٣م، ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) الهاو يساوي ١٠٠٠% من التابل وهو وحدة وزن صينية تساوي ثلث أوقية . Hith .f,chan ju kua p . 23

(٣) Loc,cit, p , 23

(٤) شوقي عبد القوى عثمان،تجارة المحيط الهندي،مرجع سابق،ص٢٦١ .

فكانت السفن التي تصل إلى كانتون تسلم بضاعتها إلى الوكالة الإمبراطورية التي تقوم بتخزينها إلى أن يتم وصول آخر السفن في قافلة الموسم وبعد ذلك تسلم لأصحابها (١) .

وبجانب ميناء كانتون كان هناك أيضاً موانئ منغ شو، وهانغ شو ، وهي خانفو أو الخنسا عند ابن بطوطة ، (جوان شو) في فوكين. وفي بادئ الأمر كانت إدارة الجمرك بمدينة كانتون فقط . فلما اتسع نطاق التجارة وكثر ورود السفن من الخارج إلى هذه الموانئ عجزت هذه الإدارة عن مراقبة التجارة الخارجية التي تقدمت سريعاً فزاد النشاط وكثرت الحركة مما دعا إلى إنشاء إدارات أخرى بجميع الموانئ وعين فيها المأمورين عن إدارة المراقبة بكانتون وترك لهم تنظيم شئونها (٢) وعندما تصل السفينة إلى الميناء يخرج المراقبون فيكتبون عدد من في السفينة من النساء والرجال والأطفال والعبيد كما يكتب اسم صاحب السفينة وسم أبيه وأسماء التجار وأعمارهم وبلادهم وجميع ما في السفينة من بضائع وبعد ذلك يسمح للركاب بالنزول (فيذهبون إلى بيت الخصى الأمين (بيدوا أنه المسئول عن الميناء) ومنزله خارج المدينة فيضيفهم ويسألهم عن أحوالهم ، ثم ينصرفون إلى رحالهم ويأمر الخصى الوكيل بحسن تعهدهم وتفقدهم (٣) . ولم تكن المراقبة الشديدة قاصرة على السفن الأجنبية فقط ، بل شملت أيضاً السفن الصينية المسافرة للبلاد الأجنبية ، وإن كانت تنبئ هنا عن الاهتمام بالمواطنين والحرص عليهم ، فكانوا يقيدون كل من عليها من البحارة والرماة والخدام والركاب في دفتر خاص، وعند عودة تلك السفينة يراجع ما بها من رجالها ، فإذا وجدوا شخصاً أو أشخاصاً مفقودين فعلى ربان المركب أن يذكر أسباب فقده . فإذا لم يستطع تقديم الأدلة المقنعة عوقب العقاب المناسب فإذا فرغوا من ذلك طلبوا إلى صاحب السفينة أن يملى عليهم تفصيلاً جميع ما في السفينة من سلع ثم يتم تفرغها تحت إشراف المراقبين فإن عثروا على سلعة لم تذكر أسباب

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٦١ .

(٢) بدر الدين الصيني، العلاقات بين الصين والعرب، مرجع سابق، ص ١٣٥ .

(٣) المرزوي "الطيب شرف الزمان طاهر"، أبواب في الصين والترك والهند، منتخبة من طبائع الحيوان، بدون تاريخ

ومكان، ص ١١ .

فقدته، فإذا لم يستطع تقديم الأدلة المقنعة عوقب العقاب المناسب فإن عثروا على سلعة لم تذكر أصبحت السفينة بجميع ما فيها حقاً للمخزن "أي الحكومة أو الإمبراطور" (١).

وقد تمتع التجار المسلمون برعاية خاصة من حكومة الصين فكان التاجر المسلم يخير عند وصوله في الإقامة في الفندق أو عند تاجر من المسلمين. فإن رغب في النزول عند التاجر حصر ماله وضمنه التاجر المستوطن وأنفق عليه منه في حدود المعقول فإذا أراد الرحيل ووجد بضاعته ناقصة فعلى التاجر المستوطن أن يعرضه منها. وفي حالة الإقامة في الفندق يسلم ماله لصاحب الفندق الذي يشتري له ما يحب ويحاسبه، وأما إنفاق ماله في الفساد فلا سبيل إليه، ويقولون : لا نريد أن نسمع في بلاد المسلمين أنهم يخسرون أموالهم في بلادنا ويبدو أن هذه الرعاية التي تمتع بها التجار المسلمون كانت نتيجة أنهم العصب الرئيسي للتجارة في المحيط الهندي . فضلاً عن قوة المسلمين عالمياً في ذلك الحين (٢).

هنا نجد الحرص التام من جانب الحكومة الصينية على سمعتها أمام العالم الخارجي هذا الحرص مبعثه ، بالإضافة إلى التقدم الحضاري ، الرواج الاقتصادي الذي يحدثه التجار المسلمون بالبلاد لذلك حرصت الحكومة الصينية على توفير الحماية الكافية لهم والعناية التامة بأحوالهم وترك حرية التنقل لهم . كما وضح أيضاً في مراقبة الفنادق مراقبة تامة حتى لا يحدث فيها ما يشين.

وقد أدى هذا إلى أن تصبح الصين من البلاد التي يقطعها المسافر ، وأيا كانت الأموال التي معه فلا يضيع منها شيء. وقد أدركت الحكومة الصينية أهمية التجارة فلم تهتم بالموانئ فقط ، بل اهتمت أيضاً بالطرق لأنها عصب النشاط الاقتصادي ، فأقامت الفنادق على تلك الطرق لكي توفر الراحة للمسافرين والتجار وفيها كل ما يحتاجونه من مأكلاً ومشرباً ،

(١) ابن بطوطة ،مرجع سابق، ص ٤١٦ .

(٢) كان يطبق ذلك أيضاً على الصينيين فمن يخرج منهم إلى سفر يكتب اسمه واسم من معه من الرفقاء والأموال وعند بلوغه كل مسلحة (يبدو أنها نقاط للمراقبة والتفتيش على الطرق) يقرأ صاحب المسلحة المكتوب كي يكتب إلى الخص ، وهو أمين الملك ، بكل البيانات عن المسافرين واليوم والشهر وبذلك يمكن المحافظة على أموال وحيياة المواطنين ويبدو أنه كان لا يمكن لأي مواطن السفر دون إذن من الملك وإلا حبس وغرم،شوقي عبد القوى عثمان ، مرجع سابق ص ٢٦٣ .

وكان لكل فندق رئيس ومعه بعض الفرسان والرجال لحماية الفندق والطريق والقيام بشؤونه وعندما يحل المساء يكتب حاكم (مدير) الفندق أسماء النزلاء ، ثم يغلق باب الفندق عليهم مع ختمه وفي الصباح ينادي كل فرد باسمه ويكتب تلك الأسماء في كتاب ويبعث معهم من يوصلهم إلى الفندق التالي^(١) ويأتيه من حاكمه بما يفيد وصولهم سالمين^(٢) .

ولم يقتصر الاهتمام على الطرق والموانئ وحماية المسافرين بل شمل أيضاً التعامل بين الأفراد فكانت هناك القواعد المنظمة للتعامل بينهم . فمثلاً كان يجوز كتابة الدين في عقد . وهذه المعاملات تتم غالباً بين التجار ، وكان عقد الدين يتم على النحو التالي :

إذا كان لرجل على رجل دين يكتب عليه كتاباً ، وكتب الذي عليه الدين كتاباً ويعلم المدين الكتابين بعلامة من أصبعيه الوسطى والسبابة ويأخذ كل منهم كتاباً . فإذا أنكر المدين الدين يظهر الدائن كتابه وفي هذه الحالة يعاقب المدين بالضرب عشرين خشبة على الظهر وغالباً ما تؤدي إلى موته كذلك يدفع عشرين ألف فكوج^(٣) لذلك نادراً ما أنكر أحد الدين الذي عليه^(٤) . واشتهرت الصين بالأمن لأن أقصى العقوبات كانت تواجه من يسيء إلى الوطن .

السفاتج والصكوك :

كان من وسائل المعاملات المالية السفاتج^(٥) أو الحوالات التي كثر استعمالها في الدولة الإسلامية خلال القرن الرابع الهجري . ذلك أنه لما نشطت التجارة وازدادت المعاملات المالية أصبح التعامل بالمبالغ الكبيرة يواجه بعض الأخطار وبخاصة من ناحية نقلها من بلد إلى آخر ، لذلك لجأ التجار إلى استعمال السفاتج وهي رقاع يكتبها الجهابذة أو الصرافون بقيمة المبالغ التي يأخذونها منهم، قابلة للصرف في أي بلد من عملاتهم، وقد قام الجهابذة و الصرافون في ذلك العصر مقام البنوك فكان التجار يأخذون رقاعاً منهم بما لديهم من الأموال ثم يشترون ما يلزمهم ويحولون ثمنه عليهم^(٦) .

(١) المروزي، مرجع سابق، ص ١٥ .

(٢) ابن بطوطة، مرجع سابق، ص ٤١٧ .

(٣) فكوج : يساوي ألف فلس ، السيرافي، سلسلة التواريخ، مرجع سابق، ص ٤٣ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٣ .

(٥) السفاتج / مفردتها سفتجة وهي كلمة فارسية معناها ورقة مالية أو خطاب ضمان .

(٦) كانوا إما من التجار أو الصيارفة أو من المشتغلين بالأعمال المالية.

كما كانت الصنفاة المالية بين المراكز التجارية مثل القاهرة وبغداد تتم تحت إشراف هؤلاء الصيارفة (١).

كذلك كانت الصكوك تستعمل كوسائل لدفع المال . فيقول اليعقوبي "إن عمر بن الخطاب كان أول" من صك وختم أسفل الصكاك ويذكر الجهشياري أن الفضل بن يحيى البرمكي طلب من الرشيد أن يعطي محمد بن إبراهيم الإمام ألف ألف درهم ، فلما وافق على إجابة طلبه ، سأله الفضل أن يصك بهذا المبلغ صكا بخرطه ، وقد استخدمت الصكاك أيضاً منذ أوائل القرن الثالث الهجري لدفع رواتب الجنء ، فيذكر هلال بن الصائى أن أبا الحسن بن الفرات الذي كان يلي ديوان الخراج أيام الخليفة المكتفي (٢٨٩-٢٩٥هـ) أخذ على محمد بن داود إطلاقه عطاء الجيش بغير صك ، فأمر الوزير صاحب بيت المال "بالأ يطلق شيئاً في إعطاء وإنفاق إلا ما عرفه أبو الحسن وأذن فيه وثبت علامته على الصكاك وأخذ استعمال الصكوك يشيع منذ ذلك الوقت حتى تعدى دوائر الحكومة إلى أفراد الشعب (٢) .

وكان أكثر ما عانت منه الصين هو دفع قيمة المشتروات الصينية بالعملاء الصينية فقد كانوا على عهد أسرة سونج يدفعون كميات كبيرة من النقد لما يستوردون من سلع . ويبدو من سجلات ذلك الزمان أن حجم هذه العملات النقدية كان كبيراً للحد الذي أشاع الخوف على المعادن في البلاد ، فقد كانت تتسرب منها بمقادير ضخمة لقاء ما يرد من سلع . وخوفاً على العملات الصينية أمر الإمبراطور التجار أن يدفعوا قيمة سلعمهم سلعاً من إنتاج الصين (٣) . ولذلك فتشت السفن الصينية والأجنبية تفتيشاً دقيقاً لكي لا تهرب العملة خارج البلاد (٤)

(١) Davidson .B. the Lost Cities of Africa, p 187.

(٢) شوقي عبد القوي عثمان، مرجع سابق، ص ٢٦٤ .

(٣) Davidson .B. the Lost Cities of Africa, .187.

(٤) محمد جمال الدين سرور، مرجع سابق، ص ١١٢ .

يبدو أن هذه العملات كانت تسك من الذهب والفضة ، أي من مواد لها قيمة في الأسواق الخارجية لأن من المسلم به أن العملة الوطنية تعد أداة عامة في الوفاء بالالتزامات الناشئة عن المعاملات الاقتصادية الداخلية ، فيمكن أن تكون تلك العملة من الورق أو الجلد أو البرونز أو أي مادة أخرى ، ولكن الأمر على خلاف ذلك في تسديد قيمة السلع المستوردة حيث لا تقبل العملة المحلية كثمن للسلع ولكن ما يقبل هو عملة مصنوعة من مواد غالية القيمة في ذلك العصر الذي لم يعرف فيه عالمية بعض العملات كالآن .

وكانت عقوبة تهريب العملة تتراوح ما بين سنة سجن وعقوبة الإعدام، وذلك حسب كمية النقود المهربة كما كان يتم مكافأة من يقومون بالإخبار عن المهربين ورغم ذلك ظل تسرب العملة . وكإجراء آخر عمدت الحكومة إلى إقامة محطات تجارية على نقاط معينة في الحدود حيث يمكن مقايضة السلع الصينية كالحرير والبورسلين بالبضائع الأجنبية^(١) .

وبالرغم من هذه القواعد والاتجاهات المنظمة للتجارة والتي تمنع دفع العملة النقدية كثمن نقدي للبضائع المستوردة ، إلا أن العملة الصينية ظهرت في شرق أفريقيا ومناطق أخرى^(٢) .

ولكن ألا تفسر لنا الشدة التي كانت تجابه بها حكومة الصين من يتعامل بالنقد والتحذيرات والإجراءات التي وضعتها لكي تمنع هذا أمراً ما ؟ وهو ندرة السلع التصديرية أحياناً في الصين . أما باقي السلع من التوابل والأخشاب وغيرها فقد دخلت في نطاق السلع التنافسية الأخرى الموجودة بالهند وجزر شرق آسيا وغيرها وهي مناطق أقرب إلى مناطق الاستهلاك من الصين . لذلك عمد التجار إلى تعويض هذا النقص في السلع التصديرية بالتعامل بالعملات الصينية الذهبية والفضية) مما أدى إلى نقصها .

(١) شوقي عبد القوى عثمان، مرجع سابق، ص ٢٦٤ .

(٢) المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

وعلى الرغم من أن الحرير والبورسلين الصيني طبقت شهرتهما الأفاق جودة ودقة في الصناعة إلا أن يبدو أن أسعارها كانت رخيصة لانتشار صناعتها ، وكثرة المعروض منها في الأسواق حسب قانون العرض والطلب أو بعبارة أوسع حسب العوامل السلعية، وهي عبارة عن العوامل التي تحدد العلاقة بين الطلب والعرض لكل سلعة . ويتحدد الطلب بتفضيلات المستهلكين ، كما يتحدد العرض بالظروف الفنية للإنتاج، وتحدد العلاقة النسبية بين أسعار السلع المختلفة وفقاً لقوى الطلب وقوى العرض في السوق^(١) . لذلك لم تستطع سلعتا التصدير الرئيسيتان الحرير والبورسلين ، بالإضافة إلى غيرهما من السلع التصديرية الأقل أهمية، أن توازن احتياجات البلاد من الواردات بحيث يميل ميزان المدفوعات لصالحها فوزن بتهرب العملات النقدية^(٢) .

وما سبق يدفعنا إلى تساؤل حول إمكانية ربح التاجر من تعامله مع الصين ، خصوصاً إذا كانت فترة الرحلة ذهاباً وإياباً تستمر حوالي عام ونصف عام ، إلى جانب طول المسافة وأهوال الرحلة واحتمال تعرض التاجر لفقد جزء من تجارته نتيجة تخفيف حمولة السفينة ، أو فقدانها جميعاً هي وحياته لغرق السفينة . وفوق كل هذا كانت الرسوم الجمركية التي كانت تفرضها حكومة الصين والتي بلغت ٤٠% عيناً من السلع الواردة ، تمثل عبئاً إلى جانب الرسوم التي كان التاجر يدفعها في الميناء الذي سيبيع فيه سلع الصين . وهنا يبدو تفسير وهو أقرب الاحتمالات وإن كان احتمالاً شبه مؤكد . فقد كانت السلع الصينية تنحصر بصفة أساسية في الحرير و البورسلين و هما سلعتان لا مثيل لهما في العالم من حيث دقة الصناعة و جمالها و مع هذا كان سعرهما رخيصاً لوفرة المنتج^(٣)

(١) محي الدين الغريب ، اقتصاديات النقود والبنوك ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص١٣٧ .

(٢) يشمل ميزان المدفوعات ضرباً عديدة من المعاملات الاقتصادية تصديراً أو استيراداً وتبادل خدمات وقروضاً وغيرها مما يتم بين بلد وآخر . لذلك ينقسم ميزان المدفوعات إلى جانب دائن الصادرات في ذلك العصر ، وجانب مدين الواردات . أحمد الغندور، العلاقات الاقتصادية الدولية، القاهرة ، ١٩٧٠ ص ٢٠ .

(٣) شوقي عبد القوي عثمان، مرجع سابق، ص ٢٦٦ .

أو بمعنى آخر يمكن المقايضة على كميات كبيرة من هاتين السلعتين بقليل من العاج أو البخور ، أو أي سلعة أخرى تحتاجها أسواق الصين لشدة الطلب علي سلع غرب المحيط (١) .

و في مقابل ذلك كانت هاتان السلعتان عاليتي القيمة في أسواق غرب المحيط الهندي ، خصوصاً في الساحلين العربي و الأفريقي . فكان يمكن مقايضة كمية قليلة من الحرير و البورسلين بكميات كبيرة من العاج و الذهب و غيرهما و ذلك لوفرة المنتج منهما أيضاً .

إذاً هذا الفارق سعري في مجموع عمليتي البيع و عمليتي الشراء يوضح أن العملية التجارية عملية رابحة دائماً فالشراء و هو ما يخرج من جيب التاجر دائماً بثمن رخيص والبيع وهو الداخل إلى جيب التاجر بثمن مرتفع أو بعبارة أخرى "إن المقايضة في كل الأحوال تتم لصالح التاجر" .

وخير ما يدل على عظم أعمال التجارة وكثرة تجاوبهم في البلاد هو ما يروييه شاعر الفرس السعدي الشيرازي عن أحد التجار بجزيرة قيس أو كيش حيث يحدثه قائلاً "يا سعدي أمامي سفرة أخرى فإذا تم ذلك أفتت بقية العمر في زاوية واخترت العزلة فقلت أين سفرة تلك ، قال:أريد أن أحمل الكبريت الفارسي إلى الصين ، فقد سمعت أنه له قيمة عظيمة ومن هناك أحمل الآنية الصينية إلى الروم والديباج الرومي إلى الهند والفولاذ الهندي إلى حلب والزجاج الحلبي إلى اليمن والبرد اليماني إلى فارس (٢) . هكذا كانت دراية التاجر التامة بالسلع ومناطق إنتاجها ليس هذا فحسب . بل المعرفة التامة أيضاً باحتياجات كل منطقة وأين توجد تلك الاحتياجات.. والأكثر من ذلك ترتيب خط سير السفر ومناطق التوقف بحيث تكون له تجارة في كل منطقة يبيع فيها ما معه، ويشترى ما تحتاجه المحطة التالية وهكذا يمضي وقت سفره كله في بيع وشراء.

(١) شوقي عبد القوي عثمان، مرجع سابق، ص ٢٦٦ .

(٢) السعدي الشيرازي، جنة الورد، القاهرة، تعريب، أيمن عبد المجيد بدوي، ١٩٨٢م، ص ١٧٧.

تلك المعرفة الواسعة أدت إلى نشاط الحركة التجارية وازدهار التجارة بأرجاء المحيط الهندي بما تحمله من ثروات ومؤثرات دينية وثقافية ، كل ذلك قبل أن تخرج أوروبا من ظلامها إلى نهضتها . وكان الكارميه ^(١) أشهر تجار المحيط الهندي والبحر الأحمر ، حيث كانوا يجلبون لدولة المماليك بمصر سلع المحيط الهندي ، تلك السلع التي أدت إلى ثراء دولة المماليك. وبالمثل فإن قيامهم بالوساطة التجارية بين الشرق والغرب نمت مكانتهم التجارية وأصبحوا يمثلون الرأسمالية التجارية في ذلك العصر . وقد وصلت رحلات الكارميه إلى الصين . ويشير المقريزي إلى أحدهم الذي نسب إليهم اسم كولم وهي ميناء بالهند . دليل كثرة سفره إلى الهند وربما إلى هذا الميناء بالذات وهو عبد العزيز بن منصور الكولمي . كما يذكر أنه تاجر في الصين أيضاً عام ١٣٠٣م ^(٢) .

(١) لم يذكر بالتحديد لماذا سمو بهذا الاسم يذكر القلقشندى : أن هذا الاسم لا معنى له ويقال إن أصله الكانمي نسبة إلى الكانم (بلاد في وسط أفريقيا) وإن طائفة منهم كانوا مقيمين في مصر شأنهم المتجر في البوهار من الفلفل والقرنفل ونحوهما مما يجلب من الهند واليمن فعرف ذلك بهم .
القلقشندى (ابن العباس أحمد) ، ضوء الصبح المسفر وجني الروح المثمر ، القاهرة ، تحقيق محمود سلامة، ١٩٠٦م ، ص ٢-٣ .

أما ليثمان فيفترض أن هذا الاسم قد أخذ عن متاجرهم ، إذا وجد أن كلمة Kuararina وهي لفظة أمهرية تفيد معنى الهيل أو الحبهان وهو تابل من التوابل التي اشتغلوا بالتجارة فيها ثم صحفت هذه الكلمة وأصبحت كارم وأطلقت على هؤلاء التجار . صبحي لبيب : التجارة الكارميه وتجارة مصر في العصور الوسطى ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية . مايو ١٩٥٢م . ص ٦ .

ويذكر صبحي لبيب أنه كان في القاهرة سوق مشهور للعنبر أو الكارم إذ لا يكاد يوجد بأرض مصر امرأة وإن سفلت إلا ولها قلادة من العنبر الأصفر أو الكارك وإذا كان هذا الكارم إحدى السلع التي استجلبها الكارمين ضمن ما استجلبوه إلى مصر ، فمن الجائز أن ترد نسبتهم إلى هذه السلعة ، التجارة الكارميه صبحي لبيب ص ٧

ويرى جويتين أنه رغم أن الكلمة تسبق بأداة تعريف فهي لا تمثل اسم علم ، ولكن لا بد من أنها اسم شائع ولا توجد في اللغة العربية كلمة مناسبة تحمل معنى نفي بأنشطة هذه الجماعة . أما لغة الجنوب الهندي Tomit فهي تضم كلمة كريام Karyam التي تعني ضمن ما تعني شئون الأعمال حيث كانت الأعمال مع الشرق الأوسط تمثل الاهتمام الرئيسي لتجارة الساحل الغربي للهند . وكانت جماعة من تجار وملاك السفن في هذه المنطقة تلقب نفسها بهذا الاسم .
(٢) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، مصر ، حقق الجزء الأول والثاني د/محمد مصطفى زيادة، وحقق باقي الكتاب سعيد عاشور، ج ١٩٧٣، ٢م ، ص ١٣٢ - ص ١٣٣ .

أما تجار الصين فيدلل ابن بطوطة على ثرائهم ، بأنه من عاداتهم أن يسبك التاجر ما يكون عنده من الذهب والفضة قطعاً تكون القطعة منها قنطاراً فأزيد ويجعلها على باب داره ، ومن كان يملك خمس قطع يلبس في إصبعه خاتم ، ومن يملك خمس عشرة قطعة سموه الستى "وهو بمعنى الكارمي بمصر" وهذا دليل على شهرة وثراء الكارمي ، كما أنه دليل على توافر الأمن والأمان في الصين . فكيف يستطيع إنسان أن يضع ذهباً وفضة على باب داره دون خوف من اللصوص (١) .

مما سبق نجد أن طريقة التعامل التجاري والضرائب المفروضة تختلف باختلاف الموانئ فكما كان الميناء خاصاً بدولة لها كيائها ووزنها نجد أن له نظاماً خاصاً في التعامل مع التجار وتفقيش السفن وإعطاء أدونات وتراخيص ويقوم بكل هذا موظفون معينون لهذا الغرض .

إلى جانب محاولة توفير الأمن والأمان وإيجاد نظام للتعامل بين التجار واستيفاء الحقوق والديون لأصحابها، كل هذا أرسى وأوجد تقاليد ملاحية في تلك الموانئ بعكس الموانئ الأخرى التي تذهب السفن إليها نادراً فلا تجد بها تلك التقاليد ولا نظاماً يعمل بها . وإنما فرح من الأهالي بوصول تلك السفن واستضافتها وإقامة عمليات البيع والشراء فلم تكن هناك أسواق كبيرة كتلك التي في الصين أو ملاكه أو الهند لها مراسم ونظم وقوانين . ومن المؤكد أن المعاملة الحسنة للتجار وشعورهم بالأمن وبترحيب السلطات بهم يدفعهم إلى مداومة التجارة بتلك الموانئ ، رغم المغالاة في الضرائب والرسوم التي كانت بعض السلطات تفرضها . فالمعاملة الجيدة للتجار والنظام الواضح المحدد في التعامل فضلاً عن توفير الأمن ومناخ الاستقرار وإمكانيات الإقامة وحرية التنقل والتجارة، كل هذا ساعد على تنمية موارد الدولة وعلى جعلها منطقة جذب تجاري .

(١) p . 60 S. D.Goitein , studies in Islamic history and institutions ولكن من المعروف أن هذه الجماعة وجدت في مصر وكانت لهم نقابة في قوص ويكون أقرب إلى المنطق أن يكون اسمهم الشائع مأخوذ من المنطقة التي وجدوا فيها . فهل كان كريم اسم أو لقب لأول تاجر منهم أو تاجر من أشهر تجارهم وانسحب اسمه على الطائفة فسمي بالكارمين . أو كانت أول عائلة اشتغلت بهذه التجارة تدعى الكارمي نسبة إلى جدهم كريم أم أنهم اشتهروا بالكرم وحولت الصفة إلى اسم دال عليهم أم انسحب عليهم المثل الشعبي عندما يتساءل البعض عن موعد وصول البضاعة فيرد عليه "إننا في انتظار الكريم" على كل هذه مجرد تخمينات تحتمل الصواب وتحتمل الخطأ وما زال مجال البحث عن أصل التسمية مفتوحاً . لمزيد من التفاصيل انظر صبحي لبيب ، التجارة الكارمي ، سعيد عاشور ، العصر المالكي في مصر والشام ، القاهرة ١٩٦٥ م .

الفصل الثالث

أثر النشاط التجاري
على المظاهر الدينية

الفصل الثالث

أثر النشاط التجاري للمسلمين على المظاهر الدينية

(١) الصين قبل وصول الإسلام إليها :

من المعروف أن دخول الإسلام إلى الصين بالدرجة الأولى كان على يد التجار المسلمين ، ويوجد أثر بارز من آثار العلاقات التجارية في بعض الجوانب الحضارية ونعني به انتشار الدين الإسلامي في بعض جهات من بلدان الشرق الأقصى ، حيث تكونت جاليات عربية وإسلامية واستقرت ونمت في كثير من أطراف الصين والهند ، وقد لعبت هذه الجاليات دوراً بارزاً في نشر الإسلام بهذه المناطق البعيدة كما كانت عاملاً فعالاً في تهذيب أخلاق الناس ، والحفاظ على أعراسهم وكراماتهم، فحرمت الأعراس على الغرباء إلا بالزواج، وكانت قبل ذلك مباحة، وأصبح شرب الخمر محظوراً بعد أن كان يحتسبه الكبير والصغير^(١) .

انفردت هذه الجاليات الإسلامية في مدن الهند والصين بسكناهم وكان لهم في كل مدينة حي يقيمون فيه مساجدهم لإقامة شعائرهم الدينية وكانوا معظمون محترمون وكان لكل جالية رئيس منهم يتولى أمرهم ويقوم القضاء فيهم وينظر في شئونهم ومصالحهم وكانوا لا يقبلون غير حكم المسلمين فيهم ولا يقبلون إلا شهادة المسلمين^(٢) .

وكانت اللفظة المقابلة للإسلام في اللغة الصينية في عهد أسرة تانغ (Dashifa) أي ملة التازيان ، وفي عهد أسرة سونغ (Dashifadu) أي نظام التازيان وكانت اللفظة المقابلة للمسلم أو المسلمين في اللغة الصينية في عهد أسرة يوان هي (Huihui) أو (Meisuluman) (Musuluman) ،

(١) ابن حوقل "أبو القاسم محمد النصيبي"، صورة الأرض، لندن ، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م، ص ٣٢٥ وما بعدها .

(٢) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، القاهرة، إعداد وتقديم خيرالدين محمد قويللاي، وزارة الثقافة، ١٩٩٩م، ص ٧٥.

(Musurman) (Musurman) (Pusuman)، ولم يكن هناك أحد قد وجد للإسلام تسمية ثابتة وشائعة الاستعمال في المصادر الصينية . وفي عهد أسرة مينغ كانت هناك عدة ألفاظ مقابلة للإسلام في اللغة الصينية (Huihui jiaomeng) أي مذهب هوي هوي و (Huihuijiao) أي ديانة هوي هوي أو (Giao) (Fionfong) أي "دين بيت الله" ، وفي نهاية أسرة مينغ وبداية أسرة تشينغ (المنشوريين) أصبحت اللفظة المقابلة للإسلام في اللغة الصينية هي (Qinzhengjiao) بمعنى "صراط الواحد الأحد والمنزه عن الرجس والمتعالي عن الدناءة دائماً وأبداً"، ولما بدأ عصر جمهورية الصين ، أصبحت هي (huijiao) أو (xiao jiao) بمعنى دين أبناء أهل Huihui أو الديانة الصغرى (نسبة إلى الديانة الكبرى التي تدين بها هان القومية الكبرى) ثم سميت بـ (Yisilanjiao) في عموم البلاد بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية (١) .

كان للصينيين دين قبل وصول الديانات إليهم مبني على الأوهام والخرافات ، مثل شأن كل أمة من الأمم في جاهليتها الأولى ، وكانوا يتخذون الأجسام السماوية ، والظواهر الطبيعية معبودات لهم ، غير معتقدين بخالق جبار تحت تصرفه كل شيء من الموجودات ، والكائنات فتعددت آلهتهم ، وتفرقت طرق عباداتهم (٢) .

ولم يرق المجتمع الصيني القديم على العلم بل قام على خليط عجيب من الدين ، والأخلاق ، والفلسفة ، ولم يشهد التاريخ شعباً من الشعوب أشد من الشعب الصيني استمساكاً بالخرافات ، أو أكثر منه تشدداً ، أو أعظم منه تقي ، أو أكثر إنصياعاً لحكم العقل ، أو أقوى منه دنيوية . ولم توجد على ظهر الأرض أمة تماثل الأمة الصينية في التحرر من سيطرة الكهنة ، ولم يسعد قوم غير الهنود بالهتهم أو يشقوا، مثلما سعد بهم الصينيون أو شقوا ،

(١) قوة ينغ دة ، مرجع سابق، عدد مارس ٢٠٠٣م، ص ٦٨ .

(٢) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين، مرجع سابق، ص ١٤١ .

ولن نستطيع أن نفسر هذه التناقضات إلا بأن نعزو لفلاسفة الصين نفوذاً لا نظير له في التاريخ ، وأن نفر بما في عقل الصين من معين للأمانى الخيالية لا ينضب (١) .

والديانات قبل دخول الإسلام إلي الصين لا تعدو أن تكون سوى مجموعة من التعاليم التي هي من وضع البشر وليست من وحي السماء ، نادي بها فلاسفة كبار مثل "كنفوشيوس" و "لوتس" و "بوذا" فالدين في الصين بهذا المعنى مزيج من التعاليم والفلسفات الكونفوشيوسية والطاوية البوذية ، ورغم ذلك فهم غير خارجين عن أحكام العقل والحق في القضاة والحكام (٢) .

فالحديث عن أديان الصين قبل الإسلام يجعل القارئ جدير بأن يكون لديه القدرة على معرفة منزلة الإسلام وعظمته في الصين ، ويعرف حق المعرفة أن الإسلام هو الدر المكنون الذي لو كشف للناس لسطع نوره على قلوب الذين لم يتدينوا بدين سماوي ، ولدخلوا في دين الله أفواجا .

فالأديان السائدة في الصين قبل وصول الإسلام إليها هي الكونفوشيوسية والطاوية والبوذية، فكثير من الصينيين يعتقدون في هذه الديانات الثلاثة في وقت واحد ، ولا يرون في ذلك حرجاً ، فالدين في بلاد الصين مزيج من التعاليم والفلسفات (٣) .

(٢) النشاط التجاري وزيادة المعرفة الصينية بالعرب والمسلمين :

لم يكن الصينيون يجهلون العرب وبلادهم قبل الإسلام ، ومن الطبيعي أن تكون لديهم نتيجة العلاقات التجارية النشطة مع العرب معرفة كافية بمن يتعاملون معهم ويتبادلون مصالحهم التجارية ، فيعرفون بلادهم وما تشتهر به من سلع ومتاجر يتم تبادلها بالسلع والمتاجر الصينية . ومن المؤكد أن تزداد تلك المعرفة الصينية بالعرب وديارهم وأوضاعهم بعد ظهور الإسلام ، كونه حدثاً بالغ الأهمية في حياة

الإنسانية جمعاء ، وربما أحدثه في الأوضاع العالمية

(١) ول ديورانت، قصة الحضارة ، بيروت، لبنان، ترجمة محمد بدران، دار الجيل ، ص ٢٥٦ .

(٢) محمد محمود زيتون ، مرجع سابق ، ص ٩٦ .

(٣) حسن محمد جوهر ، عبد الحميد بيومي، مرجع سابق، ص ٧٩ .

من تطورات ومتغيرات عميقة لا تخفي على القريب والبعيد من جهة ، ونتيجة ازدياد حركة التبادل التجاري بين المسلمين والصينيين من جهة ثانية، ونتيجة الجهود التي بذلها التجار المسلمون في التعريف بالإسلام والدعوة إليه من جهة ثالثة .

وبالفعل حوت المصادر والحوليات الصينية معلومات جيدة عن العرب وطبيعة بلادهم وتاريخهم قبل الإسلام وبعد ظهوره ^(١) . كما حوت معلومات عن الدين الإسلامي ، وعن النبي محمد ﷺ ونسبه وقبيلته ، وعن الدولة الإسلامية زمن الخلفاء الراشدين التي أطلقوا عليه اسم (داشي ، Da-chi) ، النطق الصيني للفظ (تاجر) العربية التي استخدمها التجار العرب والمسلمون في التعريف بأنفسهم عند وصولهم إلى الموانئ والمراكز التجارية الصينية ^(٢) .

ويذكر أحد المتخصصين ^(٣) في التاريخ الصيني أن أصح المعلومات التي وردت في مؤلفات الصين القديمة عن البلاد الأجنبية كانت عن العرب وأحوالهم. لقد أسهمت تلك المصادر وغيرها في الحديث عن الإسلام وتاريخ وصوله إلى الصين والظروف التي وصل فيها ، وعن العرب وبلادهم ومراكزهم التجارية وما تشتهر به ^(٤) ، وعن أقاليم العالم الإسلامي . ونتيجة تطور العلاقات بين الجانبين وتطور أوضاع غرب آسيا بعد ظهور الإسلام من جهة ، وما لذلك من تأثير في الأوضاع العالمية في ذلك الوقت - ومنها أوضاع الصين - من جهة ثانية ، سعت الصين إلى المحافظة على هذه العلاقات والعمل على تنميتها وتطويرها .

(١) جعفر كرار أحمد ، العلاقات التاريخية بين شبه الجزيرة العربية و الصين منذ ظهور الإسلام وحتى أوائل القرن العشرين، مجلة دراسات الخليج و الجزيرة العربية، السنة ٢٤ رمضان و شوال و ذو القعدة ١٤١٩، ص ١٣٥، ص ١٣٠ .
(٢) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين، مرجع سابق، ص ١٤٦-١٤٧ ، جعفر كرار أحمد، مرجع سابق، ص ١٤٤، ص ١٤٦ .

(٣) Breits chneider(e):- Ancient Chinese of the arabs others western countries trubner London,1871.

(٤) جعفر كرار أحمد ، مرجع سابق ، ص ١٤٧ .

ولأجل ذلك دأبت الحوليات الصينية باستمرار على إيراد أخبار متفرقة عن داشي وبلادهم وممالكهم وإماراتهم ، ثم عن المسلمين وخلافاتهم وحواضرهم ومنتجاتهم وأحوالهم الدينية والاجتماعية وغيرها (١)

ومن تلك الحوليات أو المصادر الصينية (Shi – Chi – السجلات التاريخية) المكتوبة نحو سنة ٩١ ق م ، و (Chien – hen – shu ، كتاب أسرة هان القديم) المكتوب سنة ٩٠ م ، و (hou-hen-shu ، كتاب أسرة هان الجديد) المكتوب في القرن الخامس الميلادي) ، وكذلك (chien-ming-shu كتاب أسرة تانج القديم) المكتوب في منتصف القرن العاشر الميلادي (منتصف القرن الرابع الهجري و (hou-tang-shu ، كتاب أسرة تانج الجديد) المكتوب في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي (منتصف القرن الخامس الهجري) ، و (chien-ming-shu – كتاب أسرة منج القديم) الذي تم تحقيقه سنة ١٤٦١ م / ٨٦٦ هـ . ومن ما ألفه المؤرخون الصينيون القدماء ، مثل كتاب الرحالة الصيني (شن – واي، shen-yui) (٤٤٠-٥١٣م) عن البلاد العربية (أخبار الدول الأجنبية) ، وتحديدًا تلك التي تصلها السفن الصينية للتبادل التجاري ، وكتاب (الطريق إلى البلاد العربية عبر البحار) للعالم الصيني (تشاي – تان، chia- tan) (٧٣٠-٨٠٥م/١١٢-١٩٠هـ) الذي يصف فيه المراكز التجارية العربية التي ينتهي إليها الطريق التجاري البحري بين الصين ومواني شبه الجزيرة العربية والمسافات بينهما وما تشتهر به من تجارات ، وهناك أيضاً الدليل الملاحى الذي وضعه (كيا – تان ، kia-tan) بين عامين (٧٨٥-٨٠٥م/١٦٩-١٩٠هـ) ، وأخيراً العمل الموسوعي المهم الذي ألفه (تشاو – دو – هوا ، chou-du-hua) وعنوانه (chu-fa-chi ، سجلات الشعوب الأجنبية) ،

(١) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين، مرجع سابق، ص ١٤٥ ، ص ١٥٠ ، جعفر كرار أحمد، مرجع

وقد ظهر سنة (١١٧٨م/٥٧٤هـ) ، ورصد بشكل دقيق ومفصل عدداً من الأقاليم الإسلامية وأحوال أهلها وعاداتهم وتقاليدهم ولباسهم ومأكلهم ومشربهم ومحاصيل بلادهم وغير ذلك من التفاصيل (١) . هذه أمثلة لأهم الحوليات والمصادر الصينية ، وهناك غيرها العديد من المصادر التي تدل محتوياتها وما تضمنته من أخبار وروايات وقصص على معرفة صينية قديمة بالعرب وأحوال بلادهم ، ثم زادت هذه المعرفة واكتسبت أهمية خاصة بعد ظهور الإسلام والتطورات التي صاحبت توسع الدولة الإسلامية وتطور العلاقات الصينية الإسلامية ، وخصوصاً التجارية منها .

و لا نشك في أن الصينيين قد سمعوا كثيراً عن العرب قبل الإسلام بواسطة التجار الذين كانوا ينتقلون بين (جانغ-آن)و العراق بين كانتون و خليج فارس كما كان العرب قد عرفوا كثيراً عن بلاد الصين ، إذا كان الإسلام لا يزال في مهده يكافح جهالة قريش و عنادهم (٢) و بفضل هذا التعرف العلمي ، كان الصينيون على علم بالتغيرات التي ظهرت في بلاد العرب في أوائل القرن السابع الميلادي حين علت كلمة الحق على جبل الفاران وأشرق نور الهداية في غار حراء فلذلك رأينا الكتب الصينية أخذت تعرض لذكر الانقلابات التي ظهرت في بلاد العرب في عدة مواضع ومن رأي الأستاذ بريس ناندر (٣) . أن الأقوال في مؤلفات الصين القديمة عن البلاد الأجنبية أصحها هو ما قيل عن العرب وأحوالهم وقال إن القراء يكونون مغتبطين بقراءة تاريخ (تانغ) وتاريخ (سونغ) وتاريخ (يوان) في أبوابها عن العرب ، لأن الصينيين في تلك العصور كانوا مطلعين جيد الإطلاع على أحوال الخلافة التي كانوا يسمونها مملكة (تاشي) في كتبهم وأما أصل كلمة تاشي في كتب الصين فلأستاذ (نيو مان) البيان الآتي "من اليقين أن العرب كانوا معروفين في المؤلفات المنسوبة إلى زرادشت وفي دساتير باسم تازي " .

(١) دانج هو، مرجع سابق، ص١٣، ص١٤، ص٣٣، ص٣٤ ، فيصل السامر، الأصول التاريخية للحضارة الإسلامية في

الشرق الأقصى، بغداد، وزارة الثقافة و الإعلام ط٢، ١٩٨٦م ، ص١٢٧ .

(٢) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب و الصين، مرجع سابق، ص١٤٥ .

(٣) كان طبيب بالسفارة الروسية في بكين وله كتاب باللغة الإنجليزية سماه "معلومات الصين عن العرب" ، طبع لأول

مرة في سنة ١٨٧١م بلندن، المصدر نفسه، ص١٤٦ .

ومن المعلوم أن العرب منذ ظهور صاحب الرسالة محمد ρ في أواخر القرن السادس الميلادي بدءوا في النهضة والتقدم . وبسبب هذه النهضة كانوا يذكرون في تاريخ الصين لعهد تانغ العظيمة (٦١٨-٩٠٧م) التي كانت تحكم مملكة الصين الواسعة بالشرق ، كما كان الخلفاء يسيطرون على غرب آسيا وإنما الحديث عن العرب يوجد في "جيوش تانغ شو" أي كتاب تانغ القديم ، وفي "شنتانغ شو" أي كتاب تانغ الجديد ، كما يوجد "تهونغ دايان" فيه باب خاص بالعرب وإليك بعض ماورد في هذه الكتب دلالة على أن الصينيين كان لهم علم بظهور الإسلام في بلاد العرب وانتشاره إلى البلاد المجاورة لها مثل الشام وإيران ومصر وغيرها (١) .

يقول "كتاب تانغ القديم " إن بلاد (تاشي) أي العرب بغرب إيران منهم بنو قريش ، والسيادة في أيديهم فتفرع من قريش بطنان ، بنو هاشم وبنو أمية . ومن بني هاشم محمد رسول الله ρ كان شجاعاً ذا علم واسع فانتخب ملكاً عليهم وقد قاتل من خالفه حتى غلب عليهم وسلط على يثرب .

وفي "كتاب تانغ الجديد" ما يأتي : - (إن بلاد العرب شاملة الأرض التي كان قسم منها تحت حكم الإيرانيين ولرجالها أنوف شامخة ولحي سود ، يحملون السيوف برياط الفضة . لا يشربون الخمر ولا يعزفون الموسيقى ونسائهم بيضاء يتقنعن حينما يخرجون من البيوت) وفي بلاد العرب معبد عظيم فيه يخطب ملكهم مرة كل أسبوع قائلاً : "إن الذين يقاتلون في سبيل الله وقتلوا من أيد الأعداء يرفعون إلى الجنة ، ومن غلب على أعدائه يكون سعيداً . لذا أهل العرب كلهم محاربون مقاتلون شجعان، ويصلون خمس مرات كل يوم، وأما أرض بلادهم فكثيرة الحجارة غير ملائمة للزراعة فالسكان يشتغلون بالصيد والقنص والرعي ويعيشون على اللحوم والألبان وعندهم جواد يقطع ٤٠٠ ميل في يوم واحد وعندهم الإبل أيضاً" (٢) .

(١) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين، مرجع سابق ، ص ١٤٦ .

(٢) chang shin-hug: AncientChina, sRelationwith the Arabs p.45 , Breits Chneider, p.7. (٢)

(٣) انتشار الإسلام نتيجة علاقة التجار المسلمين بالتجار الصينيين :

كان انتشار الإسلام - الذي تحدثت عنه آنفاً - أهم تلك المؤثرات وأبلغها أثراً . وانتشار الإسلام وما صاحب ذلك من تحول جذري في حياة معتقيه يعني انتشار لمجمل تعاليمه وأحكامه ومبادئه ، وعليه يكون اعتناقهم للإسلام عن قناعة تامة بما سيحدثه من تغيير شامل في معتقداتهم وأسلوب تفكيرهم وثقافتهم وكل شؤون حياتهم .

ونحن إذا تتبعنا ظروف انتشار الإسلام بين الصينيين فإنه يتبين لنا الكثير من مظاهر الحرص التي أبداهها المسلمون لنشر دينهم وعقيدتهم والتفاني في إبراز مبادئ الإسلام وحضارته ، مما هيأ الظروف أمام الصين للاستفادة من مؤثرات الحضارة الإسلامية ، والأخذ بها في الكثير من أوجه النشاط الرسمي والشعبي في أرض الصين . ومما ذكرته المصادر الصينية وجود علاقات وطيدة بين كبار التجار المسلمين وعدد من أباطرة أسرة تانج ، وقد أتاح لهم ذلك تولي عدد من المناصب الحكومية ، مما جعل تأثيرهم فعالاً وقوياً في المجالات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية ، وتبع هذا زيادة في أعداد من دخل في الإسلام من الصينيين ، وكثرت أعداد من حاكى المسلمين في عاداتهم وتقاليدهم وفي كثير من شؤون حياتهم ^(١) . وكان من إيجابيات انتشار الإسلام أن تمكنت معرفته من أذهان الناس وأعماق قلوبهم بسبب سمو تعاليمه ومبادئه وما يدعوا إليه من سلام ومحبة وسلوك حسن وتعامل صادق ، وهو ما لاحظته الصينيون بعد اختلاطهم بالمسلمين وتعاملهم معهم . وإذا كان من هذا التأثير قد امتد ليصيب كبار رجالات الإمبراطورية الصينية فمن الطبيعي أن يشمل هذا التأثير قطاعاً كبيراً من شرائح الشعب الصيني . لقد أوردت المصادر الصينية اهتمام الإمبراطور الصيني (منج - تاي - سو muing-tai-su) (١٣٦٨-١٣٩٨م/٧٧٠-٨٠١هـ) بالإسلام ، إذ نظم قصيدة في مدح الإسلام والثناء على النبي ﷺ وهذا التطور لم يحدث من الإمبراطور الصيني إلا بعد فهم عميق للإسلام وفهم لطبيعته وما يدعوا إليه .

(١) مونج كيونج كون ، مرجع سابق ، ص ٢١٢ .

ومما تضمنته القصيدة من معاني بعد ترجمتها "ولد في جزيرة العرب النبي الأعظم الذي اسمه كتب في لوح محفوظ ، قد تلقى من الملك السمائي الأعلى كتاباً سماوياً في ثلاثين جزء ، وبعث رحمة للعالمين فكان معلماً ومربياً للناس أجمعين ، ورسولاً كريماً وسيداً للمرسلين ونبياً خاتماً للأنبياء إلى يوم الدين" ^(١) . ومما ورد في تاريخ أسرة مينج أن الامبرطور (جينج - ته، geng-ta) (١٤٠٣-١٤٢٤ م/٨٠٦-٨٢٧هـ) كان يتعلم اللغة العربية وكان يميل إلى الدين الإسلامي ، وقيل : إنه أسلم وكنم إسلامه خشيت ثورة رعاياه عليه . ومما يذكر عنه أنه كان مولعاً بالعلوم والفنون الإسلامية ، وأنه أمر بتصنيع نوع من (الغفوريات)، أفر أنواع الخزف الصيني ، بلونين فقط الأبيض والأزرق مزينة بزخارف إسلامية وبالشهادتين وبعض الكلمات الدينية والأدعية المشهورة وقد أهدى ذلك إلى عدد من الحكام المسلمين ^(٢) . ومن الأباطرة الصينيين من أظهر عمق فهمه للإسلام وبيان أفضليته على ما يعتنقه الصينيون من نحل ومذاهب ، وهو الإمبراطور الصيني العاشر من أباطرة أسرة مينج (وو- تسونج، wu-tsong) (١٥٠٦-١٥٢١ م/٩١٢-٩٢٧هـ) الذي قال منتقداً أديان الصين ومبيناً وضوح الإسلام وتوافقه مع فطرة الإنسان :

"إن الكونفوشوسية تكفي لمعالجة المصالح في عالم الشهادة (الحاضر) وتعجز عن كشف الأسرار في عالم الغيب ، أما البوذية والطاوية فإنها تكشفان حجب الغيب ولكن لا تفيدان الرجوع إلى الفطرة ، فإن كل واحد من هذه الأديان منحرف إلى جانب واحد ، بخلاف الإسلام فإنه دين يعرف به الخالق وينبني على القواعد المعقولة فلا جرم أن يبقي ما دامت السموات والأرض " ^(٣) .

(١) بدر الدين الصيني، آثار الإسلام الحضارية في الصين، عمان، من بحوث المؤتمر السنوي السادس للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، شوال ١٤٠٧هـ، ص ٣٢١ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢١ - ص ٣٢٢ .

(٣) محمد مكين، نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين وأحوال المسلمين فيها، القاهرة، المطبعة السلفية،

أما مدى تأثير الإسلام في عامة الصين وتمكنه من نفوسهم فيظهر بوضوح في سكان جزيرة (هاى-نان ، hai-nan) المقابلة لولاية كوانج تونج التي انتشر فيها الإسلام منذ فترة مبكرة متزامناً مع انتشاره في مدينة كانتون، مما اشتهر عن سكان هذه الجزيرة اختلافهم في العادات و التقاليد و الأخلاق عن أهل الصين ، فقد عرف عنهم الصدق و الوفاء و الاجتهاد في العمل و الأمانة في أداء أعمالهم ، مقتصدين في معاشهم ، و معتدلين في نفقاتهم ، و متكاتفين فيما بينهم ، لا تجد بينهم فقيراً و لا متسولاً ، و كل هذه الصفات و الأخلاق هي ما يدعو إليه الإسلام ، و هو ما يعنى تأثرهم بتعاليمه و تطبيقهم لها ^(١) و نلاحظ أن هذا النموذج للتأثير الإسلامي يتكرر في أكثر من ولاية من ولايات الصين، و خصوصاً تلك التي انتشر فيها الإسلام و تعمق في نفوس أهلها ، مثل ولايتي يونان و تركستان الشرقية(سينكيانغ) و غيرهما . إن ذلك الفهم العميق للإسلام ، و التأثير الذي أحدثه في نفوس و عقول المسلمين الصينيين و المتغيرات التي أحدثها في مختلف جوانب الحياة التي يعيشونها لم تأت من فراغ ، فمبادئ الإسلام و سماحته و تعاليمه التي لاحظها الصينيون و عرفوها عن قرب هي ما جعلهم يصلون إلى هذه الحقيقة التي لا تقبل الشك أو الجدل .

و أما عن انتشار الإسلام في موانئ الصين في القرون الأولى للهجرة فكان ذلك يرجع إلى فضل التجار العرب الذين منهم من أقاموا هناك إلى وقت معلوم ثم رجعوا إلى أوطانهم . و فيهم من استوطنوا في الصين حتى آخر يوم في حياتهم . نعم إن التاريخ لم يتحدث عن حياتهم الدينية في الفترة بين سنة ٦٥١م و سنة ٨٥١م . و لكن وجود القبور للعرب و جامع الذكرى للنبي ﷺ بكانتون، يشهد على أن عدد المسلمين بتلك المدينة لم يكن قليلاً . و هذا الجامع القديم لو أننا لا نجد سبيلاً إلى معرفة من بناه و في أي سنة بني و هل هو أقدم من مسجد (جانغ-آن) أو الذي بجانغ-آن أقدم منه .

(١) مونج كيونج كون، مرجع سابق، ص ٢٢٣ .

لكن الرأي المعقول أن تاريخ بنائه لا يبعد كثير عن تاريخ بناء المسجد الذي بجانع-آن سواء أكان ذلك قبله أو بعده ، و في الشطر الأول من القرن التاسع الميلادي لما سافر سليمان السيرافي إلى كانتون (خانقو) للأعمال التجارية وجد بها كثيراً من المسلمين ، يولى عليهم القاضي منهم "مأموراً من صاحب الصين" فإذا كان العيد صلى بالمسلمين و خطب و دعا لسلطان المسلمين (١) .

و نفهم من هذا القول أن حياة المسلمين هناك من الناحية الدينية أصبحت منظمة في الشطر الأول من القرن التاسع للميلاد و كانت حالها كما هي في الممالك الإسلامية الأخرى ، و يظهر من عمارة الجامع، أن المسلم الذي بني هذا الجامع بناه على شكل هيكل الصينيين لأننا لا نجد أي فرق بين عمارة المسجد و عمارات الهياكل الصينية الأخرى في الشكل الظاهري .

وأما المنارة التي نراها قائمة بجانب المسجد فلا شك أنها شيء خاص بالعمارة العربية لكن بناءها لم يكن في وقت واحد مع بناء المسجد . ويقول الدكتور كار (Dr.Kare) في "دليل كانتون" أنها بنيت في سنة ٩٠٠م على التقريب . وكانت هي الجزء الباقي التي لم تصبه النار إذا كانت تذهب بعمارة المسجد كلها إلى بطنها في ١٣١٣م، فبنيت للمرة الثانية بين ١٣٤٩ ، ١٣٩١م بعد حادثة النار ، بحكم الأمير محمود حاكم كانتون حينذاك . وكان الإمام هو الحاج حسن وكان من الذين اشتركوا في هذا العمل الخيري والديني سيد ميش التركي الأصل وكان من أمراء كانتون فنصبوا لوحة حجرية نقشت فيها أعمالهم الخالدة مع ذكر تاريخ تجديد البناء (٢) .

(١) السيرافي، مرجع سابق، ص ١٤ .

(٢) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب و الصين، ص ١٦١.

وهذه اللوحة، لا تزال باقية في الجامع حتى الآن في حالة جيدة فنقل عباراتها مؤلف "علاقة الصين القديمة بالعرب" في كتابه وكذلك مؤلف "الدراسات عن تاريخ الإسلام في الصين" (١).

جددت الترميمات في هذا الجامع في سنة ١٤٦٩م ، في عصر (منغ) على نفقات مسلم كبير موظف بكانتون معروف باسم (هونغ يونغ) في تاريخ الصين، وكان وفد من العرب قد وصل إلى كانتون في هذه السنة برئاسة عبد الله فقدم الهدايا إلى إمبراطور الصين وبعد الانتهاء من مهماته الرسمية عاد مع رفاقه إلى كانتون فاختاروا سكناهم بداخل المسجد وبعد أيام قلائل أصبح عبد الله هذا زعيماً لإخوانه المسلمين في تلك المدينة ، وأما مقبرة العرب التي في كانتون فهي واقعة خارج باب الشمال على نصف ميل ، فيها أكثر من أربعين قبراً ومباني على الطراز العربي كما الحال في البلاد الأخرى من الممالك الإسلامية ، وقد ضربت عليها القباب التي تشير بلسان حالها إلى أن أصحاب تلك القبور كانوا من ذوي المكانة العالية في عصورهم، وبين هذه القبور قبر ينسب إلى سعد بن أبي وقاص وهو في الحقيقة لغيره وهنا دفن الحاجي محمود بن الحاجي محمد أفندي الرومي الذي زار هذه القبور في اليوم العشرين من ذي القعدة من السنة الرابعة بعد ألف ومائة وستين للهجرة (١٧٥١م) (٢) .

وكان انتشار الإسلام في عهد (تانغ) لم ينحصر في مدينة كانتون . بل توغل إلى مدن أخرى منها جزيرة هاي نان (Hi nan) المواجهة لولاية (كوانغ تونغ) وقد استولى الصينيون على هذه الجزيرة قبل الميلاد بقرنين على الأقل لكنهم لم يهتموا بها من الناحية التجارية والسياسية حتى أوائل القرن السابع الميلادي فقسمت في سنة ٦٢٧م إلى ٣ مديريات فعين على كل مديرية رئيساً يدير شئونها، وفي سنة ٧٨٩م زيد فيها رباط عسكري .

(١) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب و الصين، مرجع سابق، ص ١٦١ .

(٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

وأما العادات واللهجات في هذه الجزيرة فهي تختلف كثيراً عن أهل الصين حتى عن سكان كوانغ تونغ مع أنهم أقرب الناس مجاورة لهم . فالسكان في هذه الجزيرة من أصحاب الصدق والوفاء يجتهدون في العمل والكسب ويحملون ضروب الألوان من التعب والمشقة . ويشتغل أكثرهم في صيد السمك، نعم لا يوجد غني كبير أو ثرى عظيم ، غير أنهم رجال اقتصاد في المعيشة ومن ذوي الاعتدال في النفقات فلذا لا نرى فيهم فقيراً ولا متسولاً حتى في السنة السوداء (١) .

واليوم نجد في (غاي شو) قبيلة أجنبية الأصل وقد روي أن آبائهم وردوا هناك في عهد سونغ (٩٦٠-١٢٨٦م) وعهد يوان (١٢٧٧-١٢٦٧م) من خليج فارس في المراكب فاستوطنوا في سواحلها، والذين يسكنون بسوسونيا كلهم من ذريات أولئك الأجانب ويلقبون في أسمائهم بابي فلان ويحظرون لحوم الخنزير على منازل أرواح آبائهم كما هو الحال في بيوت غير المسلمين ولهم معبد عام يصلون فيه ويتعبدون . فهبيئاتهم الجسمانية وأصواتهم اللسانية كلها تشابه العرب غير أنهم قد تعودوا على بعض عادات الأهالي، فتراهم يتغلبون في صيد الأسماك ويخرجون عشرينها ومنهم من يملك عقارات عظيمة نتيجة اجتهاده وكسبه، وهم في الزواج لا يجتنبون أهل القبيلة وإنما يحظرون الزواج من المحارم ولا يتزوجون من غيرهم ولا يتزوج غيرهم منهم ، يقطنون بالأمكنة الساحلية يهب عليهم الريح دائماً، وأما بيوتهم سواء كانت خصوصية أو عمومية فليست من مبان عالية فالعوام منهم يسكنون الأكواخ وأما الإدارات فمن هذه الأكواخ أيضاً فمن يسكن بقرب الماء يصبح في الأمواج ويمشي في العواصف . وأما الذين يبعدون عن الماء فمساكنهم من أكواخ حقيرة، والأمراء منهم لا يتبرجون في الزخارف والزينات ، بل يقنعون بمنازل قوية البناء متينة الأركان . وفي (غاي شو) ست لهجات منها لهجة أجنبية يتكلم بها أهل سوسا نيا (٢) .

(١) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب و الصين، مرجع سابق، ص ١٦٣ .

(٢) Chang-shin -Hug و Ancient Chino^s Relation with Arabs p .100 .

نجد في (غاي شو) الآن نحو ألفى عائلة من المسلمين ، أكثرهم أجنبى باعتبار أصلهم وبها أربع مساجد جوامع يجتمعون فيها أيام الجمع و الأعياد ، و لاشك أن دم العرب لا يزال يجرى فيهم مع

اختلاطهم بالسكان الأصليين ، واعتقد أنهم من أهل سواحل عمان أو من حضرموت لأن اليمانيين كانوا يحبون ركوب البحر و لهم عائلات في سائى غون حتى الآن ^(١) .

إن الإسلام قد وصل إلى (جوانشو) و إلى (يانغ شو) و إلى (هانغ شو) أيضا و كان ذلك على أغلب الظن قد وقع فى عهد (تانغ) . لأن هذه المدن كانت من الموانئ الشهيرة التي قد فتحت أبوابها لتجارة العرب و الإيرانيين منذ القرن الثامن الميلادي ^(٢) . في "جوفانكى" أو "التذكرة عن البلاد الأجنبية" نجد بياناً عن مسلم آخر استوطن بجوان شو فيما يلي:

"كان تاجراً معروفاً باسم السيرافي، أصله من بلاد العرب و استوطن بضاحية جنوب (جوان شو) وكان ذا ثروة عظيمة مطلق اليدين، فاعل الخيرات، ساهراً على المكارم التي امتاز بها قومه، فاشترى أرضاً ووقفها لمدافن مواطنيه الذين قد لقوا حتفهم بهذه الديار الغربية فدفنوا فيها " . و جاء في تاريخ الصين حديث عن سفيراً اسمه سعادت نور ، كان مأموراً في سنة ١٠٦٨ في إدارة المراقبة على الأجانب فترقى إلى منصب القاضي بكانتون ، و يظهر أنه كان ذا ثروة وافرة فاقترح تحسين مدينة كانتون على نفقته الخاصة فلم يقبل صاحب المدينة ذلك و في سنة ١٠٧٤ بعث شخص من رؤساء تبريز . و قد حفظ تاريخ الصين اسمه في رسم "أبى تبريزى" ابناً له يسمى محموداً إلى عاصمة الصين لتقديم الهدايا إلى الإمبراطور و كان يلبس الملابس العربية ^(٣) .

(١) سائى غون Saigon ميناء كبير شهير ببلاد أنام التي يقال لها الهند الصينية، بدر الدين الصيني، العلاقات، ص

. ١٦٥

(٢) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب و الصين، مرجع سابق، ص ١٦٦.

(٣) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين، مرجع سابق، ص ١٩١ .

إن أول كتاب صيني يتناول أصول الإسلام هو "مذكرات في ديار الغربية" بقلم دوهوان و بالرغم من أن هذا الكتاب قد فقد منذ زمن بعيد ، إلا أنه ما يزال بإمكاننا أن نطلع على ما يخص الإسلام من المبادئ و المناسك من خلال ما اقتبس منه في كتاب (tong dian) الذي ورد فيه (أن بلاد التازيان

تدعى كذلك (yajuluo) و سلطانها يدعى (mumen) و (yajuluo) وهى مقر عاصمة بلاد التازيان أيضاً. أما المرأة فيها فناعمة البشرة ، و طويلة القامة، زاهية الثياب ، هادئة السيماء .
 و رشيقة الحركة ، و تلبس الحجاب إذا ما خرجت من البيت و المرء مهما كانت منزلته يصلى لـ (tian) (الله) خمس مرات في اليوم . و في شهر الصيام يأكل اللحم ^(١) . و هو يلبس الحزام الفضي و يتقلد السكين، و يحرم الخمر و الموسيقى . و إن حصل جدال فذلك لا يؤدي إلى التضارب . و فيها مساجد تتسع لعشرات الآلاف من المصلين . و السلطان يخرج ليصلى صلاة الجمعة . فيعتلى المنبر و يعظ قومه بأن الحياة دار امتحان للإنسان وأن أتباع الحق الذي يقوله (tian) (الله) ليس بالأمر الهين . فمن احتال و سرق أو عمل الفحشاء و قذف بالكلمة البذيئة أو سعى وراء المصلحة الذاتية على حساب غيره أو اضطهد الفقراء البائسين ، فقد ارتكب إثماً عظيماً، و من ذهب في حملة و قتل في يد العدو ، عاش في الجنة خالداً و من قتل من العدو ، كتبت له سعادة كبرى . و البلاد التي تسودها الآداب ينقاد السكان لسلطانها بطوعية ، و الجانون يؤخذون بالقوانين لكن بتسامح ، و المراسم الجنائزية بسيطة متواضعة ^(٢) .

(٥) تأثر الصينيين بالأحوال التعبدية الإسلامية:

و في هذه الأرض التي تمتد حتى المحيط الهندي ، يتساكن التازيان و الفرس ، و تقاليدهم أن يصلوا لـ (tian) (الله) و يُحرمون على أنفسهم الميتة و الدم و لحم الخنزير ، و من عاداتهم أن يمسحوا الشعر بزيت السمسم . كافة المناطق التي مررت بها في رحلاتي البرية ذات سيادة موحدة ، إلا أن الأنظمة المتبعة فيها متباينة ، منها التازي و الرومي و المجوسي . أما التازي، أي النظام

(١) قوه يونغ دة ، مرجع سابق، عدد ابريل، ٢٠٠٣ ص ٥٩ .

(٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

الذي يتبعه التازيان فينص على أن تجرى المحاكمة عندهم دون إقحام أقرباء الجاني في القضية و يحرم لحم الخنزير و الكلب ، و لا يقدر السلطان بل يؤكد على إجلال الوالدين ، و لا يعتقد

بوجود الأشباح والآلهة ، و ينص على عدم تقديم القرابين لـ (tian) (الله) . و تقاليد التازيان أن يتعطلوا عن العمل يوم الجمعة.و عند ف•هيرث هي الكوفة، و في رأيه أنها هي اللفظة الصينية المقابلة لـ(akula) السريانية • أما (yajuluo) هي مقر عاصمة بلاد التازيان أيضاً فذلك لأن الكوفة قد سبق لها أن كانت عاصمة الدولة العباسية • أما (mumen) فهي الترجمة المختصرة للفظـة " أمير المؤمنين " و هي لقب الخليفة بمعنى حاكم المؤمنين واللفظة المقابلة في (كتاب تانغ القديم .. سجلات بلاد التازيان) هي (Danmimanuni) ومعنى عبارة "مهـما كانت منزلته ، يصل (Tian) (الله) خمس مرات في اليوم " هو أن الإنسان مادام مسلماً ، فعليه أن يؤدي فريضة الصلاة لخمس مرات في اليوم " وفي شهر الصيام يأكل اللحم " قول يقصد به أن اللحم المباح للمسلم في ليالي شهر رمضان من التقويم الإسلامي "،والسلطان يخرج ليصلي صلاة الجمعة ، فيعتلي المنبر يعظ قومه" قول يعني أن الخليفة يصلي بالمسلمين ويتلو عليهم الخطبة ولا يقـدس السلطان بل يؤكد على إجلال الوالدين ، ولا يعتقد بوجود الأشباح والآلهة ، وينص على تقديم قرابين لـ (Tian) (الله) هذا قول مقصود منه أن المسلمين لا يؤمنون إلا بالله وبأنه لا إله إلا الله ولا يعبدون إلا الله وحده (١) "ويحرم الخمر والموسيقى" وتقاليدهم أن يصلوا لـ(Tian) (الله) ويحرموا على أنفسهم الميتة والدم ولحم الخنزير ، ومن عاداتهم أن يمسحوا الشعر بزيت السمسم " و " أن يحرّموا لحم الخنزير والكلب " وتقاليـد التازيان أن يتعطلوا عن العمل يوم الجمعة " كل هذه الأقوال من دوهوان قد جاءت وصفاً دقيقاً للتقاليد والمحرمات الإسلامية . و .. أن تجري المحاكمة عندهم دون إقتحام أقرباء الجاني في القضية " فهذا يعني أن المحاكمة لا تشرك أهل الجاني وأقرباءه في تبعية الجريمة التي ارتكبها ابنهم أو قريبهم .

(١) قوه يونغ دة ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

إن (مذكرات في ديار الغربية) قد تناول في بضعة أسطر فقط ما يخص الإسلام من أركان الإيمان والصلاة والصيام والحج وما كان يتبع حينذاك من التقاليد والمبادئ الأخلاقية ولكن "لم تتناول ذلك أية

كتابة أخرى قبله أو بعده بين السجلات التاريخية في عهدي تانغ و سونغ . وذلك يدل على الأهمية البالغة التي يحملها " مذكرات في ديار الغربية" في تاريخ العلاقات الصينية العربية . لذلك يمكن القول بأن ظهور هذا الكتاب يعتبر حدثاً هاماً يستحق الثناء والتقدير . مع تزايد عدد مسلمي الصين والمساجد أصبح الوفاء بمتطلبات الحياة الدينية لهم حاجة واقعية ، ومن هنا أخذ نظام إدارة الإمام للمسجد والشؤون الإسلامية يتغير ليتشكل تدريجياً نظام يتولى فيه ثلاثة أفراد إدارة المسجد والشؤون الإسلامية ، وهو النظام الذي سمي "رجال الدين الثلاثة" . رجال الدين الثلاثة هم الإمام والخطيب والمؤذن ، ونظام رجال الدين الثلاثة قصد به تولي هؤلاء الثلاثة إدارة المسجد والشؤون الإسلامية، وهذا النظام اكتملت ملامحه النهائية في أسرة مينغ ، وهو نظام اجتهادي للإسلام في الصين أسفرت عنه البيئة الصينية فلا نكاد نرى له مثيلاً في الدول الإسلامية^(١).

(٦) التجار المسلمون وإرساء نظام الجماعة الإسلامية :

في أواسط وأواخر أسرة يوان ألغيت "دار القضاء لقومية" هو يهوي" وحل محلها نظام الجماعة الإسلامية " الذي كان منظمة إسلامية غير حكومية لا تتبع للحكومة المحلية ، ولكنها هيئة تنظيم النشاطات الإسلامية في الدولة . تميز هذا النظام بما يلي :

أولاً : استقلال الجماعة الإسلامية وعدم وجود علاقات انتماء بين الجماعات^(٢) .

ثانياً : عدم الانحياز بين الجماعات .

(١) قوه يونغ دة ، مرجع سابق، ص ٦٢

(٢) المسلمون الصينيون ، الأنظمة الدينية الإسلامية في الصين وتطور المساجد، مجلة الصين اليوم، عدد يونيو ٢٠٠٥م، ص ٤٠ .

ثالثاً : اتخاذ المسجد مركزاً يجمع بين الدين والسياسة والاقتصاد والثقافة والنشاطات الاجتماعية والشؤون المدنية .

رابعاً : الفصل بين الشئون الإسلامية الدينية وشئون المسجد وأيضاً الربط بينهما في آن واحد (١) .

خصائص الإسلام في عهد يوان :

١- بينما استوطن عدد كبير من المسلمين ، اعتنق الإسلام عدد كبير أيضاً من أبناء مختلف

القوميات في الصين ، فأمدوهم بمزيد من العناصر الصينية الجديدة .

٢- سبق للمسلمين الذين قدموا للصين قبل عهد أسرة يوان أن اعتبروا أنفسهم أجنب ، غير أنهم

صاروا مع حلول ذلك العهد يعتبرون أنفسهم صينيين .

٣- كان المسلمون في بداية وصولهم إلى الصين لا يسمح لهم بالاستيطان إلا في المراكز

التجارية الكبرى ، ومن ثم سمح لهم بالتنقل بين المدن الكبرى . أما في عهد أسرة يوان فكانوا

منتشرين في مختلف أنحاء الصين لأنهم أصبحوا يعتبرون صينيين يحق لهم أن يقيموا في

أي مكان يحلو لهم .

٤- بالرغم من أن المسلمين في الصين كانوا قد قوبلوا باحترام عقيدتهم ، إلا أن أبناء البلاد لم

يكونوا يعلمون عن الإسلام كثيراً . أما في عهد أسرة يوان فقد أصبح الإسلام يلقي من

الحكومة ما تلقاه الديانات الأخرى من العناية ، إذ أحاطته بالاهتمام . وبسطة حمايتها على

المسلمين ، وجعلت تكل إليهم المهمات العظيمة . وهذه الخصائص كلها تدل على أن تغيراً

جوهرياً قد طرأ على أحوال نشر الدين الإسلامي في الصين ، وهو أن الإسلام قد

أخذ يتحول في الصين تدريجياً من مجرد دين دخيل إلى دين أهلي ، وعندما نبحث عن

الأسباب أو عن من وراء هذا التغيير نجد أن التجار المسلمين هم أصحاب اليد الأولى في

هذا ، نظراً لما قاموا به من نشاط دعوي قوياً وعملاً .

(١) المسلمون الصينيون، الأنظمة الدينية الإسلامية في الصين وتطور المساجد، مجلة الصين اليوم، ص ٤٠.

بل كان الجانب العملي أكثر من الدعوى ، لأن المعاملة التجارية الإسلامية هي التي كانت تحكمهم ، وكانوا يترجمون الدين ، على أن الدين المعاملة ، سواء بين المسلمين بعضهم البعض أو بين المسلمين وغيرهم .

(٧) بناء المساجد وانتشارها في الصين :

من الطبيعي أن إنشاء المساجد وانتشارها يتوقف على مدى انتشار الإسلام وعدد من المسلمين في أي مكان ، فوجود المسلمين في أي مكان مقرون دائماً بوجود المساجد . ومنذ وصول الإسلام إلى الصين عام ٦٥١ م ، وفي عهد أسرة تانغ (٦١٨-٩٠٧م) وما أعقبه من هجرات بعض المسلمين إلى الصين سواء كانوا تجاراً أو غير ذلك ، والمسلمون يعيشون في هدوء وسلام ، يمارسون شعائرهم الدينية بكل حرية، وقد حظوا باحترام الحكام الصينيين والشعب الصيني ، وذلك لأنهم لم يحاولوا أن يفرضوا دينهم على أحد ، وكذلك لم يهاجموا أي دين من الأديان الموجودة في الصين آنذاك ، وخاصة الكونفوشيوسية (دين الغالبية العظمى من الصينيين)^(١) .

وبالتالي كان موقف الحكام الصينيين من المسلمين موقفاً وديماً مما أوجد مناخاً لتطوير الإسلام وانتشاره في الصين ، وظل المسلمون يمارسون شعائرهم بكل حرية دون أي ضغوط أو عوائق . ونتيجة لذلك هاجر عدد كبير من المسلمين إلى الصين واستوطنوا هناك وبالتالي بنوا العديد من المساجد التي كانت مقراً لنشاطاتهم الدينية الدائمة في الصين . ومع تولي أسرة سونغ الحكم (٩٠٧-١٢٧٧م) فقد جذبت سياستها الخاصة بالتجارة الخارجية عدد كبير من التجار المسلمين الذين أتوا إلى الصين لممارسة التجارة واستوطن كثير منهم في الصين جيلاً بعد جيل حتى أطلق عليهم "الأجانب الصينيون المنشأ" أو - الأجانب المقيمين في الصين منذ خمسة أجيال - وكانت لهم أحياء سكنية خاصة بهم ومقابر عامة لأمواتهم، وكانوا يعيشون بحرية محتفظين بعباداتهم وتقاليدهم ، ولممارسة نشاطاتهم الدينية بنوا الكثير من المساجد^(٢) .

(١) محمد ناصر العبودي ، من داخل أسوار الصين، الرياض ، مطابع الفرزدق، ١٤١٣هـ ، ص ٥٣ .

(٢) السعيد رزق حجاج، المسلمون في الصين في العصر الحديث، القاهرة، مطبعة حسان، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص

ومن أشهر هذه المساجد :

- مسجد شنغيو (مسجد الأصحاب) وقد بني عام ٤٠٠هـ الموافق العام الثالث من عهد الإمبراطور (تشن تسونغ) من أسرة سونغ الشمالية ١٠١٠م في جنوب شرق مدينة "الزيتون"
- مسجد تشينغجينغ (مسجد الخلوة) وقد بني عام (١١٣١م) في جنوب مدينة "الزيتون" .
- مسجد شيانخة (مسجد الكركي) وقد بني في أواخر عهد أسرة سونغ عام (١٢٧٥م) في مدينة "يانغتشو" .
- مسجد فنج هوانغ (مسجد العتقاء) ، وقد بني في أواخر عهد أسرة سونغ وأوائل عهد يوان في مدينة "هانغتشو" عام ١٢٦٢م .
- مسجد هواجيويه في مدينة شيان .
- مسجد نيوجيه بكيين (مسجد شارع البقر)، وقد بني في عهد الإمبراطور تاي سونغ لأسرة سونغ (٩٩٦م) .

ومن المساجد المعروفة في الصين أيضاً والتي ترجع إلى عهد أسرة سونغ المسجد القائم في محافظة وينغشيان بمقاطعة خبي ، والمسجد اليمنى خارج بوابة تومن بمدينة "الزيتون" .
وقد كان بناء العديد من المساجد في عهد أسرة سونغ خاصة سونغ الجنوبية (١١٢٧-١٢٧١م)، دليلاً على انتقال عدد كبير من المسلمين من بلاد العرب وفارس وآسيا الوسطى إلى الصين ، واستقرارهم هناك وتكاثرهم . وعلى توثق علاقاتهم بالصينيين أكثر فأكثر ، ومن ثم ازدياد صلة الإسلام بالصين تدريجياً^(١) .

وإذا نظرنا نظرة سريعة إلى تواريخ وأماكن المساجد التي بنيت في عهد أسرة سونغ تبين لنا أن الإسلام حتى آخر سونغ لم يكن قد وصل إلا إلى عدة مدن ساحلية بالصين . لكن مع ظهور المغول في ميدان السياسة وسيطرتهم على الصين وبداية عهد أسرة يوان (١٢٧٧-١٣٦٨م) وجد الإسلام فرصة سانحة للتوغل في الولايات الداخلية ، حتى أنشأت في خانبالق (بكين) وحدها ستة عشر

(١) قوه ينغ دة، مرجع سابق، عدد مايو ٢٠٠٣م، ص ٦٢-٦٣.

مسجداً على نفقة الأمير (آنادة) ، أما باقي المساجد فقد أنشأت على نفقة بعض أباطرة المغول (١) .

وليس هذا شأنًا غريباً إذا علمنا أن الإسلام قد بلغ في عهد أسرة يوان أوج ازدهار ، حيث عامل الحكام المغول المسلمون أفضل معاملة ، مما دفع العديد من المسلمين في الدول العربية والإسلامية وبلاد آسيا الوسطى إلى الهجرة إلى الصين ، والاستقرار بها وبالتالي ازداد عدد المسلمين في الصين زيادة كبيرة .

ونتيجة لهذا الازدياد الحاد في عدد المسلمين أنشأت مساجد وجوامع في مختلف الأماكن بما في ذلك المدن الواقعة في أطراف البلاد ، فقد بني في قراقورم مثلاً مسجداً على جدران كل منهما لوحات في أصول الشريعة الإسلامية وفي مسجد محافظة دينغشيان الذي أعيد بناؤه في العام الثامن من فترة تشي تشينغ في عهد أسرة يوان عام (١٣٤٨م) نصب تذكاري لإعادة بناؤه عليه "نقش إعادة بناء المسجد" القائل : أن الجهة الغربية هي قبلة من يصلي سواء كان في هذا المسجد أو في أي مكان من المساجد الأخرى بما في ذلك المساجد القريبة من العاصمة ، أو المساجد البعيدة في أنحاء البلاد وعددها يزيد على عشرة آلاف مسجد (٢) .

بالرغم من أن القول الوارد في "نقش إعادة بناء المسجد" حول المساجد أن عددها يزيد على عشرة آلاف مسجد لا يخلو من المبالغة ، إلا أنه جاء دليلاً أكيداً على أن المسلمين في عهد أسرة يوان قد بنوا المساجد في مختلف أنحاء الصين وأنهم كانوا يتمتعون بالحرية في ممارسة عباداتهم .

ومن أهم المساجد التي تم بناؤها أو تمت إعادة بناؤها في شتى أنحاء الصين في عهد أسرة يوان .

- مسجد "تشنجياو" المشيد على يد الشيخ علاء الدين في عهد الإمبراطور بان يو(١٣١٤-

١٣٢٠م) حسب ما ورد في كتاب تاريخ الأمور السياحية للبحيرة الغربية .

(١) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين، مرجع سابق ، ص ٢٨٨ .

(٢) قوه ينغ دة، مرجع سابق، ص ٦٢ .

- مسجدان في مدينة سيمينغ (نينغبوة اليوم) تم بناؤهما في الفترة اللاحقة للعهد سالف الذكر ، حسب ما جاء في "ملحق تاريخ سيمينغ" .
 - مسجد دينغتشو المعاد بناؤه في الفترة ما بين ١٣٤٣-١٣٤٥م حسب ما ورد في "تدوينات حول إعادة بناء المسجد" بقلم يانغ شوين .
 - مسجد تشينغجينغ في مدينة تشوانتشو ، الذي تمت إعادة بناؤه على يد السيد على جين سنة ١٣٤٩م حسب ما ورد في كتابات ووجيان المنقوشة على النصب الصخري المقام لذكرى إعادة بناؤه .
 - مسجد هوا يشنغ (الحنين إلى النبي) في كانتون (قوانغتشو اليوم) الذي أعيد بناؤه على يد (ته يوان تشنغ) سنة ١٣٥٠م حسب ما ذكر في كتابات (قوة جيا) المنقوشة على النصب الصخري المقام لذكرى إعادة بناء المسجد .
 - مسجد دانانمن ومسجد يونغنينغ في مدينة كوا نمينغ بمقاطعة يوننان ، اللذان بنيا على يد حاكم المقاطعة السيد الأجل شمس الدين عمر (١٢١١-١٢٧٩م) حسب ما جاء في تاريخ يوننان العام.
 - مسجدان في هالاهولين ، بنيا في عهد جنكيز خان حسب ما جاء في (سفر رولوك) .
 - مسجد سونغجيانغ في شانغهاي ، وقد بني في عهد الامبراطور تشي تشنغ آخر أباطرة أسرة يوان (١٣٤١-١٣٦٨م) .
- والعديد من المساجد التي لا يسع المجال لذكرها ،وجملة القول أن المساجد في عهد أسرة يوان قد انتشرت في جميع الأماكن شمال الصين ، وجنوبها ^(١) .ورغم أن الإسلام عرف طريقه إلى الصين منذ بداية قيام الدولة الإسلامية في المدينة ، ولكن الفضل الأعظم في سرعة نشر الإسلام و تهافت أبناء الصين على اعتناقه . إنما يرجع إلى النواخذة والتجار من عرب الخليج ،

(١) إبراهيم فنج جين يوان، مرجع سابق، ص ١٩ .

ونخص بالذكر منهم تجار عمان الذين تميزوا بدورهم التجاري المتفوق في المحيط الهندي. وكانت الجالية الإسلامية في الصين كبيرة العدد نسبياً ، وكان قوامها التجار المقيمون هناك فقد ارتبط الإسلام بالتجارة وارتبطت التجارة بالدين وقد وصلتنا أسماء بعض هؤلاء التجار العمانيين الذين ارتحلوا إلى الصين في وقت مبكر وكانوا من طبقة تابعي التابعين ، ومن هؤلاء أبو عبيدة عبد الله بن القاسم الذي عاش في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة ، وقد ارتحل إلى الصين للتجارة في العود ، وعاش بالصين سنوات طويلة إلى أن عاد إلى عمان ثم وصل إلى الصين بعده بقليل رجل عماني آخر هو النضر بن ميمون ، كان يعيش قبل ذلك في البصرة وليس من شك في أن هؤلاء التجار العمانيين من تابعي التابعين كان لهم أعظم الفضل في نشر الإسلام في الصين (١) .

(٨) ظهور جيل من المسلمين الصينيين على أيدي التجار المسلمين :

لقد اعتاد التجار العرب الخروج في السفن ليغيبوا سنوات عديدة قبل أن يعودوا إلى بلادهم مرة ثانية (٢) . وخلال هذه الأثناء أقبلوا على الزواج من سيدات صينيات ، نتج عن هذه المصاهرة جيل مولد من الصينيين المسلمين مما ساعد على انتشار الإسلام، ومن مظاهر ذلك التوسع في بناء المساجد مثل المسجد الجامع بمدينة زيتون الصينية والتي تشير نقوشه أنه بني سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) (٣) .

(١) عبادة كحيلية ، العرب والبحر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م، ص ٦٢ . سحر عبد العزيز سالم ، عمان وتجارها مع الشرق الأقصى وشرق أفريقيا ، الإسكندرية، ص ٥٢ .

(٢) حاول الفقهاء في عمان على سبيل المثال التغلب على مشكلة غياب التجار العمانيين فترة طويلة خارج عمان مما أدى إلى ظهور مشاكل تتعلق بدفع الزكاة والجزية وعشور التجارة وأفتى بعض فقهاء عمان أن من خرج من تجار عمان المسلمين للتجارة وغاب عن بلاده سنوات ، ولم يؤد الزكاة خلالها فإنه يؤديها عند وصوله ، وأمر الإمام المهنا بن حيفر اليعمدي (٢٢٦هـ-٢٣٧هـ) بأن يتولى والي صحار جمع الزكاة من التجار عن الازكوي . عبادة كحيلية، مرجع سابق، ص ٤٦ .

(٣) لمزيد من التفاصيل عن مدينة الزيتون ارجع إلى ، ابن بطوطة، مرجع سابق، ص ٦٣٣ وما يليها .

لقد ركب المسلمون البحر يتخذون من التجارة مجالاً لنشر الإسلام ووصلوا إلى ميناء كانتون أهم موانئ الصين الجنوبية وإلى بقية موانئ الصين ، وعاملوا سكان البلاد الذين أحببهم ، ووجدوا فيهم سلوكاً لهم لم يعتادوا مثله ، ورأوا منهم تجاراً لم يألفوهم ، فاعتنق بعضهم الإسلام حباً بهؤلاء التجار ، وانتشر الإسلام عن هذا الطريق أيضاً ، وهكذا الأخلاق هي الصفة التي يقترن بها المسلم ، وحسن المعاملة والصدق هي السمة البارزة له وقد أحب ملوك الصين هذه النماذج الجديدة من البشر ورجبوا فيهم وأولوهم العناية والرعاية، فقد روي أحد الرحالة وهو الشريف حسن بن الحلال السمرقندي من العجائب أن ملك الصين مع كفره كان في رعاياه من المسلمين أمم كثيرة ، وهم عنده مكرمون محترمون ، ومتى قتل أحد الكفار مسلماً قتل القاتل الكافر وأهل بيته ونهبت أموالهم ، وإن قتل مسلم كافراً لا يقتل به وإنما يطلب بدينه ودية الكافر عندهم حمار ولا يطلب بغيره .

وبما أن التجار المسلمين هناك كانوا يسكنون في بلاد الكفار فكانوا إذا قدم عليهم مسلم فرحوا به أشد الفرح ، ويقولون جاء من أرض الإسلام ، ويدفعون له زكاة أموالهم فيعود غنياً كواحد منهم . وكان التجار المسلمون ينالون ثقة كبيرة من الشعب لذلك حسنت حالتهم المادية وكانوا من الأغنياء^(١) . وفي الختام نجد أنه كان للدور الكبير الذي قام به التجار العرب في مجال التجارة كوسطاء رئيسيين بين الشرق والغرب آثار عظمى ، فإلى جانب هذا الإسهام الحضاري الرائع الذي قام به هؤلاء التجار في مجال التجارة العالمية ، فإنهم أسدوا للإسلام وحضارته أجل الخدمات وضرّبوا أروع المثل لأهالي البلاد الذين كانوا يتعاملون معهم تجارياً، فبفضل معاملتهم السمحة وتمسكهم بمبادئ الإسلام الحنيف تمكنوا من كسب قلوب من كانوا يتعاملون معهم واجتذبوهم إلى اعتناق الإسلام طواعية، فلم يلبث أن انتشر بفضلهم بين شعوب جنوب شرق آسيا والصين .

(١) محمود شاكر ، مجلة حضارة الإسلام، المجلد التاسع ، العدد الأول سنة ١٩٦٨ ص ٣٥ .

الفصل الرابع

أثر النشاط التجاري للمسلمين على المظاهر الثقافية .

- ١- تأثير اللغة العربية في الصين وانتشارها .
- ٢- انتشار مصطلحات وأسماء عربية في الصين .
- ٣- استفادة الصينيين من تراث المسلمين العلمي :
 - أ - علمي الفلك والرياضيات .
 - ب- علمي الطب والصيدلة .
 - ج- في الهندسة والعمارة .

أثر النشاط التجاري للمسلمين على المظاهر الثقافية :

(١) تأثير اللغة العربية في الصين و انتشارها :

صاحب انتشار الإسلام بطبيعة الحال انتشار اللغة العربية ، فهي لغة القرآن الكريم التي ينبغي على المسلم تعلمها لتلاوة القرآن و معرفة أحكامه و تعاليمه وللقيام بشعائر دينه ، و إذا كان انتشار اللغة العربية و الاهتمام بها مطلوباً لما في ذلك من إيجابيات على انتشار الإسلام من ناحية ، و لمساعدة المسلمين الجدد في فهمه و معرفة تعاليمه و القيام بشعائره من ناحية ثانية ، فإنها للأسف الشديد لم تحقق التأثير الذي يؤهلها لإحداث تغييرات في الحياة الفكرية في الصين ، و إذا كان هذا لم يتحقق مع ما أبداه المسلمون من اهتمام و عناية باللغة العربية و انتشارها أثناء نفوذهم و بروز مكانتهم في الدولة فإن الأمر ازداد سوءاً أثناء ضعف النفوذ الإسلامي و ما واجهه المسلمون من أوضاع صعبة عانوا خلالها من ضغوط دينية و سياسية كانت لها آثارها السيئة في دينهم و ثقافتهم الإسلامية .

لقد ساعد النفوذ الذي حققه المسلمون و المكانة التي بلغوها في بعض فترات التاريخ الصيني ، و خاصة في عصري أسرتي تانج و يوان على الاهتمام باللغة العربية و انتشارها ، و كان من مظاهر هذا الاهتمام حرص المسلمين على تعلمها و تعليمها أولادهم ، فأصبحت تدرس في المساجد التي بناها المسلمون ، و خصوصاً في الولايات التي كثرت فيها أعدادهم أو كان مسلموها من أصول غير صينية ، إذ يكثر بينهم فهم اللغة العربية و التحدث بها حفاظاً على لغتهم الأصلية و قد فاقت ولاية تانقوت (كانسو الحالية) الولايات الصينية في هذا الاهتمام^(١) و كان من أهم مظاهر الاهتمام بها أيضاً من مظاهر تأثير ظهور لغة مشتركة وسط المسلمين الصينيين من قومية (هان)،

(١) بدر الدين الصيني، أثار الإسلام الحضارية في الصين، مرجع سابق، ص٣٢٥، ص٣٢٧، العلاقات بين العرب والصين، مرجع سابق، ص٢٩٢، ص٣٠٠.

و هي لغة (جينج تانج ، jeng-tang) التي تختلف عن اللغات المحلية و العامية ، و هذه اللغة هي خليط من العربية و الصينية و الفارسية، فتشتمل على مفردات و كلمات عربية و فارسية و صينية ، و أخرى مركبة منها ، أو مركبة من لغتين منها ، وهي تختلف عن اللغة الصينية في قواعدها، و معظم الكلمات التي تشتمل عليها هذه اللغة عربية أو فارسية ، و قد استخدمها المسلمون الصينيون منذ فترة مبكرة من وصول الإسلام إلى أرض الصين لتكون رابطاً إضافياً مع الإسلام الذي يدينون به . (١)

و كان الخط العربي مظهراً من مظاهر اهتمام أولئك المسلمين الصينيين باللغة العربية ، فقد حاز بأنواعه المختلفة اهتمام عدد ليس بالقليل ممن اشتهروا ببراعتهم في الخط العربي و كانت لهم إبداعاتهم في هذا الفن الإسلامي متأثرين بأشهر الخطاطين و النساج المسلمين مقلدين أعمالهم و خطوطهم، وقد زاد من هذا الاهتمام النشاط المصاحب من نقل المؤلفات العربية ونسخها أو ترجمتها إلى اللغة الصينية^(٢) . و هناك الكثير من الكتب و المخطوطات و الواحات وغيرها التي خلفها أولئك و أبدعوا في جمالها و أناقتها و مزجوا بين الفن الإسلامي و الفن الصيني في كتابات عربية بسمات صينية منسقة و جميلة ذات نقوش دقيقة و رسوم بديعة^(٣) و من خلال هذا النشاط تم نسخ كثير من المؤلفات الإسلامية في مختلف الفنون و العلوم و الآداب، و خصوصاً القرآن الكريم و علوم الشريعة الإسلامية ، و ظهرت الكتب و المؤلفات باللغة العربية ، و اشتهر عدد من المؤلفين المسلمين الصينيين الذين ألفوا في علوم الدين و الحديث و العبادات و الثقافة الإسلامية ،

(١) إبراهيم فنج جين يون ،مرجع سابق،ص ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٢) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب و الصين، مرجع سابق، ص ٢٨٤.

(٣) إبراهيم فنج جين يون، مرجع سابق، ص ص ١٨٢- ١٨٣ .

و علوم أخرى كان لها أهميتها عند الصينيين مثل الفلك و الجغرافية و الطب (١) .

وصاحب هذا نشاط علمي وثقافي في أوساط المسلمين الصينيين ، وتورد المصادر الصينية أسماء شخصيات إسلامية كان لها تأثيرها في الثقافة الصينية والأدب الصيني ، ومن هؤلاء (لي - شون - سون ، Li - Shon - Son) (٨٥٥-٩٣٠م/٢٤١-٣١٨هـ) وذكر عنه أنه كان شاعراً من أصول فارسية ، وكذلك الشاعر سعد الله (١٢٧٢-١٣٤٨م/٦٧١-٧٤٩هـ) الذي أطلق عليه الصينيون اسم (تيان - شي ، Tyan - Shi) ، وكنيته (تشي - تشاي) ، الذي خلف سبعة دواوين شعرية تعبر عن أحوال الناس وظروف حياتهم وآمالهم ومستقبلهم (٢) ومنهم العالم والأديب (مو - فو ، Mo - Fo) الذي بلغ مكانة عالية في الأدب الصيني، وكان شاعراً بارعاً وأديباً مشهوراً في الكتابات الأدبية ، وانتشر أسلوبه في كل أنحاء الصين ، بل تعداها إلى اليابان والجزر الكورية. (٣)

وغير هؤلاء كثيرون ممن أوردتهم المصادر والمراجع التي ألفت عن تاريخ الإسلام في الصين وتراث المسلمين الصينيين ومشاركاتهم وإسهاماتهم الأدبية والشعرية والعلمية التي كان لها آثارها المهمة في الحياة الفكرية للمجتمع الصيني (٤) .

وكانت الترجمة أيضاً عاملاً من عوامل الاهتمام باللغة العربية ، فنشطت حركة الترجمة من اللغة العربية إلى الصينية ، وأظهر عدد من أباطرة الصين اهتماماً ملاحظاً بهذا النشاط، لما له من أثر بالغ في استفادة الصينيين من مؤثرات الحضارة الإسلامية ومن تراث ومؤلفات علماء المسلمين من مختلف العلوم والآداب الإسلامية (٥) .

(١) محمد محمود زيتون، مرجع سابق، ص ٦٣.

(٢) فهمي هويدي، مرجع سابق ص ص ٦٥-٦٦ .

(٣) مونغ كيونج كون، مرجع سابق، ص ٢٣٥ .

(٤) إبراهيم فنج جين يون ، مرجع سابق، ص ١٣١ وما بعدها.

(٥) محمد محمود زيتون، مرجع سابق، ص ٦٤.

وتأثراً بالزخارف الإسلامية التي اعتمدت بشكل كبير على الخطوط العربية والتشكيلات البديعة لحروفها استفادت الفنون الصينية من هذه الزخارف التي أثبتت انسجامها مع الرسوم والزخارف والأشكال الصينية ، بل إنها - كما يقول أحد الباحثين ^(١) - " زادت جمالاً وجلالاً لم يكن موجوداً فيها " . وأدت الأنشطة التي زاولها المسلمون في المجتمع الصيني أو عبر تعاملاتهم المختلفة مع الصينيين في عدة أنشطة اقتصادية وإدارية وعلمية إلى انتشار مصطلحات وأسماء عربية ودخولها اللغة الصينية لتصبح جزءاً منها ، فمن خلال اهتمامات المسلمين الدينية والاجتماعية انتشرت المصطلحات التالية : المسجد ، الإمام ، شيخ الإسلام ، المتولي (المشرف على شؤون المساجد) ، المحكمة ، القاضي ، القضاء ، الأوقاف ^(٢) ، الزكاة ، الحج ، الإيمان ، الحق ، الباطل ، الكذب ، الروح ، الصبر ، الصدقة ، الحقيقة ، العالم ، الجاهل ، الوعظ ، الرزق ، الشفاعة ^(٣) .

ومن خلال الأنشطة التجارية انتشرت الأسماء العربية التالية : الزعفران الذي أصبح (زافوران) باللغة الصينية ، والياسمين (ياشيمي) ، والحناء (هاي نا) ، والمر العربي (موياد) ، واليابروه (يابلو) ، والياقوت (ياقو) ، والزمرد (زوملا) ، والتربة (توبا) ^(٤) .

وأخيراً ، فعلى الرغم مما حققه انتشار الإسلام من نجاحات في المجتمع الصيني إلا أن اللغة العربية لم يتحقق لها ذلك الانتشار ، ولم تتمكن من إحداث التأثير المأمول في الأوساط الصينية وكان وراء هذه النتيجة عدة أسباب ، من بينها : عدم بذل المسلمين جهوداً نشطة في هذا الاتجاه تعزز من مكانة اللغة العربية وتحدث تأثيرها المطلوب .

(١) بدر الدين الصيني ،العلاقات بين العرب والصين، مرجع سابق، ص ٢٨٤ .

(٢)المصدر نفسه ص ص ١٦٧-١٦٨ .

(٣) محمد محمود زيتون، مرجع سابق، ص ٦٢.

(٤) بدر الدين الصيني،العلاقات بين العرب والصين، ، مرجع سابق، ص ٣١٣ ، ص ٣١٧ .

كما أن المسلمين لم يجعلوها لغة رسمية لهم في ذلك المحيط الكبير من الصينيين غير المسلمين ولم يتوارثوا تعلمها وتدريسها والحفاظ عليها ، وأيضاً لم تلق العربية تشجيعاً رسمياً منظمًا يساعد على نشرها وتعليمها حتى في أوساط المسلمين الصينيين ، وما واجهه المسلمون الصينيون من تضيق وضغوط وأوضاع سيئة في بعض العصور المتأخرة فقد الإسلام ومعه العربية الاهتمام المطلوب والعناية الكافية .

وللحديث عن مكانة اللغة العربية في بلاد الصين نتحدث عن مدى وجودها هناك ففي العصور الماضية نجد أن نتائج العلاقات بين العرب والصين و تسرب اللغة العربية والفارسية إلى الصين،ونجد تأثيرهما في بعض نواحي حياتها،ولكنها لم تصل إلى درجة القوة و النفوذ والتأثير، أما عن أثرها في الواقع وهو موجود وواضح في بعض البيئات وينعدم تأثيرها في البعض الآخر . لقد حدثتنا بعض الكتب التاريخية القديمة عن أحوال اللغة العربية في بلاد الصين ومدى فهم كثير من المسلمين الصينيين لها . يقول أبو زيد الحسن السيرافي صاحب سلسلة التواريخ والذي عاش في القرن الثالث الهجري ما يثبت ذلك من خلال بعض المواقف التي حدثت بين الأفراد العرب والمسلمين وبعض الأفراد الصينيين ،خاصة إمبراطور الصين فيقول "وقف ابن وهب الذي ولد هبار بن الأسود القرشي بين يدي إمبراطور الصين أخبره بما جرى في بلاد العرب وكان هذا الإخبار بواسطة ترجمان ، وذلك حينما سئل عنها " ومما لا شك فيه أن ابن وهب كان يحاوره باللغة العربية التي لا يفهمها هذا الإمبراطور ، وإنما كان في قصره بعض أناس يفهمونها بدليل أنهم يقومون مباشرة بترجمة اللغة العربية إلى الصينية ، حتى يتمكن من لا يفهم العربية أن يفهمها عن طريق الترجمة ، وحتى يمكن التفاهم بين الناس (١) .

(١) سليمان التاجر،أبي زيد الحسن السيرافي،أخبار الصين والهند ،طبعة الدار المصرية اللبنانية،١٩٩٠م،

أما عن عصر المغول في بلاد الصين فكانت اللغة العربية ذات منزلة عظيمة ، حيث روج المسلمون استعمالها إلى حد ما ، وكان ذلك بفضل كثرة المسلمين في الحكومة ونفوذهم فيها وقد قيل إن قبلاي خان حاكم المغول قد أنشأ مدرسة لأبناء المسلمين وكانت اللغة العربية من المواد الأساسية واللازمة في برنامج هذه المدرسة. (١)

كانت السيرة المغولية على الصين نقطة هامة في تاريخ الثقافة العربية والإسلامية فعلى أثرها تعزز مركز العلوم العربية في الصين ، واتسع نطاقها ، سواء من حيث النقل أو الاقتباس أو الترجمة وكانت "بكين" أو "كاشغر" العاصمة القديمة العربية أشبه بخلية النحل من كثرة سكانها (٢) .

فالحقيقة التي لا شك فيها أن اللغة العربية لها وجود في بلاد الصين ، فقد انتشرت في تركستان الصينية قبل ظهور المغول المسلمين بعدة قرون ، فنالت عناية فائقة من أهلها ، وارتقت إلى درجة لا تقل عن التي نالتها في بغداد في القرن الخامس الهجري ، وخير شاهد على ذلك كلام الشيخ محمود الكاشغري ، حيث ألف كتاباً باللغة العربية وقد سماه "ديوان لغات الترك" وإليك بعض الاقتباسات من مقدمة هذا الكتاب حيث يقول :

" لما رأيت أن الله تعالى قد أطلع شمس الدولة في بروج الأتراك وأدار بملكهم دائرات الأفلاك فسامهم الترك ، ووالهم الملك ، وجعلهم ملوك العصر ووضع في أيديهم أزمّة أهل الدهر فقيضهم على الخلق وأيدهم على الحق وأعز من انتمى إليهم ، وسعى بين أيديهم ، ونال منهم بلغة في المراد ، وسلم من معرّة أوباش العباد ، حتى لكل ذي نسب التمسك بحالهم ، توقياً عن وقع ينالهم ، ولا ذريعة لديهم أحسن من التراطن بلسانهم لإصغائهم إليه " ،

(١) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين ، مرجع سابق ، ص ٢٩٥ . عبدالحميد حمروش ، راجي عنايت ، الصين الصديقة ، طبعة القاهرة، ١٩٥٨م، ص ص ١٣ - ١٤ .

(٢) محمد محمود زيتون، مرجع سابق، ص ص ٦٧ - ٦٨ .

فمن خلال الكلمات السابقة المسجوعة نلاحظ أن أسلوب الكاشغري كأنه عاش في العصر العباسي^(١)

لقد كانت اللغة العربية في هذا العصر المغولي غير محدودة بولاية بعينها ، بل كان لها رواج في المدن الأخرى . وحدثنا ابن بطوطة عن انتشار اللغة العربية وتعليمها في الصين ، فيخبرنا بكثرة علماء الإسلام بمدينة "الخنسا" الصينية "هانج جو" وعلى رأسهم القاضي فخر الدين ، وهو قاضي المدينة وشيخ الإسلام فيها ، وكذلك أولاد عثمان بن عفان المصري ، وهم كبراء المسلمين بها ، وقد بنو المسجد الجامع بهذه المدينة، وأوقفوا عليه أوقافاً عظيمة ، فاستحسنوا هذه المدينة واستوطنوا فيها ، وكانوا من أشد الناس حرصاً على اللغة العربية وكانوا يدرسونها في الجامع الذي بنوه كما بنو زاوية أخرى للصلاة ، وأوقفوا عليها أوقافاً طيبة تدرّ ريعاً على العلماء والطلاب فيها ، وبوجود هذا الجامع ، وهذه الزاوية ، وبفضل العلماء المسلمين الصينيين وغيرهم هناك انتشرت اللغة العربية ، وانتقلت من مجتمع المسلمين الصينيين إلى باقي الطبقات العالية من غير المسلمين ، وتركت أثرها فيهم^(٢) فاللغة العربية لها نوع من التأثير في الصين ، لم يكن للغة الفارسية حظ فيه ، لأن اللغة العربية هي الأداة التي نقلت منها بعض علوم المسلمين ، ولا سيما علم الطب وعلم الهيئة ، ومن المعلوم أن الإسلام قد تقدم كثيراً في الصين في عهد المغول ، فابتدأ دخول العلوم العربية فيها من هذا الزمان بطريقة أكثر مما كانت عليه ذي قبل^(٣) .

إن من أكبر الأدلة على وجود اللغة العربية ومدى مكانتها عند الصينيين أن هناك العديد من

القوميات المسلمة مثل قومية " هوى " و " سالار " و " تغشيا نغ " و " باوآن " ،

(١) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين، مرجع سابق، ص ٢٩٦ .

(٢) ابن بطوطة ، مرجع سابق ، ص ص ٦٣٨ - ٦٣٩ .

(٣) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين ، مرجع سابق، ص ٢٩٩ ، ص ٣٠٥ .

فهذه القوميات لها لغة تستخدمها في المحادثة ، أما الكتابة فباللغة الصينية الرسمية ، ومما يدل على أن اللغة العربية تشغل حيزاً عند هؤلاء أن لأبناء هذه القوميات الأربع المذكورة لغة تسمى " لغة المسجد " يستخدمونها في حياتهم الدينية واليومية ، وتتكون هذه اللغة من مفردات وعبارات مأخوذة من العربية والفارسية والصينية ، ومن عبارات مزيجه من العربية والصينية ومن العربية والفارسية ، ومعظم هذه العبارات المتعلقة بالدين الإسلامي ، وبمضاهاة الكتب المقدسة والواجبات والأعياد ونصوص القرآن الكريم ومباني المسجد ونشأته وغيرها جاءت من اللغة العربية أو الفارسية ، كما أن كثيراً من العبارات اليومية وعبارات التحذير وكذلك العبارات المعبرة عن حركات الإنسان ومشاعره قد وردت أيضاً من اللغتين العربية والفارسية ، ولغة المسجد هذه يطلقون عليها لغة "جينغتانغ" وقواعد لغة المسجد هذه هي نفس القواعد المستخدمة في اللغة الصينية أساساً وهذه اللغة يستخدمها جميع المسلمين في مختلف القوميات التي تتكلم الصينية الرسمية في تعلمهم المسجدي وحياتهم الدينية اليومية ، فهي ليست لغة خاصة بقومية معينة دون الأخرى .

أما باقي القوميات الست التي تكمل العشر قوميات المسلمة في الصين فتحوي لغتها على كمية كبيرة من المفردات والعبارات الآتية من اللغة العربية والفارسية إلى جانب الصينية والمغولية والروسية ، وجميع العبارات الإسلامية تقريباً جاءت من اللغتين العربية والفارسية^(١).

لقد جاءت أكثر الألفاظ العربية ذيوعا في لغة الصين تشير إلى الأخلاقيات مما له دلالة واضحة على تعطش الصينيين إلى مزيد من الثقافة الأخلاقية ، فكان لهم من الإسلام ما يروي ظمأهم ويشفي غلتهم ، وهذه الألفاظ : إيمان - حق - باطل - كذب - خير - زكاة - حج - عالم - جاهل - وعظ - رزق - شفاعة ، كلها مما دخل في لغة الصين بكثرة وتناقله الألسنة^(٢) وكذلك بعض الألفاظ الدينية مثل : لفظ الجلالة الله ، المسلم - الرسول - الإمام - المعلم - الخليفة ، وغيرها من الألفاظ^(٣) .

(١) إبراهيم فنح جين يون ، مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

(٢) محمد محمود زيتون ، مرجع سابق ، ص ٦٢ .

(٣) إبراهيم فنح جين يون ، مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

أو الصين وعقد الصفقات التجارية معهم في أسواق مدن الخليج . فكان لابد لهم من التفاهم مع هؤلاء التجار بلغة يفهمونها وكانت هي اللغة الفارسية^(١) .

(٢) انتشار مصطلحات وأسماء عربية نتيجة مزاولة العرب للأنشطة التجارية:

وفي الجانب الثقافي وكنتيجة لانتشار حركة التجارة العربية الإسلامية بين مدن الخليج وبلدان الشرق الأقصى، نجد أن العرب اتخذوا اللغة العربية والفارسية للتخاطب بها مع تجار هذه المناطق في الهند والصين وجزر جنوب شرق آسيا . والجاحظ يذكر لنا أن عامة أهل العراق كانوا يتحدثون بالفارسية رغم أنهم عرب ويعلل ذلك أنهم وجدوها خفيفة على لسانهم لكن أرى أن السبب في تحدثهم بالفارسية هو مزاولة معظمهم - إن لم يكونوا جميعاً - لأعمال التجارة واضطراهم للتعامل مع التجار القادمين إليهم من الفرس أو الهند ، وقد ترتب على استعمال اللغة الفارسية في الأعمال التجارية والملاحية أن دخلت أعداد غير قليلة من المصطلحات البحرية والكلمات الفارسية في اللغة العربية مثل ناخدا (صاحب السفن) ريان أو معلم (قائد السفينة) ، مهما كان أصلها بان ، سرهنك (مرشد الميناء المسئول عن إرساء السفن) ، ديدبان حارس المركب (٢) .

وليس معنى هذا أن اللغة العربية لم تؤثر بدورها في اللغة الفارسية واللغات الأخرى فقد دخلت كلمات عربية كثيرة إلى لغات هذه الشعوب نتيجة الاتصال التجاري على وجه الخصوص ، بل إن اللغة العربية والخط العربي فرضا نفسيهما على الفرس والرومان فكتبت الفارسية و التركية بالخط العربي . كما دخلت مصطلحات وكلمات عربية كثيرة في لغات شعوب وسط وآسيا وأوربا (٣) بل نتج عن العلاقات الوثيقة للجزيرة العربية عامة ومنطقة الخليج بصفة خاصة مع سواحل الهند الغربية إلى اتخاذ اللغة العربية لغة لهم .

(١) انظر: الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي، القاهرة، تحقيق أحمد شاکر، دار الكتب المصرية ١٣٦١ هـ.

(٢) Oxford Dictionary , new English Deictionary on historical priciples and Taylor, W. Arabic words in

English S.P.E tract, No38.

(٣) أحمد أمين، فجر الإسلام، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ١٣٩، هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ص ١٦٧.

وربما يظن ظان أن الثقافة العربية تأثرت بثقافة اليونان أكثر من تأثرها بأي ثقافة أخرى، وردنا على هذا القول بالنفي الصريح ، لأن الثقافة العربية تأثرت حقيقة تأثراً كبيراً بالثقافة الفارسية ، لأن دولة الفرس انصهرت في الدولة الإسلامية ، ولأن حياة الفرس الاجتماعية كانت تحت أعين العرب يعرفونها

ويعيشونها فتذوقوا شيئاً منها على عكس الحياة اليونانية التي كانت نائية عن العرب ولم يحدث بينهم وبين العرب اختلاط كما حدث مع الفرس ، كما أن نظم اليونان تخالف تعاليم الإسلام، فهؤلاء لهم نظمهم الاجتماعية والسياسية التي لم يعرفها العرب ، ولهذا نجد أنه من العسير أن نجد كلمات واصطلاحات يونانية في الأدب العربي شعراً ونثراً ، ولا يمكن أن نجد شاعراً من أصل يوناني أو روماني انصهر في البوتقة العربية وأخرج للثقافة العربية شيئاً ، وعلى العكس من ذلك نجد أن عدداً غير قليل ممن اشتغلوا بالأدب العربي ترجع أصولهم إلى الفرس ، كما تأثر مؤرخو العرب والمسلمين في تلك العهود بطريقة الفرس في تدوين الأحداث التاريخية بالنمط اليوناني^(١)

دخول بعض الكلمات العربية في أدب الصين :

أما من جهة أخرى فقد دخلت الكلمات العربية في أدب الصين بواسطة التجارة منها : (زعفران) و(ياسمين) و (يابروه) و (حناء) و (حلة) ومن المظنون أن هناك كلمات أخرى دخلت في أدب الصين غير أننا لم نعثر عليها لقلة معلوماتنا عنها ونكتفي بهذه الكلمات الخمس كبراهين لنفوذ تجار العرب في الصين وآثارهم الدائمة التي تركوها في أدب الصين .

الزعفران :

وهو من البضائع التجارية المحبوبة التي قد لعبت دوراً عظيماً في التجارة الشرقية في العصور الإسلامية . فكثرت التجارة فيه في عهد المغول فأتى المسلمون به إلى أسواق الصين وباعوه بأعلى ثمن ، ولكثرة تجارة الزعفران دخلت هذه الكلمة في أديبات الصين بشكلها العربي مع تحريف يسير من زعفران إلى "زافوران" .

(١) بدر الدين حى الصينى، العلاقات بين العرب و الصين، مرجع سابق، ص ٣١٥ .

الياسمين :

ومما لا ريب فيه أن الإيرانيين كانت لهم تجارة في الياسمين مع الصين قبل الإسلام غير أن العرب الذين نهضوا كأمة تجارية في القرون الوسطى قد ورثوهم في هذه التجارة فأتوا بكمية كبيرة من

رياحين الياسمين وزيوتهما إلى الصين فروجوا استعمالها فيها ، كما أنهم قد روجوا استعمالها في بلاد العرب ، فلذا ترى اليوم أن جملة اللغات الأوروبية قد اختارت هذا الاسم في صورته المعربة .

إن زيت الياسمين كان حاصلًا مشهوراً عند العرب والإيرانيين والهنود ويسميه العرب "دهن الزئبق" .

أما التركيب لصناعة زيت الياسمين فيوجد في كتاب ابن بيطار . وبناءً على قول الأصبخري أن في ولاية (دارابيحرد) بإيران ، نوعاً من زيت الياسمين لا يوجد في مدن أخرى كانت سابور وشيراز مشهورتين بزيت الياسمين ويذكر (كو زي صون) وهو كاتب عاش إلى نهاية القرن الثاني عشر للميلاد أن زيت الياسمين يصنع بإيران والشام ثم قال : أن ياسمين زهرة بيضاء مثل الثلج بياضاً جاء بها العرب والإيرانيون من البلاد العربية إلى مدينة (كانتون) فحبيت إلى كل متنفس يسكن هناك . لقد وردت في "وقائع كانتون" بيانات عن استيراد زيوت الياسمين من البلاد الإسلامية قائلة أن زيوت الياسمين تستورد في المراكب لأن المسلمين يجمعون أزهار الياسمين ويعصرون الزيت منها . وهو يفيد للجذام والبرص . فإن أطباء العرب يستعملونه كمانع لأمراض الفالج والصرع وأما الصينيون فاختاروا اسمه مصيناً بتحريف يسير^(١) .

يابروه :

وهي إبرة الراعي ، من النباتات التي جاء بها العرب إلى الصين في عهد (سونغ) وأول من ذكر هذا النبات باسمه الغربي من علماء الصين هو "تشومي" (١٢٣-١٣٢٠م) ولقد خصص الأستاذ لوفر عدة صفحات لبحث هذا النبات وخصائصه في كتابه (La Mandragore) باللغة الفرنسية .

(١) بدر الدين حي الصيني ، العلاقات بين العرب و الصين ، مرجع سابق ، ص ٣١٥ .

الحناء :

دخلت هذه الكلمة في اللغة الصينية في شكل محرف إلى "هاي نا" (Haina) نوع من النباتات ، ذو صبغة حمراء . تصبغ بها النساء أظفارهن وفي بعض الأحيان كفوفهن ، ومن رأي الأستاذ لوفر أن عادة استعمال الحناء كزينة فرحيه لم تكن موجودة في نساء الصين قبل عصر

(سونغ) فظهرت من ذلك العهد رائجة في الصين إلى الآن . ولا شك أنها من آثار المسلمين في الحياة الاجتماعية الصينية .

ولا شك أن تركيبة الحناء وطريقة استعمالها في الصين في عهد (سونغ) وافق ما وجدناه في جميع الممالك الإسلامية الآن .

ومن تحقيق الأستاذ جوورت (Goret) أن الحناء لم تكن مزروعة إلا من أيام المسلمين، وأما نقله إلى الصين فيظهر أن من إيران أو من الهند وكان ذلك في عهد (سونغ).

الحلبة :

علم أطباء الصين بحبة أجنبية باسم هولوبا Hiolupa فاستعملوها في الدواء ومما لا ريب فيه أن كلمة هولوبا في الصينية هي كلمة حلبة في العربية ومن المظنون أن شجرتها قد نقلت إلى الصين في القرن العاشر الميلادي وأن أول من ذكر هذه الحلبة من علماء الصين هو جان يوشى الذي عاش إلى ١٠٦٤ م، ومن قوله أن الحلبة تزرع في كانتون، ويقول مصدر آخر أن بذور الحلبة قد أتت بها من جزيرة هاينان والبلاد الأجنبية الأخرى، فالتجار الذين وصلوا إلى كانتون ألقوا بذورها في أرضها فنبتت وأثمرت إلا أن بذورها لم تبلغ ما جاءت من البلاد الإسلامية جودة

- نقل بعض الكلمات الصينية إلى اللغة العربية مثل (كاغد ، كمخاب ، الشاي ، بك)

وهي نقل بعض الكلمات الصينية إلى العربية بواسطة أو بلا واسطة وهذه الكلمات التي وجدتها هي " كاغد ، كمخاب ، الشاي ، ويمكن أن نضيف إليها كلمة " بك " (١).

(١) بدر الدين الصيني ، العلاقات بين العرب والصين ، مرجع سابق ، ص ٣١٧ .

وأما كلمة كمخو بفتح الكاف والخاء وسكون الميم والواو فانتقلت إلى العربية بواسطة الفارسية وكان الإيرانيون يستعملونها في شكل كمخا أو كمخاب (Kamxwa or Kamxwab) بالألف أو بالياء

بعدها وهو نوع من الديباج أي الحرير الصيني المنسوج بخيوط الذهب يسمى باللغة الصينية "كمخا"

بكسر الكاف (Kimxwa) ولا شك أن الإيرانيين كانوا يستوردون الحرير من الصين من عهد قديم

ولكثره احتكاكهم مع الصينيين عن طريق التجارة برأ ، تعلموا من أهل الختن تربية ديدان القز فجربوها في بلدة جيلان ونجحوا إلى حد ما . وأما الديباجة الصينية فكانت مشهورة في إيران في عهد الإسلام حتى ذكرها الفردوس في "شاهنامه" في عدة مناسبات وذكر أيضاً نوع آخر من الحرير الصيني سماه " برنيان " . وهي نوع من الديباج الصيني مأخوذة بدون شك من كلمة صينية كما ذكر هذه الكلمة ابن خرداذبة وابن بطوطة والمقدسي في كتبهم .

الشاي :

من الصعب أن نقف على تاريخ دخول كلمة الشاي في اللغة العربية غير أننا نقول أن سليمان التاجر، السيرافي ، صاحب (سلسلة التواريخ) قد أتى بمعلومات صحيحة عن استعمال أوراق الشاي عند الصينيين كمشروب عادي فسماه في كتابه " الساخ " (١) .

بك :

أضيف إلى هذه الكلمات الثلاثة كلمة " بك " لا لأنها نتيجة من نتائج العلاقة التجارية بل لأنها كلمة صينية الأصل . استعملت كثيراً عند كتاب العرب والإسلام في الخلافة العثمانية وفي الوقت الحاضر . وهي كلمة تدل على درجة من الألقاب المدنية أدنى من الباشاوية بدرجة واحدة ولعل اللغويين يعتقدون أنها كلمة تركية اختار كتاب العرب استعمالها من عهد العثمانيين إلى

(١) كلمة الديباج "معناها" الحرير الصيني وهي مركبة من ديبائي جين، بدر الدين حي الصيني،العلاقات بين العرب و الصين،مرجع سابق،ص ٣١٠.

يومنا هذا وظلوا في استعمالها إلى ما شاء الله ، ولا أخالفهم في هذا غير أنني أقول أن هذه الكلمة منتزعة(أي مدخولة في التركية) من كلمة صينية الأصل وهي (Pak) وهي كلمة بك نطقاً ومعنى بدون الكاف . وكان الصينيون من عهد قديم قد أوجدوا وواضعوا ألقاباً ودرجات الشرف للرجال العسكريين والمدنيين فقسموها إلى "قون" (Kun) و " خيو " (Khem) و"بك"(Pak) ومما لا شك فيه أن

هذه الكلمة قد تسربت إلى لغات الترك قبل هجرتهم إلى آسيا الصغرى، وأما المسلمون بتركستان سواء كانوا من المغول أو من الترك فيكتبون اليوم (بئ) بالباء والياء بدون الكاف وهو الأصح نطقاً وإملاءً، قد يكتب (بيك)، وقد يكتب (باى) غير أن كتاب العربية يكتبونه بالباء والكاف (١) .

استفادة الصينيون من تراث المسلمين العلمي:

(أ) علمي الفلك والرياضيات :

تفيدنا التدوينات التاريخية الصينية أنه كان هناك تقويم في عهد أسرة تانغ (٦١٨-٩٠٧) يدعى "جيوشي" وهو يختلف عن التقويم الصيني الشائع ، وذلك أن كتاب "سجلات تانغ الجديدة" يشير إلى أن دوران الأرض حول الشمس دورة واحدة يستغرق ٣٦٠ يوماً فقط حسب تقويم "جيوشي" وليس ٣٦٥ يوماً حسب التقويم الصيني الشائع . وفي عهد أسرة سونغ الشمالية (٩٦٠-١١٢٧) ظهر فلكي كبير من المسلمين في مقاطعة آنهوي يدعى "ماي تسه" وقد قام بتصحيح الأخطاء الشائعة في علم الفلك وإبداع التقويم الجديد المعروف باسم "تقويم ينغتيان" (٢) .

(١) معاني هذه الكلمات (قون) الأمير ، (خيو) الباشا و (بك) البك ،بدر الدين الصيني،العلاقات بين العرب و الصين، ص ٣١٣.

(٢) إبراهيم فنج جين يوان،مرجع سابق ،ص١٣٠ ، ص١٣٣ .

كما قدم المسلمون الصينيون إسهامات هامة في ميدان الأبحاث الفلكية والتقويمية والحساب في عهد أسرة يوان (١٢٧١-١٣٦٨) ، الأمر الذي جعل الصين آنذاك تشهد تقدماً ملحوظاً في هذا الميدان .

وقد جلبوا إلى الصين أعداداً كبيرة من الكتب العربية والفارسية، وهي تشتمل بصورة رئيسية على الكتب الفلكية والرياضية وغيرها ، وكان من ذلك أن كتاب "الزيج الكبير الحاكمي" لابن يونس على بن عبد الرحمن وغيره من الكتب قد تركت أثرها الكبير في علم الفلك والتقويم الصيني،

وقد انتقل علم الرياضيات المتقدم إلى الصين أيضاً على أيدي المسلمين ، مما جعل الصين تتقدم إلى الأمام في هذا المضمار . ومما يستحق الذكر أنه كان هناك ١٥ كتاباً عربياً بما فيها "أصول الهندسة" قد انتقلت إلى الصين ، وأصبحت مصدراً غنياً لهذا الرياضي الصيني العظيم . أما "تقويم شوشي" الذي وضعه قوه شوجينغ، فقد شاع في الصين مدة ٣٦٠ سنة فلم يكن له مثيل من حيث مدة شيوعه ، وذلك بفضل تفوقه في الدقة على أمثاله من التقاويم السابقة . ولا تفوتنا الإشارة إلى أن الأرقام العربية (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ... الخ) قد انتقلت إلى الصين في عهد أسرة يوان .

وثقة بنبوغ العلماء المسلمين في هذا العلم واعترافاً بفضلهم في تطوير علم الفلك الصيني أبقى أباطرة الصين حتى زمن متأخر على الخبرات الإسلامية في إدارة مؤسسات الدولة المعنية بأمر الفلك وعلومه والإشراف عليها. ومن بين جهود المتأخرين من علماء المسلمين ما قام به العالم المسلم (ما - نو - شو ، Ma - Ho - Sho) (١٧٩٤ - ١٨٧٤ م / ١٢٠٩ - ١٢٩١ هـ) من مراقبة الظاهرة الفلكية من خط الاستواء ، وقد ضمن حصيلة جهوده في كتابين علميين هما : (مختصر الكون) باللغة العربية و (أصول التقويم الهجري) باللغة الصينية ، اللذان أصبحا فيما بعد من أهم المقررات الدراسية لطلاب العلوم الفلكية في المدارس الصينية^(١) . أما عن علم الرياضيات ، فمعلوم أن علمي الفلك والرياضيات علمان متلازمان ،

(١) إبراهيم فنج جين يوان، مرجع سابق ، ص ١٤٠ .

لذا كانت جهود علماء الفلك المسلمين قائمة على علوم الرياضيات المختلفة فيما توصلوا إليه من مخترعات ومعارف فلكية ، مثل علم الحساب ، وعلم المتلثات ، وعلم الهندسة .
وتبعاً لما ترجم إلى اللغة الصينية من مؤلفات العلماء المسلمين في علم الفلك فقد ترجمت العديد من مؤلفاتهم في علوم الرياضيات ، ونجد في قوائم الكتب في المكتبة الملكية لأسرة يوان كتباً إسلامية في تلك العلوم ، مثل : كتاب (السفينة الهندسية) في (١٧) جزءاً ، وكتاب (طريق حساب السطوح) في

١٥ جزءاً، وكتاب الطرق الحسابية، وكتاب (مبادئ الهندسة المسطحة) في (١٣) جزءاً وهو من مؤلفات إقليدس اليوناني التي ترجمها المسلمون إلى اللغة العربية ، ومثله كتاب (المجسطي) لبطليموس (١) . هذا ، وقد دلت الآثار المكتشفة حديثاً على أثر بالغ الأهمية في الدلالة على تأثير علم الرياضيات عند المسلمين في علم الرياضيات عند الصينيين ، وإذ عثر العلماء على خمسة مربعات حديدية متساوية الحجم والطول والعرض (١٢, ٤سم) والسلك (١, ٥سم) داخل أربعة أحجار مربعة محفورة فيها أرقام عربية مرتبة ترتيباً حسابياً بمجموع واحد في كل الاتجاهات . وقد أذهل هذا الدليل عدداً من علماء الرياضيات الصينيين الذين اكتشفوا بعد دراسته أنه من اختراعات المسلمين في علم الرياضيات، ومن خلاله تبين لهم مدى التأثير الذي أحدثه علم الرياضيات عند المسلمين في تطور علم الرياضيات الصيني (٢).

ومما تجدر الإشارة إليه أن خمسة عشر مؤلفاً من مؤلفات العلماء المسلمين في علم الرياضيات قد ترجمت إلى اللغة الصينية ، وأنها كانت ثروة علمية مهمة استفاد منها العلماء الصينيون في كثير من معارفهم وفي تطويرهم علم الرياضيات عندهم، كما استفاد العلماء الصينيون من المثلث المتساوي الساقين وشكل القوس والسهم في حساباتهم ومعلوماتهم الرياضية ، وكذلك استفادوا من أصول المثلثات القوسية الشكل التي ابتكرها المسلمون. (٣)

(١) على لي تشين تشونج، آثار العرب ومآثرهم في الصين عبر التاريخ، المجلة العربية للثقافة، ع ٣٨ ، السنة ١٩، ذو الحجة ١٤٢٠ هـ، ص ١٦٠ .

(٢) دانج هو، مرجع سابق، ص ٤٦ .

(٣) إبراهيم فنج جين يون، مرجع سابق، ص ١٣٦ .

ومن التأثيرات الإسلامية في هذا العلم استخدام الصينيين نظام العدّ العربي والأرقام العربية ، وكذلك استخدامهم الصفر في العمليات الحسابية المختلفة ، وأيضاً استخدامهم طريقة المسلمين في العدّ باستخدام اللوح الخاص بالأعداد ، وهو الذي انتقل إلى الصين مع أول المؤثرات الفلكية التي وصلت إليها (١) .

ومن العلماء المسلمين الذين تحدثت عنهم المصادر الصينية وذكرت جهودهم في هذا الميدان: العالم المسلم (جوہ - شو - جينج، Goh - Sho - Geng) صاحب تقويم شوشي^(٢) وكذلك (أولغ - بيك ، Olig - Bek) من أهل سمرقند وصاحب الزيج المشهور الذي ترجم إلى اللغة الصينية سنة ١٢٨٠م / ٦٧٩هـ . وكثيرون من علماء الفلك المسلمون الذين أسهموا في تطوير علم الفلك ومجالاته هم أيضاً علماء رياضيات كانت لهم إسهاماتهم الجليلة في تقدم علوم الرياضيات الصيني وتطويره^(٣) .

(ب) علم الطب والصيدلة :

في خزانة الكتب القديمة في دار الكتب الصينية بقايا موسوعة طبية اسمها (وصفات طبية هوى هوى) ، أي : الوصفات الطبية عند المسلمين ، أو وصفات المسلمين الطبية ، وتتكون من ستة وثلاثين جزءاً لم يبق منها سوى أربعة أجزاء ، ورد فيها أسماء مؤلفات الطب عند المسلمين التي ترجمت إلى اللغة الصينية على يد عدد من الأطباء المسلمين الذين استقروا في الصين في فترات مختلفة ، أو ترجمت في بعض مراكز الحضارة الإسلامية إلى اللغة الصينية على يد صينيين قدموا لهذا الغرض^(٤) .

(١) إبراهيم فنج جين يون، مرجع سابق، ص ١٣٧ ، ص ١٣٩ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٦ .

(٣) بدر الدين الصيني ، مرجع سابق، ص ٣٣١ .

(٤) فهمي هويدي، مرجع سابق، ص ٦٣ .

كتبت تلك الموسوعة بلغة صينية واشتملت على (٤٥٠) وصفة طبية وما يزيد على (٢٣٢) نوعاً من العقاقير الطبية ، ويعتقد أن تأليفها يعود إلى عصر أسرة يوان المغولية ، وأن أهم مصادرها كتاب القانون في الطب لابن سينا (٣٧٠-٤٢٨هـ / ٩٨٠-١٠٣٧م) ، انظر إلى التشابه الكبير بين الكتابين في استعمال الأدوية أو بدائلها الصينية ، وهو ما يدل على الجهد الكبير الذي بذله الأطباء للإشراف على إدارة المستشفى والمعالجة وتشخيص الأمراض ، والآخر لتحضير الأدوية وإعدادها وتركيبها ،

وكان يعاونهما عدد من الأطباء والإداريين المسلمين وأضيفت إلى هذه الإدارة في فترة لاحقة مهمة تدريس الطب الإسلامي وتعميم استخدامه في المعالجات المختلفة ، ومع زيادة التأثير الإسلامي واعترافاً بأثره في تطور الطب الصيني تم إنشاء مدرستين طبيتين لتعليم الطب ومعالجة المرضى ، إحداهما في بكين ، والثانية في شانجو (تاي بينج) في ولاية جهاار الحالية . وكذلك أنشأت (صيدلية تاي - بينج الخيرية) ، وكانت تقدم مجاناً العلاجات والعقاقير من الأعشاب والنباتات التي استخدمها الأطباء المسلمون في علاجهم عدداً من الأمراض^(١) .

وفيما يتعلق بالعقاقير والأعشاب الطبية يرد في المصادر الصينية معلومات عن عدد من تجار ذلك النوع من الأدوية من المسلمين الذين تاجروا بها إما بالتجوال وإما بفتح صيدليات لهذا الغرض ، واشتهر في مدينة (تشانج آن) العاصمة الصينية القديمة التي ينتهي إليها أو يبدأ منها طريق الحرير البري عدد غير قليل من هؤلاء التجار الذين كانوا يمدون الصينيين باحتياجاتهم من تلك الأدوية والعقاقير^(٢) .

(١) السعيد رزق حجاج، مرجع سابق، ص ٥٤ . بدر الدين الصيني، تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر، بيروت دار الإنشاء، ١٣٩٤هـ، ص ٣١-٣٢ ص .

(٢) إبراهيم فنج جين يون، مرجع سابق، ص ١٤٥-١٤٦ ص .

ومما أثبتته المصادر الصينية من مآثر الطب الإسلامي على المجتمع الصيني أسلوب العلاج الذي تميز به الأطباء المسلمون وكان يعتمد على تصنيع الأدوية على هيئة أقراص ومساحيق أو معاجين بدلاً من الأسلوب الصيني الذي كان يعتمد على مزج الأدوية بالماء وغليها على النار لتصبح على هيئة أشربة ، وأصبح ذلك الأسلوب شائعاً في الطب الصيني حتى اليوم ، كذلك اعتمد الطب الصيني على أسلوب الطب الإسلامي في تقسيم الحالة المرضية إلى عدة أمراض بدلاً من الأسلوب الصيني الذي يتعامل مع الحالة على أنها نوع واحد (طب عام) ، وبدءاً من سنة ١٠٧٨م / ٤٧١هـ استخدم

الصينيون ذلك التقسيم في معالجة مختلف أنواع الأمراض التي كانت معروفة في ذلك الزمان ، وأهمها : (الباطنية ، الأعصاب ، الأطفال ، العيون ، الأورام ، الأسنان ، الولادة ، الحنجرة ، الوخز بالإبر)^(١) .

وتسجل المصادر الصينية أن أول عملية جراحية لإزالة ورم خبيث من مخ صيني كانت على يد طبيب عربي مسلم ، وكذلك تسجل المصادر الصينية براعة العرب في طب التجبير وفي المعالجة بالكي^(٢) . كذلك استفاد الصينيون من خبرات المسلمين في صناعة العطور والمساحيق ومواد الزينة واستخداماتها واستفادوا منهم أسلوب التقطير الذي استخدمه المسلمون للحصول على زيوت وعصارات كثير من العقاقير والأدوية والمستحضرات^(٣) .

وفي مجال التأليف وتطور الخبرات العلمية الصينية تأثراً بالطب الإسلامي ألف عدد من الأطباء المسلمين الصينيين عدداً من المؤلفات والكتب الطبية اعتماداً على المؤلفات الإسلامية لأشهر

(١) على لي ، مرجع سابق ، ص ١٥٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٩ ، محمد التونجي ، ابن سينا وأثر الطب العربي في الصين ، من بحوث المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب ، جامعة حلب ، رجب ١٤٠٢هـ ، ص ٩٥ .

(٣) مونج كيونج ٢٣٦ كون ، مرجع سابق . على لي ، مرجع سابق ، ص ١٥٩ .
، ومن ذلك العالم الشاعر (لي - شون - سون ، Li - Shon - Son) الذي ألف كتابه (النباتات الطبية الواردة فيما وراء البحار) ، وضمنه أكثر من مائة نوع من العقاقير الطبية والأعشاب ، ومعظمها من أقاليم العالم الإسلامي ، والعربي منها بخاصة ، وهذا المؤلف هو الأساس الذي اعتمد عليه الصيدلي الصيني (لي - شي - تشين ، Li - Shi - Son) (١٥١٨-١٥٩٣م/٩٢٤-١٠٠٢هـ) في وضع كتابه الشهير (ben -cao-geng-mu) ، فهارس النباتات الطبيعية) الذي حوي كل النباتات والأعشاب الطبية التي استوردتها الصين من أقاليم العالم الإسلامي^(١) .

دخلت العقاقير والوصفات الطبية العربية إلى الصين منذ عهد أسرتي تانغ و سونغ (٦١٨-١٢٧٩) وكانت قوانغتشو ويانغتشو كلتاهما في الفترة ما بين القرن السابع والتاسع مجعاً للتجار الأجانب وسوقاً ضخمة للعطور وقد ورد في كتاب "قصة رحلة الراهب تانغ دا إلى الشرق" أن سفن المسلمين التجارية في نهر اللؤلؤ في عهد الإمبراطور تيان باو (٧٤٢-٧٥٦) كانت كثيرة إلى حد لا يحصى وحيث أن قمراتها تبلغ حوالي ٢٠متر ، فإن شحناتها من العطور والعقاقير والمجوهرات غالباً ما كانت تكس كالتلال. وفي الوقت الذي استوردت فيه العقاقير العربية إلى الصين بكميات كبيرة دخلت إليها الوصفات العربية والفارسية . ويدل على ذلك أن ملحقات الوصفات الطبية القيمة المعروفة في الصين تشتمل على وصفات فارسية، وهناك بالإضافة إلى ذلك وصفات طبية صينية مكونة من العقاقير العربية بصورة رئيسية فقد كان من بين الجاليات العربية عدد من تجار العقاقير وهم إما يفتتحون الصيدليات وإما يتجولون من شارع لآخر لبيع العقاقير . وهناك حكايات ممتعة تتناقلها ألسنة الناس حتى الآن^(٢) .

(١) على لي، مرجع سابق، ص ١٥٧، ص ١٥٨، مونج كيونج، مرجع سابق، ص ٢٣٦ .

(٢) إبراهيم فنج جين يون، مرجع سابق، ص ص ١٤١ - ١٤٢ .

فقد ورد في "سجلات تانغ القديمة" أنه كان هناك فارسي يدعي "لي سوشا" " قد قدم كشك عطور إلى الصين " وتجنس صينياً وكان من أوائل المسلمين الذين ما رسوا تجارة العقاقير في الصين . وقد وصف كتاب "موسوعة تايبينغ" الذي تم تأليفه في عهد أسرة سونغ الشمالية كيف كان العرب في عهد أسرة تانغ يفتتحون الصيدليات وبييعون العقاقير في مدينة تشانغان . كما يصور كيف كان باعة العقاقير يترددون على صيدليات العرب ليشتروا منهم ما يفتقرون إليه من العقاقير^(١) .

إن العقاقير الطبية العربية بما فيها اللبان ودم الأخوين والصابر والمر و الميعة والحلبة والقرنفل والزراوند والحلتيت والإهليلج واللؤلؤ وكافور بورنيو وما إلى ذلك من العقاقير العربية قد استخدمت في أوساط الطب والصيدلية في الصين على نطاق واسع ، وبعض أسمائها لا يزال باقياً في اللغة الصينية

كما هو في اللغة العربية تقريباً ، مثل (Muyao) (دواء مر) و(Huluba) (الحلبة) و (Helile) (الإهليلج) .. الخ ،وتظل الأبخرة العربية تحتل مكانة هامة بين العقاقير الطبية ،وقد ورد في وثائق سونغ أن عدد الحبيبات والكريات والمساحيق من مصنعات اللبان بين الأدوية الصينية الجاهزة يبلغ اثني عشر نوعاً ، وعدد الطبخات من مركبات الزراوند والكريات من مصنعاته يبلغ ستة أنواع ، وعدد الكريات والمساحيق من مصنعات المربلغ سبعة أنواع.وبعد عهد سونغ شهدت الأبخرة العربية استخدامات أوسع من ذي قبل (٢) .

لقي الطب العربي والصيدلة العربية إقبالاً عظيماً من أهل الصين ، وقد ورد في مصادر الطب في عهد سونغ قول بأن مسحوق الزرواند له قوة سحرية في شفاء الأمراض ، وأن كريات الميعة لها قدرة على تنظيم النشاط الحيوي لدى المرضى من جديد أو شفائهم من تلف الدم ، حتى تعيد المشرف على الموت منهم إلى كامل صحته . وكانت العملية الجراحية العربية في عهد يوان تتمتع بشهرة عظيمة جداً داخل الصين ، فقد ظلت السنة العامة تتناقل الحكايات عن القدرة السحرية لدى بعض الأطباء المسلمين في الصين في علاج الصداع باستخراج "السرطان(السلطعون) الصغير" من الجمجمة أوفى شفاء الفرس من تضخم البطن باستئصال النسيج المتصلب من فخذة(٣).

(١) إبراهيم فنج جين يوان، مرجع سابق، ص ١٤٥ .

(٢) قوة ينغ دة ،مرجع سابق، سبتمبر ٢٠٠٣ ص ٦٤ .

(٣) نفس المصدر ،نفس الصفحة .

انتقال تراث المسلمين الطبي إلى الصين

وتتفق أكثر الكتابات - عند الصينيين والعرب والأجانب - على أن الوجود الإسلامي حتى أسرة سونغ كان محصوراً في الوافدين من بلاد العرب ، سواء الذين وفدوا للتجارة وسكنوا في أحياء خاصة بهم تناثرت في المواني البحرية والبرية أو أولئك الذين استوطنوا مثل بقايا جيش قتيبة أو الجيش الذي أوفده المتصور لمساعدة وإنقاذ عرش إمبراطور الصين ،

وأما من ناحية تراث المسلمين الطبي فإن كتب علماء المسلمين وفي مقدمتها مؤلفات ابن سينا في الطب أصبحت تترجم إلى الصينية على أيدي الأطباء الصينيين المسلمين أو ذوي الأصول العربية

وكانت وصفات ابن سينا الطبية قد سبقت إلى الصين قبل سنوات، وفي فهرست كتب الهويين - مسلمو مناطق الوسط والجنوب الصينيون - وهو مخطوط محفوظ بمكتبة بكين كثير من الكتب العربية المنقولة إلى الصينية وتختص جميعها بالصيدلة والطب والكيمياء والفلك وغيرها من العلوم، في عصر أسرة يوان أيضاً أنشئت "دار النعمة" عام ١٢٧٠م التي تخصصت في صناعة الأدوية لمعالجة المرضى من حراس القصر والرعايا الفقراء في العاصمة . وعين لإدارة هذه الدار والإشراف عليها طبيب عربي مشهور اسمه "يوسف" وعمل في هذا المستشفى عدد من الأطباء العرب، وتبع تلك المؤسسة العلاجية " دار الهويين للأدوية والمعالجة" في بكين وأخرى في منغوليا عام ١٢٩٢م . وفي مكتبة جامع بكين اليوم بقايا موسوعة طبية ألفت في تلك المرحلة تحتوي على ستة وثلاثين جزءاً لم يبق منها سوى أربعة أجزاء وردت فيها أسماء الأدوية المنقولة إلى الصينية من العربية . وقد اعتمد مؤلف هذه الموسوعة في ترتيب الأسماء وتصنيفها على طريقة ابن سينا في كتابه القانون . وأغلبها مترجم عن العربية ، بمساعدة الأطباء العرب المقيمين في الصين ، نقلاً عن عدد من الكتب على رأسها كتاب "القانون" لابن سينا الذي غدا قانون الطب في الصين ^(١).

(١) قوة ينغ ده ، مرجع سابق، عدد أكتوبر، ٢٠٠٣ ص ٦٠ .

(ج) استفادة الصينيين من تراث المسلمين في الهندسة والعمارة :

وأثر العمارة والرسم يتمثل بصورة رئيسية في مباني المساجد والجوامع ، فمسجد هوايشنغ في كانتون يتميز بالأسلوب المعماري العربي ، ومئذنته المسماة برج النور والمنتصبة في شكل أسطواني ، تطاول عنان السماء بمسلتها خلافاً للبرج الصيني ذي الطوابق المتعددة من الطوب والخشب . وقد ورد في نقش (نصب إعادة بناء مسجد هوايشنغ) تعريف يقول " وتحت السحب البيضاء وفي أحضان الجبال يقوم هذا المبنى الديني ، وهو من حيث الطراز كأنه منقول من المناطق الغربية ، ومن حيث المنظر كأنه صخرة منتصبة ، فلا مثيل له في أواسط البلاد " وخالصة القول إن مسجد هوايشنغ قد بنى متأثراً بالهندسة المعمارية الإسلامية ، ولم يسبق له نظير في الصين . ومسجد شنغيو الذي بنى

في مدينة الزيتون في العام الثاني من فترة داتشونغ شيانغ فو (١٠٠٩-١٠١٠) في أسرة سونغ الشمالية متشابه جداً من حيث بوابته وتصاميم سقف قبته والأسلوب المعماري للطريق المبلط المؤدي إلى بنائه الرئيسي من مسجد فنغهوأنغ بهانغتشو يحاكي في مظهره المساجد العربية ، إذ يتوسطه مدخل مقوس على شكل تويج الزهرة ، وينتصب على كل جانب من برج رمزي ، وسطه مسيج بحيطان خفيفة مزخرفة بببتلات اللوتس ، وذلك كله يدل على الأسلوب المعماري الإسلامي أما قاعة الصلاة فيه " فتقع في المؤخرة بحيث تبدو جبهتها أعظم من عمقها ، مثل المساجد التقليدية في غربي آسيا، وسقف قبته منقوش بالأزهار والأعشاب ، وهي من الزخارف العربية الزاهية الألوان . ومسجد نيوجيه في بكين يمثل ببنائه وتوزيعه " فنا يجمع بين عمارة القصور الصينية التقليدية والعمارة العربية بحيث يضيفي على التركيب الخشبي من المباني الصينية الزخرفية العربية الصاخبة ، فيشكل الطراز الفريد الذي تتميز به العمارة الإسلامية في الصين وعلى الواجهة من البناء الرئيسي .(١)

إن ذلك التأثير للهندسة والعمارة الإسلامية في العمارة الصينية - مع كونه تأثيراً ضعيفاً من وجهة نظري - كان مثار إعجاب الصينيين بسماته وطرزه ونقوشه وكتاباته، كما أنه أسهم في تنمية الفن الصيني ، إذ تبوأ الأرابيسك (فن النقش العربي) مكانة مرموقة في بناء القصور والمعابد الصينية.

(١)قوه ينغ دة ، العلاقات الصينية العربية ، مرجع سابق ، ص ٦٠.

وعن المظاهر المعمارية الإسلامية في الصين، فإضافة إلى المساجد كانت هناك العديد من المؤسسات الاجتماعية والتعليمية المرفقة بتلك المساجد أو المنفصلة عنها ، مثل المدارس ودور رعاية الفقراء والمحتاجين والمقابر الإسلامية والمنشآت الوقفية ، وهذه المؤسسات - على رأي أحد الباحثين - يتم معرفتها بسهولة عن طريق أشكالها الخارجية ذات الطرز الإسلامية أو من خلال ما حوته من كتابات عربية أو زخارف إسلامية، من هذا المسجد شبابيك ذات شعرية تحمل زخارف من الكتابات العربية وفي داخله رواق مكون من واحد وعشرين عقداً فوق عشرين عموداً مكتوباً آيات قرآنية وتعابير مديح للنبي بالخط العربي النابض بالقوة ، وخصوصاً الخط الكوفي ، والزخارف البديعة من أزهار الساعة تعلوها مذهبة أو مبيضة على أرضية حمراء . كما أن سقف القاعة منقوش بعبارات التسبيح

وأسماء الله عز وجل ، فتبدو مشرقة مهيبة. ومسجد هواجيويه في شيآن تتوزع مختلف أقسامه بما فيها قاعة الصلاة والجوسق وقوس البوابة في تناسق تام ، ويجمع بين تقاليد العمارة الصينية وفن العمارة الإسلامية وفي منظر رائع من التوافق والانسجام^(١) .

وأما في سينكيانغ فإن جامع عيدكاه في كاشغر وبرج سوقونغ في تروبان يتميزان كذلك بالأسلوب العربي الإسلامي .

(١) قوة ينغ دة ، مرجع سابق، ص ٦٠ .

الفصل الخامس

أثر النشاط التجاري

للمسلمين

على المظاهر الإدارية والإقتصادية
والإجتماعية

أولاً : المظاهر الإدارية والإقتصادية .

ثانياً : المظاهر الإجتماعية .

والاقتصادية

أولاً : أثر النشاط التجاري على المظاهر الإدارية

شارك المسلمون بفاعلية وتأثير في إدارة شئون البلاد والإشراف على عدد من المؤسسات فيها ، وقد أشرت في مواضع سابقة إلى مثل هذه المشاركات ^(١) . أما في الشأن الإداري فإنه لا يخلو عصر من عصور التاريخ الصيني بدءاً من عصر أسرة تهانج من مشاركة شخصيات إسلامية في إدارة منشأة أو مؤسسة صينية أو تولي منصب من مناصب الدولة المهمة والثانوية .

وطبيعي أن تتولى شخصيات إسلامية إدارة المؤسسات الإسلامية والإشراف عليها ، واللافت للإنتباه استخدام أسماء المناصب والوظائف التي عرفتها الإدارة الإسلامية ، وخصوصاً المناصب والوظائف الدينية ، فيرد في المصادر الصينية استخدام مصطلحات : (الإمام) ، و (شيخ الإسلام) ، و (القاضي) ، و (المحكمة) ، و (المتولي) ، أما في الشئون غير الدينية ، فقد دأبت المصادر الصينية على ذكر مساهمات المسلمين في الكثير من الأنشطة الحكومية ، بل إن ثقة العديد من أباطرة الصين في خبرات المسلمين ومؤهلاتهم التنظيمية والقيادية ودفعتهم في مناسبات عديدة إلى الاستعانة بشخصيات إسلامية وتكليفها بمهام ومسئوليات مهمة، بل جسيمة في بعض الأحيان ^(٢) .

وفي زمن مبكر أوردت المصادر الصينية اسم شخصية إسلامية أطلقت عليها اسم (أبو سعيد) ،

(١) أشرت إلى ذلك في حديثي عن استفادة الصين من تراث المسلمين في الفصل الثالث والفصل الرابع .

(٢) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين ، مرجع سابق، ص ١٦٠ ، ص ١٦١ .

وقد وصل أبو سعيد هذا في سفارة تجارية سنة ١٠٥٥م / ٤٤٧هـ ونال فيما بعد منزلة عالية عند الإمبراطور الصيني فجعله مديراً لإدارة التوظيف والخدمة في مدينة (وو - نينج) (نانشانج - nanchang) الحالية .

كذلك تذكر المصادر الصينية تاجراً مسلماً اسمه (سعادت نور) بلغ مكانة عالية في مدينة كانتون التجارية ، وتذكر أنه بعد أن كان قاضياً لمسلمي كانتون أصبح في سنة ١٠٦٨م / ٤٦١هـ مأموراً في إدارة مراقبة الأجانب . ومما ذكرته المصادر عن هذه الشخصية المسلمة أنه اقترح على حاكم المدينة أن يقوم بتنظيمها وتحسين أوضاعها على نفقته الخاصة ، كما أنه عرض عليه ترميم أسوار المدينة ، ولكن الحاكم رفض هذه العروض دون سبب واضح (١) .

وشخصية إسلامية ثالثة تذكرها المصادر وتطلق عليها اسم عبد الله ، وقد حظى باحترام بالغ من الإمبراطور الصيني فمنحه لقباً رفيعاً نظير جهوده في تنمية وتطوير العلاقات التجارية بين المسلمين والصينيين ومشاركاته الإنسانية والإصلاحية والتنظيمية (٢) .

أما في عصر يوان المغولية ، وهو العصر الذي بلغ فيه المسلمون مكانة كبيرة ونفوذاً واسعاً على المستويين الرسمي والشعبي ، فقد كانت مشاركتهم فاعلة وذات تأثير عميق في إدارة شؤون البلاد أظهروا خلالها كفاءة ومقدرة في الإدارة والتنظيم وتحمل المسؤولية ، وبراعة في السياسة والقيادة أهلتهم لأن يرتقوا إلى أعلى الإمبراطوري ، ثم عين حاكماً على مدينة خان بالق العاصمة الصينية ثم حاكماً على ولاية سيشوان ، ثم على ولاية يوتان ، وقد أظهر براعة وكفاءة ومقدرة في مناصبه التي تولاها ، وكان مثلاً للحاكم المسلم والإداري الناجح والمصلح الحكيم ، وقدوة للمسلمين في أمانتهم وإخلاصهم وتفانيهم ، وتحقق للإسلام والمسلمين نتيجة أعمالهم وجهوده مكانة عالية ونفوذ ،

(١) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين ، مرجع سابق، ص ١٩٨ .

(٢) جعفر كراد أحمد ، مرجع سابق، ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

واسع وانتشار لم يتحقق من قبل ، وبعد وفاته بقي ذكره في أبنائه الخمسة الذين تولوا مناصب مهمة ورفيعة في الإدارة الصينية ، ثم أحفاده التسعة عشر الذين شاركوا في الإدارة الصينية في عهد أسرة سونج ، وكانت لهم مكانتهم المرموقة ومشاركتهم الواسعة في إدارة الإمبراطورية وخدمة المجتمع الصيني (١) .

وفي عصر أسرة منج التي قامت على أنقاض أسرة يوان المغولية كان لكثير من الشخصيات الإسلامية مشاركات مهمة وفاعلة في الإدارة الصينية ، بل كان لبعض تلك الشخصيات تأثيراً بالغ الأهمية في تاريخ الصين ومستقبلها ، وأبرز هؤلاء شخصيان مسلمتان ، أحدهما قام بجهود كبيرة في تأسيس إمبراطورية منج والقضاء على خصومها المحليين وتوطيد أركانها داخليا، والآخر ساعد في تدعيم نفوذ الإمبراطورية وشهرتها خارجياً . أما الأول فهو القائد العسكري المسلم (يوي - تشون ، uoy - shen (١٣٣٠ - ١٣٦٩ م / ٧٣٠-٧٧١هـ)، والآخر هو البحار المسلم (الحاج جهان - جنهو) الملقب بـ(سان - باو - تاي - جيان ، sen - bao - tai - jin (١٣٧١-١٤٣٥ م / ٧٧٣-٨٣٩هـ) ، وهو قائد الأساطيل الصينية (٢) .

لقد استمر اعتماد الحكومة الصينية على الخبرات الإسلامية حتى زمن متأخر ، إذ تحدثنا المصادر الصينية عن عدد من السفراء المسلمين الصينيين الذين أرسلهم بعض أباطرة الصين في مهام سياسية وتجارية إلى عدد من الممالك والإمارات الإسلامية ، ومن هؤلاء السفير (مايون) الذي أرسله الإمبراطور الصيني (جنج تشونج ، jenj - chong (١٤٥٧ - ١٤٦٤ م / ٨٦١-٨٦٩هـ) سنة ١٤٥٧ م / ٨٦١هـ إلى ديار العرب ، وهو مصطلح يقصد به الدول الإسلامية (٣) .

(١) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص ٢٨٨ - ٣٠٠، تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر، مرجع سابق، ص ٢٧، ص ٣٠، محمود يوسف لي هواين، الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين، بكين، دار النشر باللغات الأجنبية، ١٩٩٣م، ص ١، ٩، السعيد رزق حجاج، مرجع سابق، ص ٥٠، ص ٥٣ .

(٢) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين، مرجع سابق، ص ٣٥، ٣٩، تاريخ المسلمين في الصين، مرجع سابق، ص ٢٩، ص ٣٧، ص ٣٨ .

(٣) المصدر نفسه، ص ص ٢٣٠-٢٣١ .

وليعلم القارئ الكريم أن ما ذكر ليس سوى أمثلة لتلك الجهود العظيمة التي ساهم بها المسلمون في مؤسسات الدولة الصينية وأنشطتها المختلفة ، وهناك شخصيات مسلمة لا يمكن حصرها شاركت بفاعلية ونجاح في مهام ومسئوليات حكومية ، ويضاف إلى هؤلاء وأولئك شخصيات مسلمة أخرى قدمت للحضارة الصينية والمجتمع الصيني جهوداً علمية متنوعة لا تُقدّر بثمن .

ثانياً : أثر النشاط التجاري على المظاهر الإقتصادية

كان النشاط الإقتصادي بين المسلمين والصينيين ميداناً مهماً لتبادل المؤثرات الحضارية بينهما ، ولا تسعفنا المصادر التاريخية بمعلومات تكشف عن دقائق تلك المؤثرات ، نظراً إلى طبيعتها العملية من خلال التبادلات التجارية ، إذ لم تلفت انتباه غير المتعاملين من جهة ، ومن جهة أخرى لم تُرصد من قبل المؤرخين إلا في أحوال قليلة وظروف معينة . لقد أوردت المصادر التاريخية ، وخصوصاً الصينية ، نماذج لذلك التأثير ركزت في الاستفادة من خبرات المسلمين في مجال التنظيم والإدارة ذات الصلة بالأمور التجارية والمالية ، ومن ذلك إصلاح نظام الضرائب وتحصيل الإيرادات الجمركية المفروضة على التجار الأجانب ، ولهذا الغرض أنشأت إدارة جديدة سميت (سي - بو - شي ، cei - ue - chi) ، وتعني إدارة المراقبة على الملاحة التجارية البحرية ، وتشرف هذه الإدارة على الإيرادات المحصلة من الواردات التجارية (الرسوم) التي كان التجار عبر الصينيين يدفعونها إلى خزينة الدولة عند دخولهم مراكزها التجارية ، وقد جعل المركز الرئيسي لهذه الإدارة في مدينة كانتون أهم موانئ الصين ومراكزها في التجارة الخارجية ، وأنشئ لها فروع في كل المراكز التجارية الصينية الأخرى التي يفد إليها التجار من خارج الصين . وتأكيداً على التأثير الإسلامي الذي أدى إلى استحداث هذه الإدارة أسندت رئاستها والإشراف على تنظيمها وأداء وظيفتها إلى أحد المسلمين ممن له خبرة في التنظيم المالي والتبادل التجاري وله علاقة واسعة بالتجار المسلمين - وهم الأكثر - الذين يفدون إلى المراكز التجارية، وكان من بعض مهام هذه الإدارة الرقابة على التجارة الخارجية والتفتيش على السفن القادمة وجباية الرسوم على ما تحمله من سلع. (١)

(١) بدر الدين الصيني، تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر، مرجع سابق ، ص ص ٢٤ - ٢٥ ،

وكانت النتيجة أن زادت الإيرادات الجمركية المحصلة من السلع والمتاجر لصالح خزينة الدولة ، كما ازداد تنظيم عمليات البيع والشراء والمبادلات التجارية . وأوردت المصادر الصينية اسم أحد التجار المسلمين ، ولعله كان عربياً ، يدعى (أبو شوق) أو (أبو السوقين)(بو - شو - جنج - sho - pao ging)^(١) ، وقد تولى هذا التاجر رئاسة هذه الإدارة وأشرف على التجارة الخارجية للصين في ميناء كانتون مدة ثلاثين سنة ، وكان قبل توليه هذه المسؤولية يشترك مع أخ له في تأمين حماية سواحل ولاية فوكين الصينية التي تعرضت كثيراً لهجمات لصوص البحر الذين هددوا سلامة التجارة الخارجية في الموانئ الجنوبية للصين كما هددوا التجار وأموالهم^(٢) .

ومثل (أبو شوق) تورد المصادر الصينية اسم شخصية مسلمة سبق ذكرها ، وهو (سعد الله) (تيان- شي) الذي عين في سنة ١٣٢٨م/٧٢٨هـ مسئولاً عن الشؤون المدنية في منطقة تشنجيا نج (جيانجسو الحالية) ، وقد قام بجهود مهمة في إنعاش اقتصاد المنطقة وتطويره ، وتنشيط التجارة في أسواقها ، وتنظيم معاملاتها^(٣) . وغير (أبو شوق) وسعد الله الكثير من المسلمين ممن أسندت إليهم وظائف ومسئوليات تتعلق بشؤون التجارة أو مهام إشرافية أو تنظيمية ذات صلة بالأوضاع الاقتصادية^(٤) .

(١) بدر الدين الصيني ، تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

(٢) بدر الدين الصيني ، العلاقات بين العرب والصين ، مرجع سابق ، ص ١٦٦ ، تاريخ المسلمين في الصين في

الماضي والحاضر ، مرجع سابق ، ص ٢٣-٢٤ .

(٣) محمود يوسف لي هواين ، مرجع سابق ، ص ١٨ .

(٤) جعفر كرار أحمد ، مرجع سابق ، ص ١٥٥ .

ومن التأثيرات الإسلامية في الشأن التجاري استخدام الصينيين النقود الفضية لأول مرة بعد تعاملهم مع المسلمين ، وكان الصينيون يستخدمون فقط نقوداً ذهبية ونحاسية ، بينما استخدمت الفضة للزينة ، وقد أصدر الصينيون لأول مرة عملات رسمية من معدن الفضة في عهد أسرة جهانج نتيجة تأثير التجار المسلمين الذين استخدموا النقود الإسلامية (الدنانير الذهبية ، والدراهم الفضية) في تعاملاتهم المالية مع الصينيين (١) .

لقد دل العثور على مجموعات من النقود الإسلامية بأنواعها المختلفة في الصين على هذا التداول ، ومن ذلك عثور مزارعين صينيين في إبريل سنة ١٩٦٤م / ١٣٨٣هـ على دنانير ذهبية إسلامية في الشمال الغربي من الصين في مقبرة لأسرة جهانج على حدود سيان عاصمة ولاية سانشي ، وقد ضربت هذه العملات سنة ٧٠٢م / ٨٣هـ في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، وهي أقدم نقود إسلامية عثر عليها في الصين حتى الآن (٢) .

وضمن المؤثرات الاقتصادية التي استفاد منها الصينيون ما يتصل بالصناعة والحرف ، وهي وإن كانت غير واضحة في الفترة المبكرة من الصلات بين الصينيين والمسلمين إلا أنها كانت ذات تأثير ملاحظ في عصري أسرتي يوان المغولية ومنج ، وقد سبقت الإشارة إلى أن أباطرة المغول استقدموا إلى أرض الصين الكثير من الصناع والحرفيين المسلمين الذين نقلوا معهم خبراتهم في العديد من الصناعات التي اشتهرت بها مراكز الحضارة الإسلامية وكانوا ذوي تأثير مهم في ازدهار النشاط الصناعي وتطوير صناعات لم تعرفها الصين من قبل (٣) .

(١) مونج كيونج كون ، مرجع سابق، ص ص ٢٥١-٢٥٢ .

(٢) انظر مجلة ، المنهل السعودية العدد الخامس ، جمادى الأولى سنة ١٣٨٦هـ .

(٣) دانج هو ، مرجع سابق، ص ٤٦ .

ومن أهم هذه الصناعات صناعة الأسلحة، وأهمها صناعات المنجنيق والبارود أو المدفع الناري^(١) وكان التأثير الإسلامي قوياً في قدرات الجيش الصيني وتطوير أسلحته^(٢) ، ومن ذلك استحداث فرقة خاصة بالمدفعية لأول مرة في الجيش الصيني مجموع جنودها عشرة آلاف من المدفعيين ، وقد تولى الإشراف عليها قائد مسلم هو(داروغه خواجه) وعاونه عدد من المسلمين المتخصصين في السلاح . واهتماما من الدولة بهذا النوع من السلاح استحدثت إدارة خاصة بصناعة المدفعية والاستفادة من خبرات الفنيين والصناع المسلمين في صناعة آلات الرماية وقذائفها^(٣) ، وأهمها المدفع الناري الذي سماه الصينيون (hui – hui – bhoo ، مدفع المسلمين)، وأول من استخدمه في الصين هم المغول سنة ١٢٣٢م / ٦٣١هـ في حملتهم على العاصمة الصينية (تشانج آن)(كائي فانج الحالية) . أما المنجنيق فأول استخدام له في الصين كان على يد المغول في حملتهم على مدينة (سي – يانج – فو) عندما استعصب السيطرة عليها لشدة مناعتها ، فطلبوا صناعات المنجنيقات المسلمين من بلاد الشام والعراق فصنعوا لهم سبعة منجنيقات مكنتهم من دخول المدينة^(٤) .

وخلافاً للتاريخ السابق يذكر أحد الباحثين الصينيين^(٥) أن الإمبراطور الصيني (المغولي) استدعى في سنة ١٢٧٢م / ٦٧١هـ عدداً من المختصين المسلمين في صناعة آلات الرماية،

(١) غوستاف لوبون، حضارة العرب ، القاهرة ،ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٩م، ص ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .

(٢) انظر، بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين، مرجع سابق ص ٢٤٨ ، ص ٢٥٢ .

(٣) بدر الدين الصيني ،تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر، مرجع سابق ، ص ٣٢ .

(٤) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين، مرجع سابق، ص ١٤٧ ، ص ٢٥١ .

(٥) على لي تشين ، مرجع سابق ، ص ص ١٦٢ - ١٦٣ .

أحدهم كان من أهل الموصل ، واسمه علاء الدين ، وكان معه تلميذ له اسمه إسماعيل . ويذكر هذا الباحث أن علاء الدين هو أول من صنع آلات الرماية (المدافع) في الصين، وأنه ترقى في الرتب العسكرية حتى أصبح في سنة ١٢٨٥م / ٦٨٤هـ قائداً عاماً للمدفعية، ثم خلفه على وظيفته ابنه محمد شاه في صناعة أخرى ، وهي الصناعات الصينية الدقيقة ، وكان التأثير الإسلامي المبكر مشاهداً في عدد من النماذج التي تم العثور عليها وتعود إلى أسرتي تانج وسونج (٦١٨-١٢٧٩م)، وقد تميزت هذه النماذج بالكتابات العربية والزخارف الإسلامية على الأوعية الزجاجية البيضاء والزرقاء ، وعلى مثيلاتها العادية . ويرد في عدد من المصادر التاريخية الصينية أمثلة على وجود خزفيات صينية بكتابات عربية ونقوش إسلامية (١) .

استمر التأثير الإسلامي في هذا النوع من الصناعات اليدوية حتى زمن متأخر شمل عصري أسرتي يوان ومنج بخاصة ، وهناك الكثير من الأواني البرونزية والخزفية والنحاسية التي يظهر عليها بكل وضوح الكتابات العربية والزخارف الإسلامية تعود إلى هذين العصرين ، وكثير من تلك الأواني جمعت عند صناعتها مع اختلاف أنواعها بين الفنين الإسلامي والصيني ، حتى إن نوعاً من التربة استخدم في صناعة الخزفيات البيضاء تم استيراده من بلاد العرب ، وسماه الصينيون (هوي تشينج، hui -cheing) ، ولم تحدد المصادر التي ذكرت ذلك أي الأقاليم الإسلامية ينتج هذا النوع من التربة ، وقد نقل هذا النوع من التربة إلى الصين ليحل محل التربة الحمراء المستخدمة في صناعة الخزفيات لنقصها وعدم توفرها بكميات كافية (٢) .

(١) إبراهيم فنج جين يوان، مرجع سابق، ص ص ١٨٣-١٨٤ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٤ .

لم يكن التأثير الإسلامي في عصر أسرة منج أقوى منه في عصر أسرة يوان ، ومع ذلك تمكن هذا التأثير من إثبات وجوده في ظهور فن إسلامي صيني انتقلت مؤثراته من بلاد ما وراء النهر وإيران بخاصة ، وقد امتاز هذا الفن بأسلوبه الذي اعتمد على النقوش والزخرفة والحروف العربية وبألوانه التي ميزها اللون الأزرق وهو اللون السائد في الصناعات الإسلامية للخزفيات التي ظهرت في الصين في هذه الفترة^(١) . لقد اشتهر في تاريخ الصين كثير من المسلمين ممن أبدعوا في هذا الفن الإسلامي الصيني وكانت لهم مكانة مرموقة وأثر واضح في فن الزخرفة والرسم والتصوير والخطوط ، وداخلوا بين هذه الفنون بشكل رائع وجميل كان له أثره في تطور هذا الفن وإقبال الصينيين عليه بشكل لافت^(٢) . ومع قناعاتي بوضوح هذا التأثير إلا أن أحد الباحثين الصينيين^(٣) يرى أن تلك النماذج والمعلومات عن التأثير الإسلامي في صناعة الصين وفنونها لا تشفى غليلاً ، وذلك بسبب ندرة البحوث والدراسات في هذا الموضوع ، وقلة المصادر والمراجع التي تحدثت عنه ، وأيضاً قلة المعلومات المدونة في التراث الصيني حول هذه التأثيرات ، وكذلك افتقار التراث الإسلامي في الصين سواء ما كتب منه باللغة العربية أو الصينية أو غيرهما إلى تلك المعلومات ، بل إن الكتاب والمؤلفين المسلمين في الصين أهملوا هذا الجانب إهمالاً شبه مقصود ، ولم يلق منهم العناية والاهتمام المطلوبين . وما يتصل بالشأن الزراعي فقد حرص الصينيون على استيراد العديد من الأعشاب والبذور التي أنتجتها الأقاليم الإسلامية ، ونتيجة ذلك استزرع الصينيون ما أمكنهم استزراعها في أرضهم من تلك المحاصيل، وخصوصاً المستخدمة في الأدوية

(١) بدر الدين الصيني، تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر، مرجع سابق، ص ٤٠ .

(٢) إبراهيم فنج جين يوان، مرجع سابق، ص ١٧٩ ، ص ١٨٣ .

(٣) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين، مرجع سابق، ص ٢٧٧ .

والعقاقير الطبية ومن ذلك زراعتهم الثوم والجوز والسمسم^(١) . ومن التأثيرات الإسلامية التي يمكن إضافتها إلى هذا الجانب ما قام به الحكام المسلمون لعدد من الولايات الصينية من جهود في استصلاح الأراضي الزراعية وإقامة مشروعات الري المختلفة فيها ، ولكن لم توضح المصادر والمراجع التاريخية إذا كانت هذه الجهود قد اعتمدت على الخبرات الإسلامية في تنفيذ تلك المشروعات الزراعية أم لا، وبذلك لا تتبين التأثيرات الإسلامية في هذا الميدان^(٢).

ثالثاً : استفادة الصينيين من خبرات المسلمين الإدارية

تذكر دائرة معارف القرن العشرين^(٣) أن قوبلاي خان عين وزيراً مسلماً في حكومته اسمه أحمد البناكتي ، من ناحية أخرى فإن بعض العرب الذين استقروا في تلك البلاد تلقوا التعليم الصيني واجتازوا الامتحان الرسمي للخدمة بالحكومة وأصبحوا من كبار الموظفين ومنهم شقيقان مسلمان أحدهما بوشو شنغ الذي عين قاضياً ونظم ديواناً من الشعر الكلاسيكي والآخر شوقنغ الذي كان مساعداً لرئيس وزراء قوبلاي خان ، ويذكر عبد الرحمن ناجونج في كتابه عن تاريخ العرب هذين الاسمين بالنطق الصيني ولكنه لم يشر إلى الاسم العربي لكل منهما للأسف ويتضمن سجل طبقة الأعيان الملكي لأسرة يوان أسماء أكثر من مائة شخص من المسلمين بلغوا رتباً رفيعة استحقوا معها أن يضموا إلى السجل، وتشير وثائق الأسرة في سنة واحدة (١٣٣٣م) حصل عشرة من الشبان المسلمين على الشهادة العلمية الملكية العليا ، بعدما اجتازوا امتحانها الشاق وتتناثر في مختلف الكتب والأبحاث التاريخية أسماء مثل عبد الرحمن الذي اختير رئيساً على بيت المال،

(١) مونج كيونج كون، مرجع سابق، ص ٤٨، ص ١٥٥، ص ١٦١ .

(٢) محمود يوسف لي هواين، مرجع سابق، ص ٥ ، ص ٦ ، ص ٦٣ .

(٣) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، المجلد الخامس ص ٦١٧ .

وخول حق تقدير الضرائب المفروضة على الصين، وقطب الدين أو (يوتنغ) الذي كان وزيراً للمملكة في سنة ١٣٠٢م، ويسجل الرحالة البندقي ماركو بولو في مذكراته أنه التقى في الصين عام ١٢٩٦م باثنين من كبار المهندسين المسلمين هما على الدين الموصلّي (نسبة إلى الموصل بالعراق) وإسماعيل الهروي (نسبة إلى هرات في أفغانستان الآن) ويذكر أن الأمير جهاندار (سيانتار بالصينية) دخل إقليم يونان سنة ١٢٨٣م ومعه قائدان مسلمان أحدهما ناصر الدين بن عمر أو (نالسولاتنغ) (١).

ومن العرب المسلمين الذين شاركوا بفاعلية في إدارة البلاد سعد الله الشاعر الشهير ، الذي يطلق عليه الصينيون اسم تيان شي ، أوتشي تشاي ، وقد تقدم في سلك الوظيفة حتى نال - بعد الامتحان - إحدى درجاتها الرفيعة التي تعرف باسم (جنيش) ، مما أتاح له فرصة تولى مناصب الدولة العليا حتى أصبح مسئولاً عن الإسكان والبلديات في مدينة جينكو (تشينجيانغ الآن) وتشير إليه الكتابات الصينية باعتباره الرجل الذي "نظم الأسواق وحدد المقاييس والمكاييل والموازيين" حتى استقامت أمور البيع والشراء وشهدت الأسواق النظام التام " ، وتذكر الكتابات الصينية أنه عندما نزلت كارثة طبيعية سنة ١٣٢٩م طلب سعد الله من والي المدينة نجدة الشعب بكل ما في المستودعات من حبوب ، الأمر الذي أدى إلى إنقاذ ٨٠٠ ألف نسمة من المجاعة . وذات مرة أجبر والي المدينة الذين يسكنون قرب داره على نقل بيوتهم إلى مكان آخر فنهض سعد الله ليساعدهم على استئجار منازل جديدة ، حتى أنه رهن إبريقه الفضي من أجل ذلك فأحرج الوالي أيما حرج وكان خدم الوالي يظلمون الناس اعتماداً على نفوذ سيدهم (٢).

(١) انظر: كتاب د / فيصل السامر ، الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى، ص ١٢٥.

(٢) سعد الله "شاعر من قومية هوى، يحيى لين سونغ، مجلة بناء الصين، عدد مايو ١٩٨٠م.

فتصدى لهم سعد الله وأنزل بهم العقاب حسب القوانين ، غير عابئ بما سيكون عليه أمر الوالي " .

وغير هذا وذلك فإن سعد الله لا يذكر باعتباره موظفاً ممتازاً فقط، ولكن يذكر أيضاً باعتباره شاعراً بارزاً ، خلف سبعة دواوين ، كلها تعبر عن آلام الناس وحياتهم البسيطة وتطلعاتهم نحو غد أفضل وأكثر إشراقاً وإلى جانب هذه الكوكبة من الأسماء التي لمعت على سطح الحياة الصينية خلال حكم أسرة يوان ، يذكر أيضاً الشاعر الويغوري يوسف خاش صاحب ديوان الشعر المعروف باسم حالب البركة. وقاوكة تونغ الرسام ،العالم شمس الدين الذي عرف بتعمقه في الأدب والتاريخ والفلسفة والفلك والجغرافيا . والمهندس اختبار الدين الذي قام بتخطيط البلاط الإمبراطوري في "دادو" عاصمة أسرة يوان "بكين اليوم" .

رابعاً : الفنون الصناعية

لقد دخلت الأعمال اليدوية العربية والفارسية الرائعة إلى الصين منذ زمن يعود إلى عهد أسرتي تانغ و سونغ (٦١٨ - ١٢٧٩) وهي جاءت إلى الصين بفضل التجار المسلمين أما الأوعية الزجاجية البيضاء ومثيلاتها العادية المذكورة في تاريخ داشي "من تاريخ سونغ" فهي من الأعمال اليدوية البديعة ، وكذلك حال الزجاجيات المقصبة الوارد ذكرها في كتاب "لينغواي دايد" والتي تعتبر من أعمال "داشي" الفنية أو أعمال هوي هوي الفنية (١) .

وعن تمييز أهل الصين بالصناعات يتحدث ابن بطوطة قائلاً :

"وأهل الصين أعظم الأمم إحكاماً للصناعات ، وأشهرهم إتقاناً منها ، وذلك مشهور من حالهم ، قد وصفه الناس في تصانيفهم فأطنبوا فيه ، وأما التصوير فلا يجاريهم أحد في إحكامه ، من الروم ولا من سواهم . فإن لهم فيه إمتداداً عظيماً ومن عجيب ما شاهدت لهم من ذلك أني ما دخلت قط مدينة من مدنها ثم عدت إليها ، وإلا ورأيت صورتني وصور أصحابي منقوشة في الحيطان والكواغد ، موضوعة في الأسواق " (٢) .

وفي الختام :

لقد انتشرت الثقافة الإسلامية في بلاد الصين انتشاراً عظيماً ، وذلك بفضل التجار المسلمين الذي تاجروا معها ، وكذلك الذين هاجروا واستقروا وأنشئوا مجتمعاتهم الإسلامية بها ، وقد أظهر هؤلاء المسلمون كفاءة عالية في إدارة الأمور وارتقوا إلى المناصب العليا، ولقد ترك ذلك الأثر الأكبر في الشعب الصيني سواء بعلمهم الإداري أو القيادي أو إصلاحاتهم الاجتماعية في الآداب والأخلاق والسلوك . كل ذلك سهل في وصول الثقافة الإسلامية وانتشارها في أنحاء البلاد .

(١) إبراهيم فنج جين يوان ، مرجع سابق، ص ١٩١ . (٢) ابن بطوطة، مرجع سابق ، ص ٤٠٢ .

ثانياً : أثر النشاط التجاري للمسلمين على المظاهر الاجتماعية.

- مكانة التجار في المجتمع الصيني .
- طبقات المجتمع الصيني في العصر الإسلامي .
- تأثير التجار المسلمين في عادات وتقاليد المجتمع الصيني .
- المكانة الاجتماعية للمسلمين في عهد تانغ – سونغ – يوان .

(١) مكانة التجار في المجتمع الصيني :

أولاً : كبار التجار : -

التجارة لا شك هي أهم البواعث التي حملت العرب الأولين على تبادل المنافع مع غيرهم ولو مع أهل الصين. وإذا كان العرب - قبل الإسلام - قد فعلوا ذلك، فخييراً فعلوا.. وبرهنوا على حبهم للحركة والانتقال والتماسهم كل وسيلة للتعرف مع سائر الشعوب . وقديماً .. كان العرب أهل حركة ونشاط ، في البر والبحر على السواء وكان لبعض القبائل العربية قوافل باسمها تجتاز الممالك والأقطار ، صاعدة هابطة، بين السهول والبطاح ، وكان لبعضها الآخر سفنها الشراعية ، تخر عباب الخلجان والبحار والمحيطات يستقلها أهل التجارة ، وعشاق المغامرات من الجغرافيين والمؤرخين والفلاسفة والسفراء والغزاة .

وبلا شك .. كانت طرق القوافل أيسر وأفر من طرق الملاحة، فقد كانت متاجر الصين تأتي عبر المدن الشهيرة مثل سمرقند وبغداد ودمشق وحلب وسائر موانئ البحر الأبيض المتوسط ومنها إلى أوربا .. وتتصل بالهند كذلك عن طريق القوافل لدى مرورها بفارس وكشمير وموانئ الخليج الفارسي وأشهرها (سيراف).. ومنها تلقع المراكب إلى عدن حيث تلتقي السلع الوافدة من الصين والهند بحراً ، آخذة في طريقها إلى السويس والإسكندرية ، وموانئ الشام ومدنها فيأتي أرباب التجارة من جنوه وفلورنسه وبيزا وكتلونه لنقل متاجر الشرق وكنوزه التي كان يبهرها بريق الطرائف الشرقية أياً كان نوعها ومصدرها (١) . على أن أهم تلك الأسواق التجارية ما كان في عدن.. التي طالما تبادلت فيها منتجات الهند والصين مع منتجات الحبشة ومصر، وأرقاء النوبة

(١) محمد محمود زيتون، مرجع سابق، ص ١٣.

فضلاً عن العاج والذهب كل ذلك كان يستبدل به هناك الحرير والخزف وغيرهما من واردات الصين. وكذلك كان التجار ومعظمهم من العرب يجلبون إلى الصين المنسوجات الكشميرية والعطور ومنتجات بلادهم أيضاً من منسوجات صدفية ومرجان وخبول ، مع نفائس أوربا كالأجواخ القرمزية الزاهية

الألوان التي اشتهرت بها البندقية ، ولما كان أهل الصين وعلى رأسهم الملوك والأباطرة يعرفون بشراء الخيول وانتقائها من أجود الفصائل فقد كانت للصين تجارة رابحة فيها مع البلاد المجاورة لها من جهة الغرب مثل سمرقند و بجاى و خيو و العراق ، وهذه البلاد بدورها أصبحت تتصل بالصين للتجارة عن طريق القوافل بصفة دورية منتظمة وقد أسهب بدر الدين الصيني مؤلف كتاب (العلاقات بين العرب والصين) في تحديد معالم طرق تلك القوافل ، قبل الميلاد بقرن من الزمان (١) .

ولقد احتل التجار مكاناً مرموقاً في المجتمع الإسلامي على مر العصور، لأن التجارة كانت تعد من المهن التي "إذا ميزت من جميع المعاش كلها، وجدتها أفضل وأسعد الناس في الدنيا، والتاجر موسع عليه وله مروءة " على حد تعبير الدمشقي (٢).

ولعله من المفيد ، أن نميز منذ البداية بين فئتين من التجار في المجتمع الإسلامي كبار التجار الذين عاشوا دائماً في المدن الكبرى ، واقتصوا بالتعامل في السلع الثمينة وارتبطوا ارتباطاً وثيقاً بالطبقة الحاكمة ، حيث كانوا يمدونها بما تحتاج إليه من فراش وثير و ثياب أنيقة ، وأدوات زينة وغيرها مما تتطلبه أسباب الحياة المادية التي زاد الطلب عليها منذ خلافة بني أمية بسبب اختلاط العرب بأهالي البلاد المفتوحة من روم و فرس ، لذلك كثيراً ما نرى هذه الفئة من التجار داخل قصور الطبقة الحاكمة ، يعرضون عليها سلعهم، ويلبون طلباتها الخاصة ، أو للمشاركة في شتى المناسبات الرسمية ضمن كبار رجال الدولة من أرباب الوظائف والإشراف وعلية القوم ،

(١) محمد محمود زيتون، مرجع سابق، ص ١٤ .

(٢) الدمشقي "أبو الفضل جعفر بن علي"، الإشارة إلى المحاسن في التجارة، القاهرة، تحقيق البشرى الشوربجي، ١٣١٨هـ، ص ٤٧ .

كما عمد أفراد الطبقة الحاكمة بدورهم إلى تقريب التجار منهم ، واصطفوا بعضهم ندماء وأصحاباً (١) مما جعل لتلك الفئة من كبار التجار كلمة مسموعة لديهم مما يدل على أثر واضح لهؤلاء في المجتمع بما يعود على المسلمين بالنفع وصاروا يتقبلون منهم الهدايا والطرائف الثمينة .

ومن هنا جاء وصف الجاحظ لتجار عصره بأنهم "أروع الناس يداً وأهناهم عيشاً ، وآمنهم سراً ، لأنهم في أفنيتهم كالمملوك على أسرته ، يرغب إليهم أهل الحاجات ، وينزع إليهم ملتمسو البياعات، لا تلحقهم الذلة في مكاسبهم ولا يستعبدهم الفزع لمعاملاتهم" كما فصل القول في أحوال معيشتهم ، وكيف أنهم يتمتعون بوفرة في المال تسلمهم من غوائل الدهر ، وتحقق لهم الدعة وأسباب الترف ، ويفهم من الجاحظ كذلك أن أكثر التجار ثراء على عصره هم التجار البحرينيين ، والبصريين وإن التجار كان متفاوتاً بين أصحاب الصنف الواحد (٢) .

والحق أن جميع الشواهد تشير إلى ما تتمتع به هذه الفئة من كبار التجار من يسر ورخاء نتيجة تعاملهم في السلع الثمينة من أحجار كريمة وأعلاق نفيسة وطرائف ثمينة ورياش غالية ، ورقيق وجواري وغير ذلك ، كما يستشف من قصص ألف وليلة التي لا هم لها سوى الإشارة بثناء التجار (٣) . لذلك ليس بغريب أن نقرأ في أحد المصادر أن بعض التجار شيد له داراً أنفق عليها خمسين ألف دينار وزين قاعاتها وأروقتها بالرخام الثمين ، وزخرفها بشتى أنواع الزخارف والنقوش ، وأن هؤلاء كانوا يتميزون في المجتمع بثيابهم الواسعة وعمائمهم المدورة بالطيالس الطويلة فوق أكتافهم . وباستخدام الدواب ذات السروج المثلثة في تنقلاتهم مما جعل من هؤلاء فئة

(١) الألبا ميخائيل ، سير البيعة المقدسة ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤٣٤ ج ، ورقة ٤١ .

(٢) الدمشقي ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .

(٣) سهير القلموي ، مرجع سابق ، ص ٨٠ ، ص ١١١ .

أو طبقة ذات شأن في الدولة ، وفئة متميزة من التجار يستطيعون بهذا التميز التأثير في المجتمع في الكتب الصينية تكشف لنا صورة حقيقية عن الثروة التي اكتسبها التجار العرب في أسواق الصين في القرن العاشر والقرن الذي بعده ، فكانت هذه السفارة ليست من خليفة بغداد بل من تاجر عربي عظيم "بكانتون" وله مراكب تجارية تجري في البحار وقد استوطن فيها زمناً طويلاً ، وأما اسمه فقد عرف في

اللغة الصينية حتى كدنا لا نعرف أصله . وإذ قد كتب فيها هكذا إلى "بوهيم" وأعتقد أنه محرف من "إبراهيم"، وأغلب الظن إن إبراهيم هذا هو إبراهيم ابن إسحاق تاجر كبير معروف في أواخر القرن العاشر الميلادي ولقد ذكر عنه ياقوت في معجم البلدان ما يأتي "وأما إبراهيم بن إسحاق الصيني فهو كوفي كان يتجر إلى الصين فنسب إليها" (١) . ولطول إقامته بالصين قد تعلم اللغة الصينية وأجاد الكتابة بها كأحد فضلائها الكبار . ومن رسالة رفعها إلى إمبراطور الصين تسمى في عرف الأدباء الصينيين رسالة التقدمة إلى الإمبراطور "Address to the throne" نفهم أنه قد أحاط بدقائق اللغة والأسلوب الذي كان منتشراً في البلاد حينذاك وكانت قدرته في الفهم والكتابة لا تقل عن أي فاضل من فضلاء الأدب الصيني في ذلك العصر وأنت لا تستطيع أن تقدر فضله الحقيقي في هذا الباب، إلا إذا عرفت أسلوب الأدب الصيني القديم والذوق الأدبي الذي هو مقياس لتقدير كل قطعة أدبية ذات مغاز ومعان كما أننا لا نستطيع أن نقدر كتب الجاحظ وأسلوبه الأدبي الغالي إلا بعد مدة طويلة قضيناها في المطالعة وكسب ذوق صحيح في الأدب العربي وإلا فنكون من المخطئين في تحكيم كاتب فيما يتعلق بمنزلته وأسلوبه في الأدب بسبب الجهل لما حوله وما يتعلق بعصره (٢) . مما يدل دلالة واضحة على أن التجار العرب لم يؤثروا في النشاط التجاري فقط بل وأثروا في المجتمع الصيني بأدبهم وعلمهم وأجادوا فهم لغاتهم معاملتهم.

(١) الحموي، مرجع سابق، ج ٥، ص ٤٠٨ .

(٢) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين، مرجع سابق، ص ١٩٢ .

وأما منزلة إبراهيم بن إسحاق في ميدان الأدب الصيني في القرن العاشر الميلادي فكما رأينا في رسالة التقدمة وقد تكون مماثلة لتلك التي نالها محمود بن الحسن بن محمد الكاشغري المتوفى في سنة ٤٦٦هـ، ١٠٧٤م في الأدب العربي، وكان هذا العالم الصيني التركستاني قد تمكن من تقليد الجاحظ في الكتابة العربية وذلك ظاهراً جداً في مقدمته التي كتبها في ديوان لغات الترك، وهو كتاب عربي يبحث في لهجات الترك المنتشرة من حدود الصين إلى الأناضول . لم يذهب إبراهيم بن إسحاق نفسه

إلى العاصمة في سنة ٩٩٤م لأن المرض قد منعه عن التحرك بعد وصوله إلى مدينة كانتون . فبعث صديقاً من أصدقائه ، معروفاً في تاريخ الصين باسم "لياو" نائباً عنه إلى قصر الإمبراطور ، فوكله في رفع " رسالة التقدمة " والهدايا إلى إمبراطور الصين وقد نقلنا هنا صورة من هذه الرسالة ، ولعل بعض القراء يفهمونها في اللغة الأصلية فيطربون بالنكات الأدبية التي تعجز عن نقلها إلى اللغة المنقولة إليها . وهنا ترجمة وضعناها بعد فقد كثير من بدائعها الأصلية ومحاسنها الأدبية (١) .

ترجمة رسالة التقدمة إلى إمبراطور الصين من ريان العرب "إبراهيم "

" إن الكواكب لا تحيط إلا بالقمر ، والأنهار لا تسيل إلا إلى البحر ، كحكمة الرحمة التي تجلب قلب غريب إلى الطاعة ، أو كسياسة اللين التي تجذب أدق بعيد إلى السمع والطاعة وذلك لأن أوصاف صاحب الجلالة على قوانين السموات والأرض منطبقة وسياسته كالكواكب السبع في مسالكها دائرة، وعواطفه على أهل البلاد كالأنهار جارية وإحساناته إلى الأمم بالجهات الأربع كأقطار الرحمة بالغة فيمدحه أقوام غير متمدين وأتوا إليه بنوادير التحف وافدين . كنا في بلاد نائية ، فيها عادات مختلفة ، فطرق أذاننا حيث ركن الدولة الزاهرة فتحررت القلوب الواجفة إلى رؤية الشمس والآمال إلى وجه السماء. كتاباً وطائناً فجاء أمر من رئيس الجالية الأجنبية بكانتون يطلب حضورنا إلى العاصمة

(١) بدر الدين الصيني، مرجع سابق ، ص ٩٢ .

، تمجيد المحاسن صاحب الجلالة وإجلالاً لفيضان العواطف الملكية على الأجانب بمرسوم سام من ذات جلالتة العالية، إلى صاحب كانتون ترخيصاً بفتح أبواب الموانئ للمتاجر من البلاد القاصية. (١)

فركبنا البحر ورافقنا بعض الخدام بنية حضور القصر ذي الفنين ، تيمناً برؤية موطن الإمبراطور وتبركاً بإرشاداته الحكيمة وتبريداً للقلوب الظامئة .

وصلت الآن إلى مدينة كانتون غير أنني لا أستطيع مواصلة السفر إلى الباب العالي بسبب الضعف والشيخوخة ، والمرض الذي منعي عن المشي والحركة فالأمني في قصد العاصمة العامرة ، وهذه حالتني تنير ، الأعين باكية والقلوب ثاكلة .

ومن الاتفاق أن يحضر "لياف" العاصمة وافداً ، فوكلته في تقديم هدية حقيرة إلى السيدة الإمبراطورية مشتملة على قطعات من برنيان وأدوية وغيرها من حاصلات بلادنا ، فأرجو التفضل بالقبول :

١- العاج خمسون عدداً

٢- الكندر ألف وثمانمائة رطل (صيني) (٢)

٣- البرنيان الأحمر قطعة واحدة

٤- البرنيان الملون أربع قطعات

٥- قماش الحوت قطعتان

٦- التوتيا قارورة واحدة

٧- أعجوبة غريبة قطعة واحدة

٨- ماء الورد مائة قارورة

(١) بدر الدين الصيني ، مرجع سابق ، ص ٩٢ .

(٢) الرطل الصيني أكبر من الرطل العربي بربع رطل عربي ، المصدر نفسه، ص ١٩٤ .

فأنت ترى في هذه المقدمة بعض التعبيرات الأدبية الصينية الخاصة واستعاراتها ، فمثلاً إحاطة الكواكب بالقمر لا يراد بها الكمال في الجمال كما هو شأن الأدب العربي بل يراد بها التعظيم للذات المركزية ورجوع الأجسام الصغيرة إلى الوحدة الكبيرة في خصوصياتها وطبائعها كسيل الأنهار إلى البحر ثم موافقة أوصاف الإمبراطور قوانين السموات والأرض وسياسته التي لا تخرج عن الطريقة المقررة كدوران السموات السبع في مسالكها الخاصة وميل القلوب إلى رؤية الشمس والآمال إلى وجه السماء

،كلها تعبيرات خاصة بالأدب الصيني القديم خصوصاً في رسائل التقدمة من وضع إلى رفيع أو وزيد إلى ملك ،وقد حاولت أن أنقل المعاني الأدبية إلى اللغة المترجمة بها حسب الطاقة فلم أفجح إلا في نصفها . وأما النصف الآخر فيحتاج إلى قلم بليغ يسيطر على دقائق اللغتين العربية والصينية ويستطيع إبراز خصائصهما . فنفضل الإمبراطور وأنعم على إبراهيم بن إسحاق برسالة سنية يشكر له فيها هداياه شاهداً على القبول كما أنعم عليه بخلعة الشرف وصناعات فضية في مقابلة هداياه.

ثانياً: صغار التجار:

ونقصد الباعة الذين كانوا أكثر ارتباطاً بعامة الناس من حيوبيين ، ودقائين ، وخبازين ، وقصابين ، ورواسين ، وشوائين ، وقلائي السمك ، وعطارين ، وسمانين ، ويزازين،أبارين ،ووراقين وغيرهم ^(١) من بقالين لابتياح الحوائج اليومية . وكانوا أقل تأثيراً في المجتمع وذلك بسبب ما هم فيه من معاناة فرض المكوس عليهم ومصادرة أموالهم أثناء الأزمات . بل وجد من الباعة من اتجر في الكلاب والسنانير ولا عجب في هذا فقد كان لكل شيء ثمنه في سوق التجارة حتى الفضلات والنفايات كانت لها أيضاً قيمتها بدليل تعريف ابن خلدون للتجارة بأنها " اشتراء الرخيص وبيع الغالي " ،

(١) ابن خلدون، مرجع سابق، ص ٣٩٤.

وقوله أيضاً أن التجارة " في غالب أحوالهم إنما ينالون البيع والشراء ولا بد فيه من المكايسة والمماحكة والغش و الخلابة وتعاهد الأيمان الكاذبة على الأثمان " رداً وقبولاً ^(١) .
والواقع أن كثرة الأموال في أيدي التجار قد جعلهم دائماً مطمع الولاة والحكام الذين غالوا في فرض المكوس عليهم ، وعمدوا إلى مصادرة أموالهم أثناء بعض الأزمات الاقتصادية كما حدث إبان العصر المملوكي حتى دعا بعض التجار " على أنفسهم أن يغرقهم الله حتى يستريحوا مما هم فيه من الغرامات والخسائر وتحكم الظلمة فيهم" لذلك كان للتجار نصيب أو وكيل يرعى مصالحهم ويشرف على أمورهم ، ويتفاوض نيابة عنهم مع الحكام عند الضرورة .

بقي أن نشير في النهاية إلى أنه رغم ما حققته طبقة التجار من جاه و ثراء ، إلا أنها ظلت أيضاً من ناحية وضعها الاجتماعي أقرب إلى طبقة العامة ، منهم إلى أفراد الطبقة الحاكمة ، بل لم ترقى أيضاً إلى طبقة الفقهاء والعلماء ، إذ يفهم من بعض كتابات الجاحظ أن مهنة التجارة كانت في وقت من الأوقات مستهجنة من بعض فئات المجتمع الإسلامي^(٢) ربما لأن وفرة الأموال في أيدي بعض التجار جعلهم يتحللون أحياناً من آداب المجتمع الإسلامي وتقاليده ، ويأتون من الأفعال ما يتنافى مع مكارم الأخلاق إلى أن تمكنت منهم آداب الإسلام وتعاليمه وبذلوا جهودهم وحسنت العلاقات بينهم وبين بني وطنهم .

(٢) طبقات المجتمع الصيني في العصر الإسلامي :

- حاكم الصين ومعاونوه من المسلمين

لقد كان هناك عرب - كما تقدم - استوطنوا في عهد أسرة تانج ، وكانوا يتزوجون بنساء

صينيات من جيل إلى جيل .

(١) آدم ميتز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، القاهرة ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده ، جزآن ، ١٩٤٨ م ، ص ٣٧٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٧١ .

وتطورت هذه الحالة تطوراً سريعاً في عهد أسرة يوان ، فقد اتسعت رقعة الإمبراطورية المغولية غرباً في أول الأمر ثم جنوباً . وبعد أن استولى المغول على آسيا الوسطى وغرب آسيا أرغموا عدداً من الشباب على الانضمام إلى الجيش والاشتراك معهم في مهاجمة سونج الجنوبية وكان هؤلاء الذين قدموا من المنطقة الغربية يدعون "هوي هوي" في عهد أسرة يوان ، وكانوا آسيويين وفارسيين وكان من بينهم عدد من العرب ، وبعد قيام أسرة يوان ، لم تتم إعادتهم إلى مواطنهم الأصلية ولكنهم استقروا حيث طاب لهم المقام واشتغلوا في الزراعة . وطبيعي أنهم حينما أرغموا على الانضمام للجيش جاءوا بدون عائلاتهم . ولذلك فإنهم بعد أن استقروا تزوجوا من نساء صينيات ، لقد كان هناك بعض الرجال المتعلمين الذين

ينتسبون إلى الطبقات العليا بين هؤلاء الذين وفدوا إلى الصين أثناء فترة حكم أسرة يوان ، وقد سلموا أنفسهم إلى الجيش المغولي وقدموا إلى الصين مع عائلاتهم وكان هناك بعض التجار الذين جاءوا إلى الصين واستقروا فيها عن طواعية^(١).

- وقد قام حاكم أسرة يوان بتقسيم الشعب إلى أربع طبقات حسب نظام غزوتهم .

تتألف الطبقة الأولى من المغول والثانية من سي - مورين (الناس المنتمين إلى بلدان مختلفة ، والثالثة هي طبقة الهان دين (هم سكان المنطقة الواقعة شمال نهر اليانجتسى) والرابعة من نان دين (السكان المقيمين جنوب نهر اليانجتسى) ولما كانت مراكزهم الاجتماعية مختلفة كانوا يعاملون على هذا الأساس من الناحية السياسية .

وكان الناس الذين ينتمون إلى طبقة (سي - مورين) يولون عادة بعض المناصب الهامة، وقد ورد في

الكتب التاريخية أن ٣٢ من الأشخاص المنتمين إلى طبقة (سي مورين) عينوا في مناصب

(١) ذا نج هو، مرجع سابق، ص ٤٧.

بارزة في الحكومة المركزية . أما هؤلاء الذين عينوا قواداً عامين في الحكومة المحلية فقد زاد عددهم عن ذلك^(١).

والحقيقة أن عهد أسرتي سونغ و يوان (٦٩٠-١٣٦٨) يعتبر بحق هو الفترة الذهبية للإسلام والمسلمين في الصين ، فقد حظي الإسلام والمسلمون برعاية حكام الصين وتمتعوا بكامل حقوقهم ، وكان هذا دافعاً إلى تطور الحياة الاجتماعية للمسلمين الصينيين ، وظهر شخصيات إسلامية بارزة كان لها دور كبير في تاريخ الصين^(٢) .

وخلال عهد أسرتي سونغ و يوان، تنوع الوضع الطبقي للمسلمين في الصين فكان منهم الوزراء ، والعلماء ، وكبار الموظفين والأدباء ، وكان لهم إسهاماتهم الكبيرة في تاريخ الصين التي يفخر بها المسلمون كما يفخر بها أهل الصين عامة ، فهم علامة بارزة في تاريخ الإسلام في الصين بما أسهموا من جهود وأعمال عظيمة ، جعلتهم رموزاً قلماً تتكرر في تاريخ الصين .

- طبقة التجار :

من المؤكد أن الإسلام دخل الصين عن طريق التجارة ونجد أخبار كثيرة عن النشاطات التجارية العربية في الكتب الصينية الرسمية القديمة إلى جانب القصص والروايات الشعبية بالإضافة إلى الأخبار الواردة عن ذلك في الكتب العربية التاريخية والجغرافية وكتب الرحلات العربية حتى قال المثل الصيني القديم : " إن الإسلام دخل الصين على ظهر الجمل والسفينة ". وكانت تتميز النشاطات التجارية بما يلي : في سنة ٧٨٨م كان عدد كبير من الأجانب قد نزلوا في قصر ضيافة الإمبراطور ولما طالبت إقامتهم وعجزوا عن العودة إلى ديارهم بعد إغلاق الطريق التجاري بسبب الغزوات المستمرة عليه من قبائل التبت . وطالبت إقامة بعضهم إلى ٤٠ سنة ، وكثير منهم تزوجوا النساء الصينيات ولهم بيوت وأرض خارج الضيافة . وبعد التحقيق والاستقصاء أصدر الوزير المختص لي مي (Li Mi ٩٨٧م) تعليمات بنقل من لهم البيوت عن قصر الضيافة وتعيين من ليس لهم البيوت بالخارج في الوظائف المختلفة حسب كفاءتهم كخدم في قصور الأمراء ، أو مجندين بالجيش الصيني، ولم يبق في قصر الضيافة بعد ذلك إلا بضعة عشر فقط . ووفر ذلك نصف مليون مين (عملة صينية قديمة) من نفقات الضيافة سنوياً .

(١) ذا نج هو، مرجع سابق، ص ٤٧ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٨ .

وعن سيرة الحاكم لي ميان (Li - Mian) " أن السيد لي ميان حاكم نزيه عادل، لما عُين حاكماً على كانتون وجنوب الصين كانت السفن التجارية القادمة من البحر لا تزيد عن ٥٠ سفينة سنوياً وفي آخر سنة من حكمه زادت إلى أربعة آلاف سفينة بحرية سنوياً . لأن الحاكم (لي ميان) لا يفرض الضريبة ولا التفتيش عليها، وكان تعيينه في سنة ٧٧٠م " (١)

ظهر من بين التجار العرب عدد كبير من الأثرياء الذين كانوا يتمتعون بالشهرة الواسعة في البلاد حتى عينوا في المناصب المرموقة ونأتي بأمثلة منهم حسب ما ورد في الشئون الصينية الرسمية:

- البوشمي الذي قدم في سنة ٩٩٣م هدايا إلى الإمبراطور الصيني تاي زونغ (٩٧٦-٩٩٨م) على العرش من عهد سونغ (٩٦٠-١٢٨٩م) ٥٠ نائباً كاملاً من العاج، وألف كيلو جرام من البخور الراقية ، ومائة زجاجة من العطور الممتازة وأربعة كيلو جرامات من سبائك الفضة والنحاس .. وفي سنة ٩٩٥م قدم ابنه باسمه هدايا إلى إمبراطور الصين تفوق هدايا أبيه ونستطيع من قوائم الهدايا أن نقدر مدى ثرائه .

- السنغاثور من الأصل العماني الصحاري الذي أقام في مدينة كانتون عشرات السنين وله ثروة بلغت عدة ملايين مين (عملة صينية قديمة) .

- البوياري وصل إلى اليمن قبل سنة ١١٣١م وتزوج إحدى أخوات الحاكم الصيني بالإقليم، وجاء في أحد التقارير أنه أحضر من بلاده ذات مرة ٢٠٩ أنياب كاملة من العاج و٣٥ قرناً من وحيد القرن (كركدن) ويزيد وزن كل ناب من العاج ثلاثين كيلو جرام، واختار القصر الملكي منها ١٠٠ وحدة عاج و ٣٥ وحدة قرن للاستعمال الخاص (٢) .

كان التجار العرب يحتلون الترتيب الأول بين التجار الأجانب في الصين من حيث حجم التجارة والثروة، وكان أباطرة الصين يستعينون بهم لجلب الاستثمارات الأجنبية إلى الصين وكانت تجارة الصين الخارجية تتركز في العاصمة الغربية (مدينة شيآن حالياً) والعاصمة الشرقية مدينة لويانغ حالياً) و كانتون (قوانغنتوا حالياً) ومدينة الزيتون (تشيوا نتشو حالياً) ومدينة مينتشو (نينغبو حالياً) وهانغتشو ويانغتشو. وأكثرها مدن السواحل أو على شواطئ نهر اليانغتسى ، وكان الطريق التجاري البحري قد رجحت كفته لأنه الطريق الأسهل والأرخص تكلفة والأكبر حمولة والأكثر أمناً . وقد يترتب على ما سبق أمران كبيران هما : أن التجار أثروا في المجتمع الصيني من حيث نشر

(١) لي تشين، مرجع سابق، ص ٢٥٨ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥٧ .

الدين الإسلامي ومن حيث امتزاج الثقافة العربية والثقافة الصينية وكان التجار المسلمون يتجمعون في أحياء خاصة بهم في هذه المدن ، ولهم نظام إداري خاص بمعرفة حكومة الصين التي تختار من بينهم الرجل الصالح لتعيينه رئيساً عليهم يتولى شئون الرقابة والقضاء والأمن داخل الحي ويساعد الحكومة على جني الضرائب من التجار، والتي كانت تشكل إيراداً كبيراً لخزينة الصين (١).

(٣) تأثيرات التجار المسلمين في عادات وتقاليد المجتمع الصيني:

أثر الإسلام في عادات الصينيين على نحو مباشر وغير مباشر في الشئون الإدارية والقضائية والتجارة والتربية التي كانت خاضعة للشريعة الإسلامية وكذلك كانت معالجة شئون التجارة وكل ما يتعلق بشئون الحياة . إن حضارة الإسلام قد تغلغت حقاً في حياة الامه الصينية من مختلف القوميات وأصبحت جزءاً هاماً من حضارتهم القومية .

أولاً : عادات الصينيين في (الطعام - المشروبات - الملابس - البيوت)

١- الطعام :

تحدث سليمان السيرافي منذ القرن الثامن الميلادي عن أكل أهل الصين فقال "وطعامهم الأرز وربما طبخوا من (الكوشان) فصبوه على الأرز فأكلوه ، فأما الملوك منهم فيأكلون خبز الحنطة واللحوم

من سائر الحيوانات ، ومن الخنازير وغيرها ولهم من الفواكه ، التفاح والخوخ والرمان والسفرجل والخيار والنبق واللوز والفسق والأجاص والمشمش والغيراء " (٢) .

وقد أكد ابن بطوطة هذا الكلام فقال " وكفار الصين يأكلون لحوم الخنازير والكلاب وبييعونها في أسواقهم " (٣) .

وقد أكد أيضاً ماركوبولو هذا الكلام فقال : " تتغلب شهية الصيني على كل الموانع فيأكل لحوم جميع الحيوانات سواء أكان الحيوان ثوراً ، أم جملأ ، نجعة أم حمارأ ، فإنه مقبول لديهم بدرجة سواء ، ولا يعرف هؤلاء الناس فرقاً بين لحم نجس ولحم طاهر ، وأشد أنواع الطعام الحيواني

شيوعأ ، هي الدواب التي تستطيع الحصول على بعض موارد تعيش عليها بين دور السكن كالخنازير والكلاب ، كما أنها تباع في الأسواق العامة " (٤) . وقد ظهر أثر العرب على الطعام في أن لحم الخنزير في الصين من قديم الزمان إلي الآن ، يعد حد فاصلاً بين المسلم وغير المسلم فالمسلم الصيني يتجنب هذا الشئ الخبيث كل الاجتناب ، بل يكره النظر إليه ، ويظهر أن كراهة لحم الخنزير أمر غير خاص بالمسلمين الصينيين بل يشمل جميع المسلمين في جميع الأوطان لأن دينهم يحرمه ، وقد نعي ابن بطوطة على الصينيين عرضهم لحوم الخنازير في الأسواق . واليوم نجد في (غاي شو) قبيلة أجنبية الأصل وقد روي أن آبائهم وردوا هناك في عهد سونغ (٩٦٠-١٢٨٦م) وعهد يوان (١٢٧٧-١٣٦٧م) من خليج فارس في المراكب ، فاستوطنوا في سواحلها والذين يسكنون بسوسانيا ، كلهم من ذريات أولئك الأجانب ، ويلقبون بأبي فلان ويحظرون لحوم الخنازير

(١) على لي تشين ، مرجع سابق ، ص ٢٥٨ . (٢) سليمان التاجر ، أبو زيد السيرافي ، مرجع سابق ، ص ٤١ .

(٣) ابن بطوطة ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص ٢٤٨ . (٤) ماركو بولو ، مرجع سابق ، ص ١٢٠ .
على منادر أرواح آبائهم ، كما هو الحال في بيوت المسلمين ، غير أنهم قد تعودوا بعض عادات الأهالي فنراهم يتغلبون في صيد الأسماك ويخرجون عشرينها . (١)

٢- المشروبات :

كان شراب أهل الصين عبارة عن نبيذ معمول من الأرز ، وقد أكد ذلك ماركوبولو فقال : " وخبز أهل الصين مصنوع من الأرز ، مع خلطها بمزيج من التوابل . كما أنه مشروب طيب " . وقد ذكر بدر الدين الصيني في هذا الصدد فقال " والخمر المصنوع من العنب ، الذي كان معروفاً في بلاد العرب في القرون الوسطى ، لم يكن معروفاً عند الصينيين إلا في الأيام الأخيرة ولكن كان عندهم نوع من المسكرات يعمل من الأرز ، لكنه أخف تأثيراً من خمر العنب ، وهذا العصير من الأرز " .

كما ذكر أيضاً أن " الشاي " كان من أهم مشروبات الصين ومن أهم الإيرادات لخزانة الحكومة في الماضي . وقد تحدث السيرافي عن الشاي ، ولكنه كان يسميه " الساخ " (٢) .

٣- الملابس :

قال السيرافي : " لباس أهل الصين للصغار والكبار هو الحرير في الشتاء والصيف فأما الملوك ، فالجيد من الحرير ومن دونهم فعلى قدرهم وإذا كان الشتاء لبس الرجل السروالين والثلاثة

والأربعة وأكثر من ذلك على قدر ما يمكنهم ، وذلك لشدة البرد عندهم " أما في الصيف فيلبسون القميص الواحد من الحرير ، ولا يلبسون العمائم ^(٣) . وقد تحدث ابن بطوطة في هذا الصدد فقال : " والحرير عندهم كثير جداً ، وهو لباس الفقراء والمساكين بالصين ، ولولا التجار ما كانت له قيمة . و يباع التوب الواحد من القطن عندهم بالأثواب من الحرير .

المكانة الاجتماعية للمسلمين في عهدي تانغ وسونغ :

١- المكانة الاجتماعية للمسلمين في عهد أسرة تانغ ٦١٨-٩٠٧ :

كانت تانغ أول الأسر الإمبراطورية التي تولت الحكم في بداية البعثة النبوية في سنة ٦١٧م بعد انقراض أسرة (صى) وبعد البعثة النبوية الشريفة بست سنوات ، ويرى بعض المؤرخين أن تولي أسرة "تانغ" بدأ في سنة ٦١٨ ، ولعل السبب في هذا الاختلاف - وهو يسير - يرجع إلى تقارب الزمن بين انتهاء أسرة "صى" و ابتداء حكم أسرة "تانغ" ^(٤) . وكانت العلاقات بين هذه الأسرة وبين المسلمين من العرب وغيرهم علاقات احترام وتعاون في الغالب ، وكان لنجدة المسلمين لبعض ملوكهم على الخارجيين عليه أثر طيب جداً ، وإن كان قد شاب هذه العلاقة ما كدرها بسبب سوء تفاهم بين المسلمين وبعض كبار الموظفين الصينيين ، سرعان ما قضى عليها وعادت المياه إلى مجاريها ^(٥) .

(١) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين، مرجع سابق، ص١٦٤، ١٦٥.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٠. (٣) سليمان التاجر ، أبو زيد حسن السيرافي، مرجع سابق ، ص ٤١ .

(٤) تشين سى ، مرجع سابق، ص ١٣. (٥) بدر الدين الصيني، مرجع سابق، ص ٤١، ص ٤٣.

٢- المكانة الاجتماعية للمسلمين في عهد أسرة سونغ ٩٦٠-١٢٧٩م:

يوجد خلاف في بداية تواريخ الأسر ونهايتها بين الكتاب والمؤرخين، ويرجع هذا الاختلاف إلى أن بعض الكتاب والمؤرخين يؤرخ بقيام أسرة سونغ الشمالية والآخر يؤرخ بقيام أسرة سونغ الجنوبية وهناك خمس أسر من الأسر الإمبراطورية الحاكمة تولت الحكم مدة قصيرة في الفترة من (٩٠٧-٩٦٠م) يغفل الكتاب عن ذكر المسلمين فيها ويبدو أن السبب تعاقبها السريع على الحكم مما جعل أثرها غير ذي بال في مسيرة المسلمين في الصين ، كان وضع المسلمين في الصين في عهد هذه الأسرة شبيهاً بالوضع في عهد أسرة تانغ من حيث احترامهم للمسلمين وإفراح المجال لتجارهم ، بل كان النشاط التجاري في عهد أسرة "سونغ" أوسع منه في عهد أسرة "تانغ" وكذلك العلاقات السياسية وكثرة الوفود الرسمية وزيادة عدد المسلمين ، ومنح المسلمين امتيازات كبيرة جداً حتى في شئونهم السياسية ، يقول محمد مكين: أنه كان في أسرة "سونغ" عينت في موانئ الصين مناطق خاصة بالجاليات الإسلامية ، فيها جوامع وفنادق وأسواق) والإمام يتولى الأمور الدينية المحضة ، والقاضي يحكم بين المتحاكمين ، ووظيفة الإمام و القاضي مخصوصة بالعرب. وقد جاء في مذكرات بعض الأدباء الصينيين في ذلك العصر ، كان ملك الصين عين على المنطقة الإسلامية رئيساً للمسلمين ليقوم بإدارة شئونها السياسية والتجارية والدينية ، وإذا كان المتخاصمان مسلمين قضى بينهما

بالأحكام الإسلامية ، وإذا كان أحدهما مسلماً والآخر صينياً قضي بينهما بالأحكام الصينية فكان للمسلمين في بلاد الصين امتيازات خاصة (١) .

في عهد هذه الأسرة بلغت قوة المسلمين نفوذهم حداً جعل حكام تلك الأسرة يقرب المسلمين على من يختارون من ولاة المسلمين عليهم ، وأصبحت لهم حقوق وامتيازات خاصة ، فتولوا المناصب التي تتطلب أمانة كبيرة ومن ذلك أنه عندما استحدث منصب مدير عام الملاحة في كانتون ، كان هذا المنصب قاصراً على المسلمين وحدهم ولكنهم بقوا في عزلة عن الصين ، شيدوا لهم أحياء خاصة في كل مدينة كبيرة وميناء بحري وأسست لهم مساجد ومدارس خاصة .

وأدى نشاط المسلمين التجاري إلى إنعاش الاقتصاد الصيني ، فتمتعت جاليات المسلمين بتأثير كبير في المجتمع الصيني ، وازدهرت "كانتون" و تشوان شوانغ كمنطقتين إسلاميتين ، ومن أشهر الآثار الإسلامية مسجد "ذكرى النبي" p في "كانتون" (٢) .

(١) محمد مكي، مرجع سابق، ص ٥٤.

(٢) حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة ، ص ٥٦٥.

المكانة الاجتماعية للمسلمين في عهد أسرة يوان :

حظي المسلمون في عهد الأسرة بمكانة لم يسبق لهم أن تمتعوا بمثلها في ظل الأسر السابقة ، حيث تولوا مناصب عالية في الدولة ، وتمكنوا من المشاركة في بناء البلاد وتقدمها في شتى مجالات الحياة ومن مظاهر مكانتهم وإسهامهم في تطوير البلاد الأمور التالية :

- **المظهر الأول :** تولي مناصب الدواوين في الدولة : لقد تولى كثير من المسلمين مناصب الدواوين في العاصمة " بكين " التي بناها الإمبراطور "قوبلاي" بعد أن دمرتها جيوش جده "جنكيزخان" واتخذها عاصمة له وتولوا تلك المناصب في غيرها من عواصم الأقاليم .

- **المظهر الثاني :** تولي عدد منهم مناصب عليا في الدولة حيث تولى عدد من المسلمين منصب المساعد الأول والمساعد الثاني لرئيس الوزراء ، كما تولى عدد منهم منصب المستشار السياسي ، بل إن "قوبلاي" عين في حكومته وزيراً مسلماً يسمى "أحمد البناكتي" (١) .

بل وصل كثير منهم إلى مناصب حكام الولايات في بعض الفترات من المسلمين فقد كانت الصين في عهد "قوبلاي" مقسمة إلى اثنتي عشرة ولاية ، وكان ثمان منها من المسلمين ، كما كان وكلاء حكام الولايات في غالب الأحيان ، كما شغلوا مناصب كتاب في كل الإدارات الحكومية .

- **المظهر الثالث:** أن كثير منهم شغلوا مناصب عسكرية على بعض المدن المهمة.

- **المظهر الرابع:** إسهامهم في كثير من العلوم وفن الإدارة، فقد أسهموا إسهاماً عظيماً في كثير من العلوم، وتولوا مناصب إدارية رفيعة فيها كعلوم الطب و الفلك، فقد كانت مؤسسات الهيئة الفلكية والمستشفيات والمدفوعات تحت إشراف أخصائيين مسلمين لإدارتها.
- **المظهر الخامس:** مشاركتهم في الأعمال المتصلة بحياة الشعب فقد شاركوا في الأعمال المتصلة بحياة الشعب ، كالزراعة ، ونحوها من المهن المفيدة ، فقد كان كثير منهم مهرة في تلك الأعمال التي كانت سبباً في الاختلاط بالدولة والشعب معاً .
- **المظهر السادس :** تعليم أهل البلد الأدب والأخلاق والنظام وهذا المظهر من أهم المظاهر ، لما فيه من إصلاح حياة الشعب الاجتماعية ، فقد كان سكان بعض الولايات (يونان) في حالة بربرية لا يعرفون الآداب والأخلاق ، لم يكن عندهم نظام للتعليم والتهديب ، فكان رجال الدولة ونساؤها يختلطون اختلاطاً حراً بإحياً ويحرقون موتاهم ، وكانت القراءة والكتابة معدومتين عندهم، فالسيد الأجل "شمس الدين" هو الذي أدخل الإصلاحات في الحياة الاجتماعية وعاداتها وعلم الأهالي الآداب والأخلاق والسلوك ، ووضع الترتيبات للزواج بواسطة الوسيط بين الطرفين ، ثم وضع نظاماً يقضي باستعمال التابوت في دفن الموتى، ولعل السيد الأجل رغبهم في ذلك سداً لذريعة حرق موتاهم ،وبعد هذا وذلك وضع مشروعاً للري وعلم الأهالي الحرث والزراعة (١).

(١) فهمي هويدي، مرجع سابق، ص ٦٤.

(٢) بدر الدين الصيني، تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر، مرجع سابق، ص ٢٦، ص ٣٢.

ولقد كانت هذه المكانة للمسلمين في عهد أسرة يوان نظراً للأسباب التالية :

- **السبب الأول :** التوسع في المصالح التجارية بين الصين والبلدان الإسلامية ومنها البلاد العربية فقد كان هذا التوسع سبباً في نمو العلاقات بين الجانبين .
- **السبب الثاني :** أن المغول كانوا في الأساس بدون دين ، بخلاف الأسر الصينية التي حكمت الصين قبلهم التي كانت تدين بالبوذية ، فأرادوا وهم أجانب عن الصين إحداث توازن يمكنهم من البقاء في الحكم ، وإضعافاً قوة خصومهم الصينية ، فتساهلوا مع حملة الأديان الأخرى خاصة المسلمين .
- **السبب الثالث:** مركب من السببين المذكورين: التوسع التجاري والاقتصادي وحاجة المغول للاستعانة بالمسلمين في إدارة شؤون الدولة الصينية.

حدد ووشاية ومعاملة ظالمة :

إنه بالرغم مما ناله المسلمون من حرية في دينهم ومكانة في حياتهم الاجتماعية والسياسية في عهد أسرة "يوان" فقد كدر صفو تلك الحرية وتلك المكانة موقف الإمبراطور المغولي "قوبلاي" الذي صدق ووشاية ابن أخيه "أباقا" الذي أوغرت صدره زوجته النصرانية على المسلمين ، فحرض عمه ضدهم وخوفه منهم فجردهم - قوبلاي - من حقوقهم وامتيازاتهم القديمة حتى في شئون أحوالهم الشخصية،

أجبرهم على إتباع أحكام "الياسا" التي وضعها "جنكيز خان" بعد أن كان للمسلمين قضاة يتولون شئونهم، وأمر قوبلاي بإنزال الأئمة من على المنابر ، وأكره المسلمين على أكل اللحوم المخنوقة على طريقة المغول . غير أن قوبلاي اكتشف بعد سبع سنوات من ممارسته لهذا الاضطهاد ، أن المسلمين خرجوا تبعاً من الصين إلى جزائر الهند الشرقية ، وامتنعوا عن التجارة مع الصين ، وتوجهت مراكبهم إلى العراق ومصر ، الأمر الذي أدى إلى نقص واضح في واردات حكومته وهو ما اضطره إلى التراجع عن قراراته واحد تلو الآخر. (١)

في الختام نجد :

أنه في مجال الحياة الاجتماعية نجد أن نواحي ليست بالقليلة في عادات العرب في طعامهم وملابسهم وموسيقاهم وغنائهم قد تغيرت بسبب اختلاط العرب بالموالي (٢) الذين قامت على أكتافهم تطورات كبيرة في المجالات التجارية والزراعية والصناعية. فالأسواق التجارية كانت مراكز للبيع والشراء وملتقى كبار التجار حيث الصفقات بين تجار مسلمين وغير مسلمين عرب وغير عرب ، وكان التعارف يتم أثناء البيع أو الشراء وكان كثير من الفرس والعرب يعملون في هذه الأسواق التي اختلطت فيها عناصر مختلفة من هنود وصينيين وظهرت عادات وتقاليدهم مجلوبة من أماكن قاصية أو دانية ، فتأثرت جوانب من حياة العرب (والفرس والهنود والصينيين) الاجتماعية نتيجة هذا الاختلاط فقلدوها في معاشهم وحاكوها في سلوكهم وتصرفاتهم اليومية وانتقلت هذه العادات من الأسواق إلى الأمصار ثم إلى البيوت والأسر والأفراد حتى أصبحت جزءاً لا ينفصم من حضارة المجتمع الذي انتقلت إليه .

(١) فهمي هويدي ، مرجع سابق ، ص ٦٢

(٢) الطبعة الثالثة - لندن ١٩٣٥م Arnold T . Wilson : The preaching of Islam, p,105,106

الختام

التوصيات

الملاحق

المصادر والمراجع

الفهرس

الخاتمة

مما سبق يتضح لنا أن كان للإسلام والمسلمين في الصين، وخاصة التجار المسلمون، الدور الأكبر في إرساء دعائم الإسلام في أكبر محيط بشري في العالم وكذلك بإنارة منارة الحضارة الإسلامية في الصين والتي أنتجت أرفع وأخلد الآثار بفضل إسهامات المسلمين في الطب والفلك وعلم الحساب وعلم التقويم ، فقد كان لهم في ذلك الفضل الجليل والعمل الأصيل والتراث الحافل ، وظهر أثر الثقافة العربية في الصين بشكل واضح ، واستخدمت الجداول الفلكية والعربية في الصين لأكثر من أربعمئة عام .. وعرفت الصين عن العرب الكثير من المعلومات الطبية بفضل نقل علم الطب العربي إلى الصين . وفي المقابل استفاد العرب من التبادل الثقافي في الصين وأخذوا وتعلموا منها صناعة الورق والطباعة والبوصلة وغيرها من الاختراعات الصينية ، وكان من نتائج العلاقة الدينية إنشاء المساجد وزيادة عدد المسلمين وإدخال اللغتين العربية والفارسية للأغراض الدينية ونقل العلوم العربية إلى اللغة الصينية واستأثرت مصر بنصيب الأسد من التبادل الثقافي والفني بين المسلمين والعرب ونظرائهم في الصين ، فقد انتقلت صناعة الورق وفن الطباعة من الصين إلى مصر في القرن العاشر الميلادي ، وعرف المصريون البارود بفضل الصين ، وكانوا يطلقون علي "ملح البارود" اسم "تلج الصين" مما يدل على معرفتهم الجيدة بأن الصينيين كانوا أول من اخترعوا البارود في العالم، كما كان أثر الصينيين واضح في المنسوجات الإسلامية ، ويظهر في نموذج الحرير للدولة الفاطمية الذي يوجد بكثرة في متاحف أوروبا . كما ظهر أثر الصين أيضاً في صناعة الفخار والخزف الصيني بعد اكتشاف أكثر من ٢٢ ألف قطعة من الفخار والأواني الخزفية في مدينة الفسطاط بالقاهرة ، يرجع تاريخ بعضها إلى القرنين الثامن والتاسع

الميلاديين ، مما يدل على أن المصريين بدعوا تقليد طرائق هذه الصناعة التي نقلوها عن الصين .

ويرجع الفضل في ذلك كله- في المقام الأول - إلى التفاعل الخلاق بين الحضارة الصينية العريقة والحضارة الإسلامية الفنية المتوجهة بنور العلم والإيمان، وكلتاهما من حضارات الشرق التي أضافت الكثير إلى رصيد الإنجازات البشرية فالشرق دائماً كان مهد الفكر والحضارة .

وفيما يلي أهم النتائج التي توصل إليها الباحث :

- ١- هناك علاقة عضوية بين تطور التجارة وانتشار الإسلام، نجد ذلك على شواطئ المحيط الهندي و بحر الصين ، فقد استقرت جاليات إسلامية في مدن ساحلية كثيرة ، وبنيت المساجد وأصبح للمسلمين مجتمعاتهم.
- ٢- رافقت هذه العلاقة التجارية النشطة بين المسلمين والصين ظاهرة حضارية مميزة تمثلت في عملية التأثير والتأثر العميقتين في شتى مجالات النشاط البشري من زراعة وصناعة وملاحة وثقافة ولغة وعادات .
- ٣- إن ازدهار العلاقات التجارية بين المسلمين والصين ارتبط بتطور ونمو الأمصار والمدن الإسلامية أمثال (البصرة ، سيراف ، بغداد ، الإسكندرية) ولقد كان الخليفة المنصور العباسي واعياً بتلك الأمور فقد كان يقول "هذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شئ يأتينا فيها كل ما في البحر"
- ٤- إن العلاقات التجارية بين المسلمين والصين تأثرت بطبيعة الحال بالأحداث السياسية التي عاشتها الصين، كما حدث في أسرة تانغ ، وكذلك بالأحداث التي عاشتها الدولة الإسلامية .

٥- على الرغم من عظم حجم التجارة المتداولة فوق صفحة المحيط وتعدد الشعوب على سواحلها ، لم تحدث محاولة للسيطرة أو للإنفراد بتلك الثروة ، بل عمد الجميع سويًا على الإفادة والاستفادة، فهناك حرية في الملاحة تقابلها شواطئ مسالمة ، مرحبة بالقادمين تجار أو مسافرين .

٦- على الرغم من تفوق العرب إلا أنهم لم يتعرضوا لسفن الآخرين أو تجارتهم فكانت سفن جميع البلدان تبحر بين مختلف الموانئ في سلام وأحرز لنا التجار المسلمين قصب السبق في التفوق الملاحي ، وتركوا لنا آثار تتحدث عن تفوقهم .

٧- هذا التناغم والتواجد ساعد على تدعيم الوحدة الثقافية لبلدان المحيط، وإن تفوقت عناصر الثقافة العربية التي كانت الثقافة العالمية المتفوقة آنذاك . كما أن الإسلام الذي كان يحتل مكانة القلب من هذه الثقافة لقي صدى طيباً في نفوس الناس ، يدعم ذلك كله سلوك حسن وأخلاق طيبة أملت عليها تعاليم دينهم الحنيف .

وفي الختام يوصي الباحث ببعض التوصيات :

١- يجب التعريف بأهمية الصين وإمكانياتها، فالصين هي دولة القرن الواحد والعشرين، عملاق آسيا الأول ، إنها دولة المستقبل، وستكون أكبر مستهلك في العالم وأكبر منتج وأكبر مصدر ، ولا يعقل أن نعيش نحن العرب حبيس فكر الغرب وعالمه .

٢- إن مستوى العلاقات العربية الصينية في الوقت الحالي لا يتناسب مع الميراث التاريخي من العلاقات، خاصة وأنهما من أقطاب الحضارات الشرقية والتي تتسم بالعمق والتجدد

- ٣- يجب الإسراع بتنفيذ مشروعات التعاون في إطار المنتدى العربي الصيني وتفعيل برامجها .
- ٤- ضرورة أن يحظى تاريخ الإسلام والمسلمون في الصين بمزيد من الدراسة والبحث حيث أنه لم يكن العناية الكافية من العلماء والمؤرخون المسلمون من جوانب الالتقاء بين العرب والصين على كافة الأصعدة .
- ٥- ضرورة دعم التعاون بين البلدين في مجال الثقافة والبحث العلمي وتبادل الزيارات وعقد المؤتمرات والندوات والترجمة بين اللغتين العربية والصينية.
- ٦- يجب تنشيط جمعيات الصداقة والتضامن والتفاهم الدولي والأحزاب ،فهؤلاء يجب عليهم استكمال العمل الرسمي الذي تقوم به الدول .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

(١) القرآن الكريم .

(٢) ابن بطوطة

: محمد بن عبد الله اللواتي (٧٧٩/١٣٧٧م).

تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تهذيب أحمد
العوامري بك ، محمد أحمد جاد المولى ، المطبعة الأميرية ، القاهرة
١٩٣٣ م .

(٣) التتوخي

: الفرغ بعد الشدة ، القاهرة ١٩٥٥ م .

(٤) التيفاشي

: أحمد بن يوسف ت ٦٥١ هـ ، أزهار الأفكار في جواهر الأحجار ،
تحقيق محمد يوسف حسن ، محمد بسيوني خفاجي ، القاهرة ، الهيئة
العامة للكتاب ١٩٧٧ م .

(٥) الجاحظ

: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

- البخلاء ، تحقيق فلوتن ، ليدن ، ب ت

- التبصر بالتجارة ، تحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب ،
بيروت ١٩٦٦ م .

(٦) الجواليقي

- الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت ، دار الجيل ١٩٩٢ .
: المعرب من الكلام الأعجمي ، تحقيق أحمد شاكر ، القاهرة ، دار
الكتب المصرية ١٣٦١ هـ .

(٧) الحموي

: ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م)

- معجم البلدان ، طبعة دار صادر ، بيروت ١٣٧٦ هـ .

(٨) ابن حوقل

: أبو القاسم محمد النصيبي

- صورة الأرض ، الطبعة الثانية ، ليدن ١٩٦٧ م .

(٩) ابن خردادبه

: المسالك والممالك ، إعداد وتقديم خير الدين محمد قوبيلاي ، وزارة
الثقافة ، القاهرة ١٩٩٩ م .

(١٠) ابن خلدون

: عبد الرحمن ، المقدمة ، القاهرة ١٣٢٢ هـ .

(١١) الدمشقي

: أبو الفضل جعفر بن علي ، الإشارة إلى محاسن التجارة ، تحقيق
البشري الشوريجي ، القاهرة ١٩٧٧ م .

- (١٢) ابن زولاق : الحسن بن إبراهيم المصري ، فضائل مصر وأخبارها وخواصها ، بدون تاريخ.
- (١٣) السعدي الشيرازي : جنة الورد ، تعريب أيمن عبد المجيد بدوي ، القاهرة ١٩٨٢ م .
- (١٤) السيرافي : أبو زيد . سلسلة التواريخ ، باريس ١٨١١ م .
- (١٥) الشماخي : كتاب السير ، تحقيق أحمد بن سعود السياني ، مسقط ، وزارة التراث ١٩٨١ م .
- (١٦) الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ / ٩٢٣ م) - (تاريخ الأمم و الملوك) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة دار المعارف القاهرة ١٩٧٩ م .
- (١٧) ابن زهير : محمد بن محمد المقروس ، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، بدون تاريخ.
- (١٨) القزويني : زكريا بن محمد بن محمود - عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، تحقيق فاروق سعد ، بيروت ١٩٧٣ م .
- (١٩) القلقشندي : أبو العباس بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) - آثر البلاد وأخبار العباد ، بيروت ، دار صادر ١٩٦٩ م .
- (٢٠) ابن ماسويه : ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر ، تحقيق محمود سلامة ، القاهرة ١٩٠٦ م .
- (٢١) المرزوي : الطيب شرف الزمان طاهر ، أبواب في الصين والترك والهند ، من دون تاريخ .
- (٢٢) المقرئزي : تقي الدين أحمد بن علي عبد القادر ، ت (٨٤٥ هـ) - السلوك لمعرفة دول الملوك ، حقق الجزأين الأول والثاني محمد مصطفى زيادة وحقق باقي الكتاب سعيد عاشور ، مصر ١٩٧٣ م .

- شذوذ العقود في ذكر النقود القديمة و الإسلامية، تحقيق الطببائي

، النجف ١٣٥٦ هـ.

: أبو الحسن على بن الحسين ت (٤٣٦ هـ - ٩٥٦ م) .

(٢٣) المسعودي

- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جزآن ، طبع سنة ١٢٨٣ هـ ، طبع

سنة ١٣٤٦ هـ المطبعة البهية المصرية.

: فريد العجائب وطرافة القرايب ، مطبعة مصر ١٣٧٦ هـ .

(٢٤) ابن الوردي

: أحمد بن واضح ، البلدان، ليدن ١٨٩١ م .

(٢٥) اليعقوبي

ثانيا : المراجع العربية

: فجر الإسلام ، القاهرة ١٩٥٥ م .

(١) أحمد أمين

ظهر الإسلام، القاهرة، بدون تاريخ.

: العلاقات الاقتصادية الدولية، القاهرة ١٩٧٠ .

(٢) أحمد الغندور

: الملاحة وعلوم البحار ، الكويت ١٩٧٩ م .

(٣) أنور عبد العليم

:العلاقات التاريخية بين شبة الجزيرة العربية و الصين منذ ظهور

(٤) جعفر كرار أحمد

الإسلام وحتى أوائل القرن العشرين، مجلة دراسات الخليج و

الجزيرة العربية، السنة ٢٤ رمضان و شوال و ذو القعدة ١٤١٩ .

: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، القاهرة ،

(٥) حسن إبراهيم حسن

بدون تاريخ .

(٦) حسن محمد جوهر ، عبد الحميد بيومي : الصين ، دار المعارف ١٩٥٨ م .

: المسلمون في العالم تاريخاً وجغرافياً، الطبعة الثانية ، عين

(٧) رأفت غنيمي الشيخ

للدراستات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ١٩٩٨ م.

: عمان وتجارها مع الشرق الأقصى وشرق إفريقيا ، الإسكندرية .

(٨) سحر عبد العزيز سالم

: المسلمون في الصين في العصر الحديث ، مطبعة حسان، القاهرة

(٩) السعيد رزق حجاج

. ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

(١٠) سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام ، القاهرة ١٩٦٥ م.

- مصر في العصور الوسطى ، القاهرة ، بدون تاريخ .

(١١) سليمان التاجر وأبو زيد السيرافي : أخبار الصين والهند ، طبعة الدار المصرية اللبنانية

.١٩٩٠م .

(١٢) سهير القلماوي : ألف ليلة وليلة ، القاهرة ١٩٤٣م .

(١٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي ، الإسكندرية

. ١٩٨٢م .

- محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة

الإسكندرية ٢٠٠٢م .

- تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ، من منشورات جامعة

بيروت العربية ١٩٧٢م .

(١٤) شوقي عبد القوي عثمان : تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (٤١ - ٩٠٤ هـ

٦٦١ - ١٤٩٨م) ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ١٩٩٠م .

(١٥) عادل محي الدين الألويس : تجارة العراق البحرية مع اندونيسيا حتى أواخر القرن السابع

الهجري لأواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، بغداد ١٩٨٤م .

(١٦) عبادة كحيل : العرب والبحر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٩م .

(١٧) عباس محمود العقاد : الإسلام في القرن العشرين ، الجزء الرابع ، دار الكتاب ، لبنان .

(١٨) عبد الحميد حمروش ، راجي عنایت : الصين الصديقة ، طبعة القاهرة ١٩٨٩م .

(١٩) عبد الرحمن فهمي : النقود العربية ماضيها وحاضرها ، القاهرة ١٩٦٤م .

- فجر السكة العربية مطبوعات متحف الفن الإسلامي ، القاهرة

. ١٩٦٥م .

(٢٠) عبد العزيز جاويش : الإسلام دين الفطرة ، مصر ، بدون تاريخ .

(٢١) طه عبد العليم رضوان : في جغرافية العالم الإسلامي ، الطبعة الخامسة ، مكتبة الأنجلو

المصرية القاهرة ١٩٩١م .

(٢٢) فاروق عمر فوزي : انتشار العرب في أقاليم الخليج العربي الشرقية في العصور

- الإسلامية الأولى ، بحث مقدم إلى ندوة مكانة الخليج العربي في التاريخ الإسلامي ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، العين ، بدون تاريخ .
- (٢٣) فهمي هويدى : الإسلام في الصين ، سلسلة عالم المعرفة ، (٤٣) المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، شعبان و رمضان ١٤٠١ هـ .
- (٢٤) فيصل السامر : الأصول التاريخية للحضارة الإسلامية في الشرق الأقصى ، ط الثانية ، وزارة الثقافة و الإعلام ، بغداد ، ١٩٨٦ م .
- (٢٥) كرم حلمي فرحات : العلاقات المصرية الصينية ، طبعة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ٢٠٠٢ م .
- الصين ومصر ، دار الأحمدي للنشر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ٢٠٠٨ م .
- الثقافة العربية والإسلامية في الصين ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ٢٠٠٥ م .
- (٢٦) محمد بيرم التونسي : صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ٢٠٠٢ م .
- (٢٧) محمد التونجي : ابن سينا و أثر الطب العربي في الصين ، من بحوث المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب ، جامعة حلب ، رجب ١٤٠٢ هـ .
- (٢٨) محمد جمال الدين : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق في عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري ، الطبعة الرابعة ، دار الفكر العربي .
- (٢٩) محمد خميس الزوكة : آسيا دراسة في الجغرافيا الإقليمية ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ٢٠٠١ م .
- (٣٠) محمد عبد الغني الأشقر : تجارة التوابل في مصرفي العصر المملوكي ، الهيئة العامة

المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٩٩ م .

(٣١) محمد محمد زيتون : الصين والعرب عبر التاريخ ، سلسلة أقرأ (٢٥٣) ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٤ م .

(٣٢) محمد بن ناصر العبودي: من داخل أسوار الصين ، مطابع الفرزدق ، الرياض ١٤١٣ هـ.

(٣٣) محمود أبو العلا : جغرافية العالم الإسلامي واقتصادياته، الطبعة الخامسة ، مكتبة الفلا . ١٩٩١ م .

(٣٤) محمود شاكر : تركستان الصين الشرقية ، الطبعة الثالثة ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧٦ م .

(٣٥) محمود قمر : الإسلام والمسلمون في جنوب شرق آسيا ، طبعة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ٢٠٠٣ م .

(٣٦) محي الدين الغريب : اقتصاديات النقود والبنوك ، القاهرة ١٩٨٥ م .

(٣٧) نعيم زكريا فهمي : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى - مصر ١٩٧٣ م .

(٣٨) نقولا زيادة : الجغرافيا والرحلات عند العرب ، طبعة دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٦٢ م .

- (٣٩) هادي العلوي : المستطرف الصيني ، دار المدى للنشر والتوزيع ، سوريا ١٩٩٤ م
٢٠٠٠/م.
- (٤٠) الكتاب السنوي ١٩٩٣ - ٢٠٠٠ الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء ، القاهرة ، يونيو
٢٠٠١ م.
- (٤١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، القاهرة ١٩٢٨ .
- ثالثا : المراجع الصينية
- (١) إبراهيم فنغ جين يوان : الإسلام في الصين ، دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين الطبعة
الأولى ١٩٩١ م.
- (٢) بدر الدين الصيني : - أثار الإسلام الحضارية في الصين ، من بحوث المؤتمر السنوي
السادس للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، عمان ، شوال
١٤٠٧ هـ .
- تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر ، دار الإنشاء
طرابلس ١٩٧٤ م .
- العلاقات بين العرب والصين ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة
المصرية ، القاهرة ١٣٧١ هـ .
- (٣) تشانغ زون يان : الاتصالات الودية المتبادلة بين الصين وعمان عبر التاريخ ،
الطبعة الثانية مسقط ، وزارة التراث .
- (٤) تشنغ بينغ : جغرافية الصين ، ترجمة فريدة وانغ فو ، طبعة دار النشر الصينية
عبر القارات الصين ١٩٩٩ م.
- (٥) تشولينغ : القوميات المسلمة في الصين ، ترجمة وجين هوادي تشنغ ،
دارا لنشر باللغات الأجنبية ، بكين ١٩٨٨ م .
- (٦) تشي ون : موجز أحوال الصين ، ترجمة أحمد محمد خير مراجعة صفاء
شيوي لي مينغ ، طبعة دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين ،
الصين ١٩٨٣ م .

- (٧) دانج هو : المعاملات بين الصين والعرب في العصور الوسطى ،حصاد ندوة الدراسات العمانية ،ذو الحجة ١٤٠٠هـ/نوفمبر ١٩٨٠ م .
- (٨) شيوي قوانغ : جغرافية الصين ، ترجمة محمد أبو جرد، طبعة دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين ، الطبعة الأولى ١٩٨٧ م .
- (٩) شيو يوان : المسلمون الصينيون (أسئلة وأجوبة) ، طبعة النشر باللغات الأجنبية بكين ، الطبعة الأولى ١٩٩١ م .
- (١٠) عبد الرحمن ناجونج : تاريخ العرب في العصور الوسطى، دار النشر باللغات الأجنبية بكين ١٩٧٨ م .
- (١١) على لى تشين تشونج: آثار العرب ومآثرهم في الصين عبر التاريخ، المجلة العربية للثقافة ع ٣٨ ، السنة ١٩ ، ذو الحجة ١٤٢٠ هـ .
- (١٢) محمد تواضع الصيني : الصين والإسلام ،دار الطباعة والنشر الإسلامية ، القاهرة ١٩٤٥ م .
- (١٣) محمد مكين :نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين و أحوال المسلمين فيها، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ .
- (١٤) محمود يوسف لى هواين : الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين، دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين ١٩٩٣ م .
- (١٥) مونج كيونج كون : الإسلام في الصين خلال القرنين الأول و الثاني الهجريين، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية ، قسم التاريخ و الحضارة، ١٤٠٩ هـ .
- (١٦) الصين ، الحقائق والأرقام ، إعداد هيئة دار النجم الجديد ، طبعة بكين ، الصين ١٩٩٩ م .

(١٧) كتاب تعريف بجمهورية الصين ، وزارة السياحة الصينية ، الطبعة الثانية ، بكين ، الصين
١٩٩٧م .

رابعاً : المراجع الأوربية المترجمة

(١) آدم ميتز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ترجمة محمد عبد

الهادي أبو ريذة ، جزآن ، القاهرة ١٩٤٨م .

(٢) أغناطيوس كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين هاشم ،

منشورات الجامعة العربية ، القاهرة ، ١٩٦١م .

(٣) توماس آرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم حسن ، عبد المجيد

عابدين ، إسماعيل النحراوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة

١٩٧٠م .

(٤) جورج فضلو حوارني : العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل

العصور الوسطى ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، مصر ، ١٩٥٨م .

(٥) جوزيف نيد هام : موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين ، ترجمة محمد غريب

جودة ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة الألف كتاب

الألف الثاني رقم (١٩٤) القاهرة ١٩٩٥م .

(٦) غوستاف لويون : حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي

وشركاه ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

(٧) ديمانند : الفنون الإسلامية ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، القاهرة ، بدون تاريخ .

(٨) ماركوبولو : رحلات ماركوبولو ، ترجمها للإنجليزية وليم مارش وللعربية

عبد العزيز جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م .

(٩) موريس لومبارد : الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي في خلال القرون الأربعة الأولى

ترجمة عبد الرحمن حميدة ، دمشق ١٩٧٩م .

(١٠) هايد ،ف : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ترجمة أحمد محمد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٥م.

(١١) ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران، دار الجيل، بيروت ، لبنان .

خامساً : الدوريات

- (١) محمد فريد وجدي : دائرة معارف القرن العشرين ، بدون تاريخ.
- (٢) مجلة تاريخ الطب : العدد الثامن ، بكين ، يونيو ١٩٥٢ م .
- (٣) مجلة التسامح : العدد السابع وزارة الأوقاف العمانية ، عمان.
- (٤) مجلة بناء الصين : عدد مايو ١٩٧٩ ، عدد مايو ١٩٨٠م.
- (٥) مجلة حضارة الإسلام : المجلد التاسع ، العدد الأول لسنة ١٩٦٨م.
- (٦) مجلة الرسالة : عدد ٣٥٧ .
- (٧) مجلة الصين المصورة : عدد السنة ١٩٨٠ م .
- (٨) مجلة الصين اليوم أعداد : ٤ / ١٩٩٩ م ، ٢ / ٢٠٠٢ ، ١ / ٢٠٠٣ ، ٣ / ٢٠٠٣ ، ٤ / ٢٠٠٣ ، ٥ / ٢٠٠٣ ، ٩ / ٢٠٠٣ ، ١٠ / ٢٠٠٣ ، ٦ / ٢٠٠٥ .
- (٩) مجلة كلية الآثار : جامعة القاهرة ، العدد الأول ١٩٧٥ م .
- سيده إسماعيل الكاشف ، علاقة الصين بديار الإسلام.
- (١٠) مجلة كلية الآداب : جامعة القاهرة ، المجلد ١٥، الجزء الأول، مايو ١٩٥٣م.
- السيد محمد يوسف، علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور إلى القرن الرابع الهجري.
- (١١) مجلة المنهل السعودية : العدد الخامس، جمادى الأولى، ١٣٨٦ هـ .
- (١٢) مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية: عدد مايو ١٩٥٢ م .

سادساً : الرسائل العلمية غير المنشورة

- (١) أسامة عبد السلام : الحياة الاجتماعية والدينية وأثر الإسلام فيها رسالة ماجستير من جامعة الزقازيق ، معهد الدراسات والبحوث الأسيوية .

- 1-Arthur Lane and R.B., pottery and Glass Fragments Littoral with Historical Notes,1948.
- 2- Arnold T . Wilson : The preaching of Islam. الطبعة الثالثة – لندن ١٩٣٥ م
- 3- Auguste Toussaint , the Indean ocean U.S.A 1961.
- 4- Basil Davidsonsone : The lost cities of Africa U.S.A 1959 .
- The African post U.S.A 1964 .
- 5- Breits chneider(e): Ancient Chinese of the Arabs others western countries trubner ,London,1871.
- 6- Broom Hall:-Islam in china (anejected problem),London,1910.
- 7- Chang-Shin- hug :Ancient China's Relation with Arabs.
- 8 - Friedrich Hirth , Anew source of medieval Geography in H .F.Y.A .R.A.S ,London 1896 .
- His worken Chinese and Arab trade in thw 12th and 13th centuries entitled chau – fan – chi st, petersbury 1911 .
- 9- G . Mathew . Chinese porcelain in East Africa and on the Coast of South Arabia, 1956 .
- 10 - G.S.P free man –Grenville :- The medival history of the coast of Tanganyika Berlin 1962 .
- 11- Heyd W . History du commerce du levant ou moyen age,Leipziy,1932.

- 12-Hilmar C-Krueger :The Ware of Exchange in Genose African Traffic of the 12th Century in Journal of Medival Studies 1937.
- 13- Martin A. klien ,ed, perspectives on the African Past,Canada,1972 .
- 14-N. Hirth,chao ju–kua , Anew source of Medieval Geography , London,1896.
- 15-Oxford Dictionary , new English dictionary on history principles and taylor .w Arabic words in English S.P.E tract .
- 16- S . maqbul Ahmed : Indo – Arab relation , new delhi , 1978 .
- 17- Suleman nadvi : Muslim colonies in India before the Muslim conquest in Islamic culture 1934 .
- 18- SD . goitein : Studies in Islamic History and Institution ,Leiden,1986.
- 19- S . P . Freeman-Grenville The Medieval History of coast of Tanganyika,Berlin,1962 .
- 20 - Tien yu – kang , cheng Hos , Voyages and the Distribution of pepper in China in Y .O . R . A . S . No 2, 1981.

نشاط المسلمين التجاري في الصين
وأثره على الحضارة الإسلامية في العصر الإسلامي
(٩٦٠ - ١٣٦٨ م)

يتحدث هذا الموضوع عن النشاط التجاري للمسلمين و أثره على الحضارة الإسلامية في العصر الإسلامي في الفترة التي تمتد ما بين عامي (٩٦٠-١٣٦٨م) أى خلال عهد أسرتي سونغ ويوان. لقد ثبت انه ما من حضارة إلا أخذت من سابقتها أو معاصرتها ، تأخذ وتعطي ، تتأثر وتؤثر . وحضارة الإسلام في هذا الشأن قامت بالدور المطلوب على خير وجه وأكمل مهمة ، ووسعت - وهي حضارة عالمية - شعوب الأرض كافة حتى مع اختلاف عقائدهم وأنماط حياتهم الفكرية والسياسية والاجتماعية و الاقتصادية . ومع دلالة هذه الثمة على عالمية الإسلام فإنها لم تكن أحادية الجانب، إذ لم يكن نتاجها الفكري والمادي قاصراً على جوانب دون أخرى ، بل شمل كل احتياجات الإنسان الدنيوية والأخروية . وطبيعي وهي حضارة إنسانية تأثرت بغيرها أن تؤثر فيه ، وأن تتلائم مع احتياجات الشعوب وواقعهم وظروف حياتهم ، وأن تتسم بصلاحياتها للتطبيق والممارسة في كل البيئات والمجتمعات . وينطبق هذا على المجتمع الصيني الذي ملك حضارة إنسانية عريقة تأثرت بغيرها قبل أن تؤثر فيه ، وتأثرت بحضارة الإسلام أكثر مما أثرت فيها . ومن أهم وسائل نقل المؤثرات الحضارية وتبادلها التجاري التي كانت ولا زالت أهم مظاهر العلاقات البشرية والمعبر الذي حمل النماذج الحضارية المختلفة لتبادلها الشعوب وتتأثر بها ، وهي التي هيأت لمزيد من التفاعلات الحضارية بينهم ، وساعدت على نشوء مظاهر أخرى في العلاقات البشرية أبرزها ظاهرة استيطان واستقرار التجار وتزاوجهم مع أهل البلاد التي يتعاملون معهم، وتأسيسهم أسراً هيأت فيما بعد لحدوث هجرات بشرية جماعية ، وهذا ينطبق على النشاط التجاري الذي أنشأه المسلمون مع الصينيين . ولم يظهر أثر التجارة بين الشعوب مثلما ظهر بين التجار المسلمين وشعوب الشرق الأقصى ومنهم الصينيون . فبعد أن كانت البداية تبادل حاجات تطورت إلى تبادل مصالح ، ثم إلى تبادل ثقافات وأفكار تطورت إلى تبادل مؤثرات حضارية متكاملة . وما حدث في الصين مع ما اشتهرت به من عزلة وانغلاق بسبب ما عُرف به الصينيون من توجس وعدم اندفاع إلى كل ما هو أجنبي بشراً كان أو فكراً إنما كان نتيجة الجهد الذي

بذله المسلمون- من تجار وغيرهم - وقدرتهم الفائقة على الاختلاط والانسجام مع الشعوب الأخرى ، وبالتالي تمكنهم من نشر الإسلام وحضارته بينهم بكل يسر وسهولة . لقد أحبهم أهل البلاد وأحبهم أباطرتها ورحبوا بهم ، ووجدوا لديهم سلوكا لم يألفوه ، وتعاملاً لم يعتادوا مثله ، ورأوا منهم أخلاقاً وعلاقة لم يتعودوا عليها ، فرغبوا في تقوية روابطهم بهؤلاء ، وأولوهم العناية والرعاية التي فضلتهم على غيرهم ، فكان أثر هذا محموداً في كثيرين اعتنقوا الإسلام لأولئك وقناعة بتأثير الإسلام فيهم . ثم أخذت مؤثرات الإسلام وحضارته تفد إلى المجتمع الصيني مع زيادة وفود المسلمين إليهم وانتشار الإسلام فيهم ، ومع تنوع الصلات بين الجانبين وخصوصاً بعد أن أصبح بينهما حدوداً مشتركة بعد توسع حركة الفتح الإسلامي وما صاحب ذلك من تطور في العلاقات السياسية والعسكرية بينهما وزيادة نشاط العلاقات التجارية تبعاً لذلك ، وأيضاً بعد التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي صاحبت الغزو المغولي ووقوع الصين مع عدد من الأقاليم الإسلامية تحت سيطرتهم .

وجميع تلك التطورات كان لها آثارها العميقة في زيادة تبادل المؤثرات الحضارية بين المسلمين والصينيين وتنوعها ، وكان واضحاً - من خلال ما أورده المصادر - أما الصينيين كانوا أكثر استفادة نتيجة ذلك التبادل الحضاري ، وأن ذلك ظهر بوضوح في كثير من شؤون حياتهم وأحوال إمبراطوريتهم .

إن هذه الدراسة تؤكد أن نشاط المسلمين التجاري في الصين لا يمكن أن يمر دون تأثير ملاحظ في المجتمع الصيني وثقافته ، وهي في الوقت الذي تؤرخ فيه لتكون هذا التأثير وتستعرض ظروفه وتطوراته وتقدم رسداً لطبيعة المؤثرات الحضارية التي كان سببها التجار المسلمون .

وما تنبغي الإشارة إليه هو أن هذه الدراسة ليست فريدة في موضوعها وكونها أحد جوانب العلاقات الإسلامية الصينية ، فقد سبقها عدد من الدراسات والبحوث التي تناولت هذا الميدان ركزت في العلاقات الدبلوماسية والتجارية بخاصة ، وأشارت إلى بعض ما تبادلته الجانبان من تأثيرات حضارية . ولعل الرصد الدقيق لهذه التأثيرات وجمع شتاتها في موضوع واحد غير مسبوق هو ما يميز هذه الدراسة من غيرها ، وما يميزها أيضاً أنها اعتمدت بشكل أساسي في توثيق مادتها العلمية على المصادر الصينية ، وكل ما أرجوه أن أكون - بما بذلته من جهد - قد أحطت بتفصيلات هذه المادة وجزيئاتها ، وأن أكون قد وفقت في عرضها بمنهجية علمية .

يحتوي البحث على مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة .

أما التمهيد : فقد تناولت فيه نبذة جغرافية عن الصين ومواردها الطبيعية ، وعن دور التجار المسلمين في دخول الإسلام إلى بلاد الصين .

أما الفصل الأول : فقد جاء بعنوان مظاهر النشاط التجاري عند الصينيين ، وقد تحدثت فيه عن الأثر الفاعل للمسلمين في النشاط التجاري، وموانئ ومراكز التجارة في الصين ، والسلع التجارية المتداولة فيه .

أما الفصل الثاني : فكان بعنوان نظم التعامل التجاري في الصين ، واشتمل على عرض لطوائف التجار ، والحرف التجارية ونظام التعامل التجاري .

وجاء الفصل الثالث : بعنوان أثر النشاط التجاري للمسلمين على المظاهر الدينية والثقافية في الصين ، أما أثره على المظاهر الدينية فقد تضمن الحديث عن الصين قبل وصول الإسلام إليها ، وأثره في زيادة المعرفة الصينية بالمسلمين ، وانتشار الإسلام نتيجة علاقة التجار المسلمين بالصينيين، ومدى تأثير الصينيين بالأخلاق الإسلامية وتأثرهم بالأمر التعبدية الصحيحة، وإرساء نظام الجماعة الإسلامية وبناء المساجد وظهور جيل جديد من المسلمين

أما الفصل الرابع: بعنوان أثر النشاط التجاري على المظاهر الثقافية في الصين فقد تضمن الحديث عن تأثير اللغة العربية في الصين وانتشارها ، وانتشار مصطلحات وأسماء عربية في الصين واستفادة الصينيين من تراث المسلمين العلمي في علوم الفلك والرياضيات والطب الصيدلة والهندسة والعمارة ، وإرساء نظام الجماعة الإسلامية على يد التجار المسلمين ، وبناء المساجد التي هي بمثابة مدارس علمية ، وظهور جيل جديد من المسلمين على يد التجار المسلمين .

وجاء الفصل الخامس : بعنوان أثر النشاط التجاري للمسلمين على المظاهر الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في الصين، وقد تضمن الحديث عن المظاهر الإدارية ومدى مشاركة المسلمين فيها، والمظاهر الاقتصادية ومدى تأثير المسلمين عليها ، والمظاهر الاجتماعية ومدى ما أحدثه المسلمون من تغيير في المجتمع الصيني .

ثم جاءت الخاتمة : لترصد لنا أهم النتائج التي توصل إليها البحث من خلال ما تم عرضه من أفكار ومحاوّر . ثم جاءت المصادر والمراجع المستخدمة في البحث .
مُوجز :

العنوان :

نشاط المسلمين التجاري في الصين
وأثره على الحضارة الإسلامية في العصر الإسلامي
(٩٦٠ - ١٣٦٨ م)

إن هذه الدراسة تؤكد أن نشاط المسلمين التجاري في الصين لا يمكن أن يمر دون تأثير ملاحظ في المجتمع الصيني وثقافته ، وهي في الوقت الذي تؤرخ فيه لتكون هذا التأثير وتستعرض ظروفه وتطوراته وتقدم رسداً لطبيعة المؤثرات الحضارية التي كان سببها التجار المسلمون .

وتنقسم الدراسة الى مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة .

- أما التمهيد : فقد تناولت فيه نبذة جغرافية عن الصين ومواردها الطبيعية ، وعن دور التجار المسلمين في دخول الإسلام إلى بلاد الصين .
- أما الفصل الأول : فقد جاء بعنوان مظاهر النشاط التجاري عند الصينيين ، وقد تحدثت فيه عن الأثر الفاعل للمسلمين في النشاط التجاري، وموانئ ومراكز التجارة في الصين ، والسلع التجارية المتداولة فيه .
- أما الفصل الثاني : فكان بعنوان نظم التعامل التجاري في الصين ، واشتمل على عرض لطوائف التجار ، والحرف التجارية ونظام التعامل التجاري .
- وجاء الفصل الثالث : بعنوان أثر النشاط التجاري للمسلمين على المظاهر الدينية والثقافية في الصين
- أما الفصل الرابع : بعنوان أثر النشاط التجاري على المظاهر الثقافية في الصين .
- وجاء الفصل الخامس : بعنوان أثر النشاط التجاري للمسلمين على المظاهر الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في الصين.
- ثم جاءت الخاتمة : لترصد لنا أهم النتائج التي توصل إليها البحث من خلال ما تم عرضه من أفكار ومحاوور.
- ثم جاءت المصادر والمراجع المستخدمة في البحث .

مُستخلص:

العنوان :

نشاط المسلمين التجاري في الصين
وأثره على الحضارة الإسلامية في العصر الإسلامي
(٩٦٠ - ١٣٦٨ م)

إن هذه الدراسة تؤكد أن نشاط المسلمين التجاري في الصين لا يمكن أن يمر دون تأثير ملاحظ في المجتمع الصيني وثقافته ، وهي في الوقت الذي تؤرخ فيه لتكون هذا التأثير وتستعرض ظروفه وتطوراته وتقدم رسداً لطبيعة المؤثرات الحضارية التي كان سببها التجار المسلمون . وما تنبغي الإشارة إليه هو أن هذه الدراسة ليست فريدة في موضوعها وكونها أحد جوانب العلاقات الإسلامية الصينية ، فقد سبقها عدد من الدراسات والبحوث التي تناولت هذا الميدان ركزت في العلاقات الدبلوماسية والتجارية بخاصة ، وأشارت إلى بعض ما تبادلته الجانبان من تأثيرات حضارية . ولعل الرصد الدقيق لهذه التأثيرات وجمع شتاتها في موضوع واحد غير مسبوق هو ما يميز هذه الدراسة من غيرها ، وما يميزها أيضاً أنها اعتمدت بشكل أساسي في توثيق مادتها العلمية على المصادر الصينية ، وكل ما أرجوه أن أكون - بما بذلته من جهد - قد أحطت بتفصيلات هذه المادة وجزئياتها ، وأن أكون قد وفقت في عرضها بمنهجية علمية .

Title:

Muslims Commercial Activity in China and its influence on the Islam age (960-1368)

This subject deals with the Commercial Activity of Muslims and its influence on the Islamic civilization in the Islam age at the time between (960-1368) It has been proved that there is no civilization that doesn't take from the preceding for it or presenting it. They are interacting with each other take and give.

The Islam Civilization, in this respect, has performed its needed role at the best deed and it has taken – as a universal civilization- all the peoples of the world, despite their difference of beliefs and the patterns of their thoughtful, political, social and economical lives. According to this aspect of the universality of Islam, it is not of one sided but it included all the human life and death needs.

It's normal that it has been influenced by other civilization as it is considered a human civilization. It is also suitable to the peoples' needs and their life's conditions and presence.

This civilization is described as its validity for practice and application in all societies and environments.

All above, described and applied to the Chinese society which had a great human civilization that had been influenced by others before it affected it. It is also influenced by Islam civilization more than it affected it.

From the most important means of transporting the civilizing effects and its commerce exchanges which were and still are the most important aspects of the humanistic relations and the way that carried the different (various) civil examples (models) to be exchanged by people and be influenced by it. It had paved the way to more of civilizing interactions among them. All these helped with the appearance of other aspects of human relations; the highest of them are the settlement and stability of traders and marrying with the people of countries whom they deal with. They also established families led to go the human emigration. All these applied to the commercial activity that Muslims established with the Chinese.

There was no establishment of trading activity as it was established between the Muslims traders and the Far East peoples from them the Chinese.

After it was only an exchange of needs, it developed to exchanges work, then to exchange cultures and thoughts developed to exchange integrated civilizing effectives.

What happened in China that it was famous for exile and closure because of the impression about the Chinese that they were closed and non explosive to what was foreign and strange.

Human though, but it was the effort that Muslim exerted-trader and other-traders and other-and their super abilities to communicate and match with other peoples there fore , they succeeded in spreading Islam and its civilization in the Chinese in an easily way.

The people of countries loved them and welcome in a good behavior and manners and they wanted to strengthen the relations. Then the Islam features prevailed the Chinese' society through the increase of Muslims missions and spreading of Islam inside their people .The various relations and links between Islam and the Chinese became plain after the expanding of the Islamic Invasion accompanying the political and military relation between them.

Also the increase of trade a activity relation. After, the economical , political and social outcomes of the Mongols Invasion and the subjection of China under their control with some Islamic countries.

All these outcomes had deep effects on the increase of exchanging the civilizing effectives between the Muslims and the Chinese all these were more benefitable out of this civilizing exchange , this appeared in their daily life's affairs and theirs emperor affairs.

This study assures that the Muslims Trade Activity in China couldn't have passed without observable effect in the Chinese society and its culture. In this period, china was in history to be the effect and showed its conditions and developments and presenting report to the civilizing effectives that caused by the Muslim Traders.

On should observe that this study is not unique in its topic and being one side of Islamic Chinese relation ships. Before it, there had been a number of studies and researches that made studies of this field that concerned chiefly in trading and diplomatic relations.

These studies referred to some of the exchange of the tow sides from civilizing effects and the accurate identification to these effects and collecting its differences in one topic is unique and this is distinguished in this study not other; And its also distinguished that it depends basically on text in recording its scientific context by Chinese Sources.

All I want is that, I-by my efforts-performed and used the explanations of this material and its parts and succeeded in presenting it in a scientific method.

This subject includes; an introduction, preliminary and five chapters and summary.

**** As for preliminary it includes abrief piece of information of geography about China and its natural resources and the role of the Muslim Traders in China states.***

**** As for the first chapter: titled "The Features of the Trading Activity of the Chinese". I stated –in it- about the effective out come of Muslims in the***

trading activity, China ports and its trading centers and the existing trading goods in it.

* **As for the second chapter:** titled "The Trading Dealing Systems in China". It includes show of the traders groups, the trading jobs and the trading system.

* **As for the third chapter:** titled "The Trading Activity Effect of Muslims on the Religious and Cultural Features in China". The effects on the religious features include the China presence before Islam entrance and its effect in spreading knowledge for the Chinese about Muslims. The spread of Islam as a result of the relationship between the Muslim traders and the Chinese and the effect on the Chinese of the Islamic Manners and the effect of the right matters and performing the Islamic gathering system and unit and building mosques and appearing a new generation of Muslims.

* **As for the fourth chapter :** titled " The Effect of the Trading Activity on the Cultural Features in China" . It includes the effect of the Arabic Language on China and its spreading according to Arabic idioms and names in China. The benefit of Chinese from the Muslim scientific heritage in astrology, medicine, pharmacy, engineering and maths.

The Islamic group on the hands of the Muslim traders ,building mosques that are considered as scientific schools and appearing of new generation of Muslims by the help of the Muslim Traders .

* **As for the fifth chapter:** titled "The Effect of the Trading Activity of Muslims on the Management , Economical and Social Features on China" . It includes the management features and the partnership of Muslims in it , and the economical features and the effect of Muslims on them. The social features and the change of Islam in the Chinese Society.

* **The Summary :** It includes the most important that the research has proved through what shown from ideas and topics and then: come the sources and books that used in this research.

Muslims Commercial Activity in China and its influence on the Islam age(960-1368)

This study assures that the Muslims Trade Activity in China couldn't have passed without observable effect in the Chinese society and its culture. In this period, China was in history to be the effect and showed its conditions and developments and presenting report to the civilizing effectives that caused by the Muslim Traders.

This subject includes; an introduction, preliminary and five chapters and summary.

**** As for preliminary it includes a brief piece of information of geography about China and its natural resources and the role of the Muslim Traders in China states.***

**** As for the first chapter: titled "The Features of the Trading Activity of the Chinese". I stated –in it- about the effective outcome of Muslims in the trading activity, China ports and its trading centers and the existing trading goods in it.***

**** As for the second chapter: titled "The Trading Dealing Systems in China". It includes show of the traders groups, the trading jobs and the trading system.***

**** As for the third chapter: titled "The Trading Activity Effect of Muslims on the Religious and Cultural Features in China". The effects on the religious features include the China presence before Islam entrance and its effect in spreading knowledge for the Chinese about Muslims. The spread of Islam as a result of the relationship between the Muslim traders and the Chinese and the effect on the Chinese of the Islamic Manners and the effect of the right matters and performing the Islamic gathering system and unit and building mosques and appearing a new generation of Muslims.***

**** As for the fourth chapter : titled " The Effect of the Trading Activity on the Cultural Features in China" . It includes the effect of the Arabic Language on China and its spreading according to Arabic idioms and names in China. The benefit of Chinese from the Muslim scientific heritage in astrology, medicine, pharmacy, engineering and maths.***

The Islamic group on the hands of the Muslims traders ,building mosques that are considered as scientific schools and appearing of new generation of Muslims by the help of the Muslims Traders .

**** As for the fifth chapter: titled "The Effect of the Trading Activity of Muslims on the Management , Economical and Social Features on China" . It includes the management features and the partnership of Muslims in it , and the economical features and the effect of Muslims on them. The social features and the change of Islam in the Chinese Society.***

**** The Summary : It includes the most important that the research has proved through what shown from ideas and topics and then: come the sources and books that used in this research.***

Muslims Commercial Activity in China and its influence on the Islam
age(960-1368)

This study assures that the Muslims Trade Activity in China couldn't have passed without observable effect in the Chinese society and its culture. In this period, china was in history to be the effect and showed its conditions and developments and presenting report to the civilizing effectives that caused by the Muslim Traders.

On should observe that this study is not unique in its topic and being one side of Islamic Chinese relation ships. Before it, there had been a number of studies and researches that made studies of this field that concerned chiefly in trading and diplomatic relations.

These studies referred to some of the exchange of the tow sides from civilizing effects and the accurate identification to these effects and collecting its differences in one topic is unique and this is distinguished in this study not other; And its also distinguished that it depends basically on text in recording its scientific context by Chinese Sources.

All I want is that, I-by my efforts-performed and used the explanations of this material and its parts and succeeded in presenting it in a scientific method.